



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

لِسَمَاحَةَ الْإِمَامِ

يُوسُفَ الْقَاضِي

المجلد الرابع والثمانون



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الشامية

للطباعة والنشر والتوزيع

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
بُوسَيْفِ القُرْضَاوِيِّ



الجُورُ الحَادِي عَشْرَ

خُطْبُ الجَمْعَةِ

- ١٦٦ خُطْبُ الشَّيْخِ القُرْضَاوِيِّ ٣
١٦٧ خُطْبُ الشَّيْخِ القُرْضَاوِيِّ ٤





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُورِيفِ الْقُرْضَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٦٦

خطب الشيخ القرضاوي

٣

إعداد

د. خالد السعد



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم: ٦].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟». قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا». متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئًا، إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. متفق عليه.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشده، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، واقتدى بسيرته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

فهذا هو الجزء الثالث من خطبي، قام بإعدادها والتعليق عليها، وتخريج أحاديثها، وترقيم آياتها الأخ الحبيب العالم الفاضل والداعية النّابه الشيخ خالد السعد، جزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين.

وقد راجعته كما راجعت الجزأين الماضيين، وأجبت ما طلبه مني الأخ خالد من استكمال بعض الفجوات التي تحدث عادة في

الأشرطة، وتخرّيج بعض الأحاديث التي لم يهتد إليها، وتهذيب بعض العبارات.

وقد وضعت بعض العناوين الجانبية لبعض الخطب، وإن لم يسعفني الوقت لإتمامها. وهذا الجزء يمضي على سنة أخويه السابقين: الأوّل والثاني، خدمة وعناية وتوفيقاً.

وأدعو الله تعالى أن يشرح للأخ خالد صدره، وييسّر له أمره، ويمنحه التأييد والتسديد؛ حتّى يخرج الأجزاء السبعة التي هي تحت يديه الآن، ويعينه على إتمامها، عسى أن يجد فيها المسلمون ما ينير لهم الدرب، وما يضيء العقول بحسن الفهم، وما يوقظ القلوب بصدق الإيمان، وما يحرك العزائم ببواعث الشوق إلى الله، وعوامل الخشية من الله، ودواعي الرغبة والرغبة، إلى استباق الخيرات، والتنافس في الصالحات، والمسارعة إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتّقين.

ولعلّ أكثر من ينتفعون بهذه الخطب هم إخواننا وأبنائنا من خطباء المساجد، الذين ينتشرون في أنحاء العالم، ليأخذوا بأيدي الناس إلى الله، ويضيئوا لهم الطريق، بنور الإسلام الصحيح، فقد يجدون في هذه الخطب بعض الزاد الذي قد ينفعهم، مع وصيتي لهم بضرورة رعاية ظروف المكان والزمان وحال الإنسان.

فهذه خطب طويلة بطبيعتها، ولا أنصح كلّ خطيب أن ينهج نهجي في التطويل؛ فقد احتملني الناس على هذه الإطالة، وهذا من فضل الله تعالى عليّ، وما كلّ خطيب يحتمله الناس، والسنة هي التقصير.



وشكر الله لمكتبة وهبة قيامها بنشر هذه الخطب، وكلّ مَنْ ساهم في
تعميم النّفع بها.
والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلى الله على سيّدنا مُحَمَّد وآله.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة: ربيع الأوّل

سنة ١٤٢١هـ - يونيو ٢٠٠٠م

* * *







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمد الله تعالى، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(وبعد)

فهذا هو الجزء الثالث من «خطب الشيخ القرضاوي»، أقدمه للقراء الكرام، مشتملاً - كالجزأين السابقين - على عشرين خطبة من خطب الجمعة والعيدين، تنوعت موضوعاتها ومناسباتها وأزمنتها، ولكنها التقت كلها حول هدف واحد هو: تجديد الإسلام وإحيائه في العقول والقلوب والأنفس، وحشد الناس ألوفاً ألوفاً في ساحته، وجمعهم صفوفاً صفوفاً على دعوته.

وأنا - إن شاء الله - على العهد والوعد، مواصلاً المسيرة في إخراج أجزاء أخرى من هذه الخطب.

ولا يزال لدي - بحمد الله - ما يكفي لإخراج سبعة أجزاء أخرى، تضم سلسلات متنوعة، منها: العقيدة الإسلامية، والخلفاء الراشدين، ووصايا سورة الإسراء، والمرأة، والشباب، والحياة الزوجية، وأمراض الأمة، والمبشرات بانتصار الإسلام.



والله أسأل أن يمدني برُوح من لدنه، ويكرمني بعونه وتوفيقه، حتى أكمل بقية الأجزاء.

كما أسأله سبحانه أن يجزي شيخنا الجليل، وأستاذنا الكبير العلامة «يوسف القرضاوي» عن الإسلام وأُمَّته خيرًا، ويجزل له المثوبة بقدر ما أحيا من قلوب، ونشر من علم، وأشاع من حكمة.
وصلَّى الله على نبيه وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

خالد السعد

* * *





أبو بكر الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وتركنا على المحجَّة البيضاء، على الطريقة الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابه، وأحينا اللهم على سنَّته، وأمَّتنا على ملَّته، واحشرنا في زمرة، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هذا مسجد أبي بكر الصديق:

هذا المسجد يُنسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «مسجد أبي بكر الصديق»^(١).
 لماذا ينسب المسلمون مساجدهم ومدارسهم ومؤسّسات كثيرة
 عندهم إلى أبي بكر الصديق، وإلى أمثاله من الغرّ الميامين من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إنّ هذا اعتراف من المسلمين بفضل أولئك السابقين الأولين من
 المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وجوب التعرّف على جيل الصحابة:

لهذا كان من واجبنا أن نتعرّف على هذه الصفوة المباركة، على هذا
 الجيل الربّاني الذي تخرج في مدرسة النبوة، في مدرسة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.

كان من واجبنا أن نتعرّف على هؤلاء؛ فإنّ الإسلام لم يصلنا وإنّ
 القرآن والسنة لم يأتيا إلينا إلا عن طريق هؤلاء.

إنّ هذا الإسلام الذي نعيش في رحابه، ونحيا في ظلّه، لم يصل إلينا
 عفواً صفواً، وإنّما وصل إلينا عبر جهاد طويل، من أناس بذلوا أنفسهم
 ونفائسهم في سبيل الله، وكان في طليعة هؤلاء: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

أبو بكر الرجل الثاني في الإسلام:

أبو بكر أوّل من أسلم من الرجال، وأوّل من جمّع القرآن، وأوّل من
 سمّاه: «مصحفاً»، وأوّل خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أسندت خطبة الجمعة بهذا المسجد بالدوحة منذ إنشائه إليّ، وهذه أول خطبة ألقيت فيه،
 وكان ذلك قبل إنشاء مسجد عمر بن الخطاب وانتقالي إليه.

أبو بكر الصّدِّيق كما قال سعيد بن المُسيَّب سيد التابعين رضي الله عنه ، كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، وكان ثانيه في الغار: ﴿ثَانِيْنَا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في إمامة المسلمين الصغرى، وإمامتهم الكبرى، وكان ثانيه في القبر، وما قدّم المسلمون ولا قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر أحدًا.

أجل، أبو بكر الصّدِّيق أوّل من أسلم من رجال هذه الأُمَّة، جاء في الحديث: «ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلّا كانت عنده كبوة وتردّد ونظر، إلّا أبا بكر ما عكم - أي: تلبث - عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه»^(١).

فبمجرد أن دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل في الإسلام؛ لأنّه كان يعرفه من قبل، معرفة الصديق بصديقه، الذي يعرف مظهره ومخبره، ومدخله ومخرجه، من خلال عشرة طويّلة، وكان يرى فيه دلائل نبوة، ويعرف من أخلاقه أنّه ليس بكذاب، فما أن عرض عليه الإسلام حتّى أسلم.

ولما كان يوم الإسراء وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا بما وفّقه الله إليه من رحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، واستبعد هؤلاء ذلك، وذهب أحدهم إلى أبي بكر يعرض عليه ما قال صاحبه، كأنّه يتخيل أن يوافقه أبو بكر على التكذيب، قال له: أوقال ذلك؟ قال: نعم. قال: إن كان قاله فقد صدق؛ أني أصدّقه في خبر السماء - أن جبريل يأتي من فوق سبع سماوات إلى الأرض بآيات الله في لحظة - أفلا أصدّقه أن يذهب إلى بيت المقدس في ليلة؟

(١) السيرة النبويّة لابن هشام (٢٥١/١-٢٥٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

ولهذا سُمِّي «الصَّدِّيق»؛ لسرعة تصديقه للنَّبِيِّ ﷺ^(١)، ولملازمته للصدق في حياته كلَّها.

كان أبو بكر الرجلَ الثاني في الإسلام بعد رسول الله ﷺ، عرف ذلك المسلمون، عرفوا فضله، حتَّى في حياة النَّبِيِّ ﷺ، تغاضب أبو بكر وعمر في قضيَّة من القضايا، واشتدَّ أبو بكر على عمر في هذه القضيَّة، ثمَّ طلب أبو بكر من عمر السَّماح، فلم يسمح عمر وأبى، قال له: اغفر لي يا عمر. فلم يفعل.

فذهب أبو بكر يشكو عمر إلى النَّبِيِّ ﷺ، وأدرك عمر خطأه، فذهب إلى أبي بكر ليعتذر إليه، فلم يجده في البيت، فأقبل إلى النَّبِيِّ ﷺ فوجد وجهه مُتَمَعَّرًا - أن يستسمحه أبو بكر فلم يسمح - وخشي أبو بكر أن يغضب عليه النَّبِيُّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أنا كنت أظلم منه، أنا كنت أظلم منه. يريد أن يعفو عنه النَّبِيُّ ﷺ، فقال النَّبِيُّ ﷺ لعمر: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟»^(٢).

هكذا كانت منزلة أبي بكر من رسول الله ﷺ.

وفي الحديث المشهور: «ولو كنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ»^(٣).

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٦٢/٣)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٦١/٢)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٦٤٠)، عن أبي الدرداء.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٢)، عن أبي سعيد الخدري.

إشارات نبوية لترشيح أبي بكر لقيادة الأمة:

كانت منزلة أبي بكر عند رسول الله ﷺ وعند المسلمين منزلة كبيرة، ولهذا لما مرض النبي ﷺ قَدَّمَهُ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وهذا حديث متواتر، قال: «مُرُّوا أبا بكر فليُصَلِّ بِالنَّاسِ»^(١).

وكانت عائشة رضي الله عنها تحاول ألا يجعله خليفته في الصلاة؛ حتى لا يتشائم الناس به، ولكن النبي ﷺ أصرَّ أن يكون أبو بكر خليفته على الإمامة بالناس.

وكان في هذا إشارة إلى ترشيحه، وقد فهم المسلمون الإشارة وقالوا قولتهم بعد ذلك: رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدُنْيَانَا^(٢)؟!

وكانت هناك إشارات كثيرة من النبي ﷺ إلى ترشيح أبي بكر.

فقد جاءت امرأة تسأل النبي ﷺ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، أرايت إن جئتُ فلم أجِدْكَ؟ - كأنها تعني الموت - فقال: «فإن لم تجدني فأتني أبا بكر»^(٣).

كلُّ هذا إشارة إلى ترشيحه.

وفي الحديث الآخر: أراد أن يكتب كتاباً لأبي بكر، حتى لا يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى. فقال النبي ﷺ: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٤)، ومسلم في الصلاة (٤١٨)، عن عائشة.

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨٧٧/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١،

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، وتاريخ التشريع الإسلامي ص ٢٣٢، نشر مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٦)، عن جبير بن مطعم.

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٧)، وأحمد (٢٥١١٣) عن عائشة.

حتى ذهب من ذهب من علماء المسلمين إلى أن أبا بكر منصوِّصٌ عليه؛ أخذًا من مجموع هذه الإشارات والكلمات.

كان أبو بكر أوَّل من خَلَف رسول الله ﷺ، وكان جديرًا أن يكون مُقَدِّم هذه الأُمَّة؛ فقد عاش مع النَّبِيِّ ﷺ وشهد معه المشاهد كلها، ولم يغادره في سفرٍ ولا حضر.

يوم وليلة من أبي بكر خير من عمر:

ولما سمع عمر في خلافته أن بعض النَّاس يقَدِّمه على أبي بكر، صعد المنبر وقال: أما إنِّي سمعتُ بعض النَّاس يقول: كذا وكذا، وإنَّ يومًا وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر^(١). وذكر الليلة وذكر اليوم، أمَّا الليلة فكانت ليلة الهجرة، ليلة الغار، حيث صحب أبو بكر رسول الله ﷺ وسار معه إلى الغار، فكان تارة يمشي أمامه، وتارة يمشي خلفه، وتارة يمشي عن يمينه، وتارة يمشي عن شماله، فسأله النَّبِيُّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتذكر الرصد - أن يكون هناك أحد مترصدًا لك - فأمشي أمامك، حتَّى إذا حدث شيء تلقيته عنك، ثمَّ أتذكر الطلب - أن يكون أحد يطلبنا من خلفنا - فأمشي خلفك، ثمَّ أمشي عن يمينك، ثمَّ أمشي عن شمالك.

معنى هذا أنه كان يريد أن يفدي رسول الله ﷺ بنفسه، ولم يدخل الغار حتَّى تحسَّسه أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله ﷺ.

فهذه ليلة ذكرها عمر.

أمَّا اليوم: فيوم مات النَّبِيُّ ﷺ، وطاشت العقول، وغابت الأحلام، حتَّى ذهب بعض النَّاس إلى أنه لم يمت، وحتى إنَّ عمر نفسه قال: لا تقولوا هذا، من قال: إنَّ رسول الله قد مات، ضربت عنقه!

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٧٦/٢، ٤٧٧)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ.

فوقف أبو بكر - هذا الرجل اللين البكاء الخاشع - كأنه الجبل الأشم والطود الراسخ، وقال في خطبته الشهيرة: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال الصحابة: كأننا لم نسمع هذه الآيات التي طالما تلونها وسمعناها إلا اليوم.

أذهلتهم المصيبة، وأدهشتهم الصدمة، ولكن أبا بكر - وهو أشد الناس حبًا لرسول الله ﷺ وتعلقًا به - لم تذهله الصدمة، وكشف عن وجهه ﷺ وقال: طبت حيًا وميتًا يا رسول الله! ^(١)

كان أبو بكر رجل الموقف، كان هو الرجل الذي يحتاجه الموقف في تلك الساعة، وإنما الرجال بمواقفهم.

وقد ظهر فضله، وظهرت صلابته، وظهرت شجاعته، في المواقف كلها.

أبو بكر الخليفة الأول:

لقد قدمه المسلمون واختاروه وبايعوه خليفة لرسول الله.. تلكم الأنصار في أول الأمر، وقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. حتى وقف أبو بكر فخطب فيهم خطبته وقال: يا معشر الأنصار، والله لا ننكر فضلكم، وأنتم

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

كذا وكذا، ولكننا عصبة رسول الله ﷺ، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمنا في القرآن عليكم، ولا تدين العرب إلا لهذا الحيِّ من قريش، فلا تَنَفَّسوا على إخوانكم ما آتاهم الله تعالى، نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، ها أنا أَرْضِي لكم أحد هذين الرجلين: عمر أو أبا عُبَيْدَةَ.

قال عمر وأبو عُبَيْدَةَ: ما نُقَدِّم عليك أحدًا.

وسارع عمرُ فبسط يده فبايعه، وبايعه أبو عبيدة، ثم تسارع الأنصار بعدهما فبايعوه مختارين راضين^(١).

لقد قال لهم أبو عُبَيْدَةَ كلمة قلبت الموقف كله، قال لهم: يا معشر الأنصار، لقد كنتم أوّل من آوى ونصر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغير. فقالوا: والله ما نُقَدِّم على أبي بكر أحدًا^(٢).

كلمة واحدة قالها رجلٌ مُخلص، ففعلت فعلها في النفوس؛ لأنّ النفوس كانت مُطمئنّة بالإيمان، كانت الفِطْر سليمة، فإذا وُجِدَت الكلمة الصادقة فإنّها تفعل فعلها في هذه النفوس.

رجل المواقف.. حروب الردّة:

تجلّت مواقف أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ، وفي خلافته التي كانت خيرًا وبركة على المسلمين رغم قصر مُدَّتْها - سنتين وبضعة أشهر - ولكنها حفظت الإسلام وأبقته حيًّا مترعرعًا.

لولا وقفة أبي بكر وصلابته ما قامت للإسلام قائمة، ولكن الله قيّض لهذا الدين هذا الرجل.

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٨٣٠) عن ابن عباس.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٩١/٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١،

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

انظروا: مات رسول الله ﷺ وتسامع العرب بموته، تسامعت القبائل - وكان إسلامها لم يتمكن بعد - فارتدَّ الكثيرون، ومنع الزكاة الكثيرون، وساروا وراء المتنبيين الكذابين: مسيلمة في بني حنيفة، وسجاح بنت الحارث في بني تميم، والأسود العنسي في اليمن، وطليحة الأسيدي في أسد وغطفان، وكانوا يعلمون أنَّ هؤلاء كذابون، ولكنها العصبية الجاهلية. كانوا يقولون: كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر^(١). يريدون نبياً قومياً وطنياً قبطياً، من قبيلتهم، ولو كان كاذباً.

انتشرت الردة في كلِّ مكان، وقال آخرون: نُصَلِّي ولا نزكي؛ إنما كانت الزكاة لرسول الله؛ لأنَّ صلاته سكن لنا، أمَّا أبو بكر فلا يأخذ منَّا الزكاة؛ لأنَّ صلاته ليست سكنًا لنا.

حدث هذا كله، فماذا صنع أبو بكر؟

الإسلام أوَّل من حارب من أجل الفقراء:

أبي أبو بكر إلاَّ الإسلام كله، أبي أن يتنازل عن شيء من الإسلام، حتَّى إنَّ عمر بن الخطاب على قوَّته في دين الله، جاء إليه يقول له: يا خليفة رسول الله، تألَّف القوم؛ فإنَّهم كالوحش وارفق بهم.

فقال: ماذا تقول يا ابن الخطاب؟! أجبار في الجاهلية خوَّار في الإسلام؟! أأرجو نصرتك فتجيئني بخذلانك؟! ماذا تريدني أن أفعل بهم؟ أتيتهم بشعر مفتعل أم بسحر مفترى؟! والله لأجاهدَّهم ما استمسك السيف بيدي، والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة^(٢).

(١) قاله طلحة النمري، وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقرباء كافرًا. انظر: الكامل في التاريخ (٢/٢١٦).

(٢) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متَّفَق عليه: بغير هذا اللفظ.

قال عمر: كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١)؟

قال أبو بكر: أمّا والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حقّ المال. أي: وقد قال: «إلا بحقها».

فكان أبو بكر أفقه من عمر في فهم الحديث.

ولذلك لمّا رأى عمر صلابته واستمساكه قال: فما إن رأيتُ أبا بكر قد انشرح صدره للقتال إلا وقد علمت أنه الحقُّ^(٢).

ووقف الصحابة جميعاً بجانبه، وجَهَّز أحد عشر لواء، وعقد لأحد عشر قائداً من قواد المسلمين، يذهبون إلى هؤلاء القبائل الذين ارتدوا والذين منعوا الزكاة، وقال قولته المعروفة: والله لو منعوني عناقاً - أي: عنزاً صغيرة - وفي رواية: لو منعوني عقالاً - أي: حبلاً يربط به البعير - كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(٣).

وكان أبو بكر أوّل حاكم يعرفه التاريخ يُجَيِّش الجيوش، ويعلن الحرب من أجل انتزاع حقوق الفقراء من أيدي الأغنياء، قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكية والشُّيوعيّة وغيرها.

وإنّما فعل ذلك بأمر الله ورسوله، إنّه يعلم أنّ الزكاة حقّ، تؤخذ طوعاً، وإلا أخذت كرهاً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢١)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) جزء من الحديث السابق.

كان أبو بكر أوّل من حارب من أجل الفقراء، ما سير الفقراء مظهرة
تطالب بحقوقهم، ولا عقدوا مؤتمراً، ولا قدّموا عريضة، ولكن هو الحقّ
الذي قرره لهم الإسلام.

هكذا، كان هذا الرجل البكاء، الذي كان إذا دخل في الصلاة وقرأ
القرآن بكى حتّى يختفي صوته من البكاء، وانهمرت دموعه حتّى تبلل
لحيته، ولكنّه في المواقف الصعبة يظهر أسداً هصوراً.

إنفاذ جيش أسامة:

كان النبي ﷺ قد أمر الحبّ بن الحبّ أسامة بن زيد - الشابّ المؤمن
ابن الثامنة عشرة - على جيش فيه من كبار الصحابة مثل: عمر بن
الخطّاب رضي الله عنه، أمره ليذهب إلى حيث ذهب أبوه من قبل في مؤتة،
ليذهب للقاء الروم؛ حتّى لا يظنّ الروم أنّ المسلمين قد ضعفوا، أو أنّهم
قد يئسوا.

أراد النبي ﷺ أن يُلقِي الرعب في قلوب القوم، وأمّر عليهم هذا
الشابّ المتوثّب من شباب المسلمين، الذين كان يشغلهم الجهاد والفتح
وإعلاء كلمة الإسلام في الأرض.

ولكنّ النبيّ ﷺ ثقل به المرض، فقالت فاطمة بنت قيس زوجة
أسامة: إنّ النبيّ ﷺ ثقل، فلا تعجل بالذهاب^(١).

و شاء الله أن يختار رسوله ﷺ الرفيق الأعلى، فكان رأي المسلمين
- بعد أن رأوا ما رأوا من ارتداد من ارتدّ - ألاّ يُنفذ جيش أسامة.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر،

ارتدّت العرب، ذهب فيهم الردّة كلّ مذهب، ولم يبق هناك إلّا المدينة ومكّة والطائف.

هنالك جاء بعض المسلمين يقولون لأبي بكر: لا تُنفذ جيش أسامة، نحن في حاجة إليه، رُدَّ أسامة ومن معه؛ فإنَّ القبائل قد ارتدّت حول المدينة. فقال: ماذا تقولون؟ أتريدون مني أن أؤخر جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ؟ والله لو رأيتُ السباع تتخطفني، ولو جرت الكلاب بخلاخل أمّهات المؤمنين، ما أخرت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله ﷺ! (١)

وأبي إلّا أن ينفذ جيش أسامة.

كان أبو بكر متبّعاً لا مبتدعاً، كان مؤمناً بالله ورسوله، كانت مزيتته هو هذا اليقين الذي يملأ عليه جوانب صدره، ولذلك جاء في الأثر: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة بصلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في صدره» (٢) بسرّ وقر في صدره، هو سرّ الإيمان واليقين الذي لا يتزعزع أبداً.

أنفذ جيش أسامة، فما كان يمرُّ بقبيلة من قبائل العرب إلّا قالوا: ما ذهب هؤلاء للقاء الروم إلّا وبهم قوّة ومنعة.

فأدخل ذلك الرعب في قلوبهم، وقالوا: ننتظر حتّى نرى ماذا يفعلون مع الروم، أو يفعل معهم الروم.

(١) البداية والنهاية (٣٠٤/٦)، نشر دار الفكر.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٤٨، ١٤٩، من قول بكر بن عبد الله المزنيّ،

تحقيق عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بيروت.

فذهب أسامة ومن معه، ونصرهم الله، وهزم عدوهم، وعادوا سالمين غانمين، فكان في ذلك خير وبركة على الإسلام والمسلمين.

كان أبو بكر هو رجل الموقف بحق، بعث الجيوش هنا وهناك لتأتي بالزكاة من المانعين، وترد هؤلاء المتنبئين الكذابين ومن معهم إلى حظيرة الإسلام.

من عاد إلى الإسلام بالحسنى فيها ونعمت، وإلا فالحكم بينه وبين المسلمين السيف، وقد حُكِّم المسلمون سيوفهم في أولئك حتى رجعوا إلى الإسلام.

معركة اليمامة:

كانت من المعارك الفاصلة في عهد أبي بكر: معركة اليمامة، معركة المسلمين مع مسيلمة الكذاب وقومه، كان يوماً من أيام الله، قاتل فيه بنو حنيفة تحت راية مسيلمة قتالاً لم يُعهد مثله، كانوا مستبسلين.

وقاتل الصحابة قتالاً لم يُعهد مثله وصبروا صبراً لم يُعهد مثله.

قيس بن ثابت حفر لنفسه في الأرض إلى أنصاف ساقيه؛ حتى لا يفرّ ولا يغادر مكانه إلا أن يموت في سبيل الله.

زيد بن الخطاب - شقيق عمر - قال: يا قوم، عضُّوا على أضراسكم، واثبتوا على أقدامكم، وامضوا قدماً، والله لا أتكلّم بكلمة حتى نتصر، أو ألقى الله شهيداً في سبيل الله، فأكلمه بحجّتي. فلم يتكلّم حتى خرّ شهيداً، ولقي الله مع الشهداء^(١).

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢٩١/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

حُذِيفَةُ بن اليمَان كان ينادي في الناس: يا أَهْلَ القرآن، زَيِّنُوا القرآن بالفعال، يا أَهْلَ القرآن، زَيِّنُوا القرآن بالفعال^(١).

كان نداء الصحابة ونداء القرّاء: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السّحر اليوم.

قيل لسالم مولى أبي حُذِيفَةَ: إنّنا نخشى أن نؤتى من قبلك.

قال: تَخْشَوْنَ أن تُؤْتُوا من قبلي؟! بئس حامل القرآن أنا إن أوتيت من قبلي^(٢)!

ولذلك كان معظم الشهداء في هذا اليوم من حملة القرآن.

كان يومًا من أيام الله، انتصر فيه الإسلام، وقُتِلَ فيه مسيلمة الكذاب، قتله وَحْشِيٌّ بن حرب، ذلك الرجل الأسود الذي قتل بحربته أسد الله وأسد رسوله: «حمزة بن عبد المطلب» في أُحُد.

هذه الحربة قال: لا بدَّ أن أقتل بها مسيلمة تكفيرًا عن خطيئتي من قبل. ولذلك كان يقول: قتلتُ خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ، وقاتلتُ شرَّ النَّاس^(٣).

انتصار الإسلام في عهد أبي بكر:

هكذا كان انتصار الإسلام في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان هذا دليلًا على القوّة الكامنة في طبيعة الإسلام، والتي تظهر أقوى ما تكون في أيام المِحْن والشدائد.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢٩١/٣).

(٢) تاريخ الطبري (٢٨٨/٣).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٦٠/١)، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، نشر دار الراجعية، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

في عهد أبي بكر رضي الله عنه عاد النَّاس إلى حظيرة الإسلام.

هؤلاء المرتدُّون أبوا إلى رشدهم، ورجعوا إلى الإسلام، وكان منهم بعد ذلك من وهب نفسه للقتال في سبيل الله؛ تكفيرًا عمَّا صدر منه في حرب الإسلام وأهله، فكانوا في طليعة المقاتلين الَّذِينَ قاتلوا تلك الدول الطاغية المتجبرة في الأرض: فارس والروم.

هكذا كانوا، وذلك بفضل أبي بكر رضي الله عنه وموقفه الصُّلب الشجاع.

ردّة ولا أبا بكر لها:

ونحن اليوم حينما نرى ألوانًا من الردّة تظهر في مجتمعاتنا الإسلاميّة، تعلن عن نفسها، وتتحدى عقائد الأُمَّة ومشاعرها، وتتهجم على القرآن، وعلى الرسول، وعلى الشريعة، نقول بألم وحسرة ما قاله العلامة أبو الحسن الندوي: «ردّة ولا أبا بكر لها»^(١)!

الباذل كلّ ما عنده للإسلام:

عاش أبو بكر رضي الله عنه حياته للإسلام منذ آمن، ولم يعرف إلا هذا الدين، بذل نفسه وبذل ماله لله، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلِيَّ أَبُو بَكْرٍ فِي مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ»^(٢).

وقال: «ما نفعتني مال ما نفعتني مال أبي بكر». فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله، وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله^(٣)!؟

(١) عنوان رسالة لطيفة للداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمته الله.

(٢) سبق تخريجه ص ١٦، وفيه: «ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا».

(٣) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في

المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب.

كان عنده أربعون ألف دينار - أو درهم - قبل الهجرة، فلمّا هاجر لم يكن معه منها إلا خمسة آلاف، لم تزد كما يزيد مال التجار، وإنّما نقصت إلى هذا الحد، وإنّما أنقصها أنّه كان يشتري العبيد المستضعفين الذين يُعذّبون ويعتقهم.. اشترى سبعة أنفس ممن يُعذّبون في الله منهم: «بلال بن رباح»، ولذلك كان عمر يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا^(١).

وقد أجمع المفسّرون على أنّ الآيات الكريمة في سورة «الليل» نزلت في أبي بكر: ﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَنْفَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

قال عمر: أمر رسول الله ﷺ يوماً بالصدقة، وقد اجتمع عندي مال، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فأخذتُ نصف مالي - وهو يظن أنّ أحداً لن يصل إلى ما وصل إليه - وذهبت به إلى النبي ﷺ، فقال: ماذا تركت لأهلك يا عمر؟ قلت: تركت لهم مثله يا رسول الله، فدعا لي.

ثم جاء أبو بكر بماله، فقال: ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله. أي: جاء بماله كله. فقال عمر: والله لا أسابقك إلى شيء أبداً^(٢).

رجل القرآن:

كان السابق في الخيرات، كان المقدم في كل شيء: في الإيمان، في الفقه، في البذل، في السلوك.

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والبزار (٢٧٠)، وقوّاه، والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن عمر بن الخطاب.

عاش بعد رسول الله ﷺ سنتين وبضعة أشهر، ثم وافاه المرض، فلما مرض نظرت إليه «عائشة» ابنته، الصديقة بنت الصديق - وهو على فراش الموت - فتمثلت بقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)

فكشف أبو بكر عن وجهه - وهو يعاني سكرات الموت - وقال: لا تقولي هذا يا بُنَيَّةَ، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]^(٢).

هذا أبو بكر يعيش مع القرآن، حتى ساعة الاحتضار، وقد أغناه القرآن عن الشعر، هذا خليفة رسول الله ﷺ.

التدقيق في الكلمات:

دخل عليه بعض الناس بعد الخلافة، فقال له: يا خليفة الله. قال: لا، بل أنا خليفة رسول الله، وأنا راضٍ بذلك^(٣).

خشي أن تستخدم هذه الكلمة، كأنه يتلقى عن الله، أو نحو ذلك، كما يقوله دعاة «الحق الإلهي» الذي كان يدّعيه بعض الناس لملوكهم وأباطرتهم: أن عروقهم يجري فيها دم إلهي معين - غير دماء الناس - يعصمهم من الخطأ، فنفى أبو بكر ذلك من أول الأمر وقال: أنا خليفة رسول الله.

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٢٣، شرح أحمد رشاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢ م.

(٢) رواه أبو نُعَيْمٍ في معرفة الصحابة (١٠٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن،

الرياض، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) رواه أحمد (٥٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه.



رضي الله عن أبي بكر، ورضي عمّن عاونه وناصره من صحابة
رسول الله ﷺ.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى
الله على مُحَمَّد وآله، ادعُوا الله يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

الحمد لله، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء.

وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَمَّنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ، وَجَاهَدَ جِهَادَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

علينا أن نرجع إلى تاريخنا:

من الواجب علينا أن نرجع إلى تاريخنا، وأن نتعرَّف على هؤلاء الميامين المباركين من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسانٍ.

إنَّ الكثيرين مِنَّا يجهلون هذا التاريخ العظيم، وهو تاريخ حافل، وأكثر من يعرفون مِنَّا شيئاً عنه، إنَّما يعرفون الوقائع السياسيَّة الشهيرة، ولا يعرفون ما تمتلئ به صفحات الكتب من فضائل ومناقب لكلِّ هؤلاء الأبطال.

إنَّ الإسلام إنَّما انتشر في الأرض بأخلاق هؤلاء. ما انتشر الإسلام بالسيف كما يقول الأفَّاكون، إنَّما انتشر الإسلام بالأخلاق، بالإيمان، بالعمل.

رَأَى النَّاسُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ: الْإِسْلَامَ مَجَسَّمًا، رَأَوْا فِيهِمُ الصِّدْقَ، الْأَمَانَةَ، الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا، الرَّغْبَةَ فِي مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حُبَّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، الرَّحْمَةَ بِخَلْقِ اللَّهِ، فَأَحْبَبُوا هَذَا الدِّينَ.

إِنَّ الَّذِي يَحْجِزُ الْأُمَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ إِنَّمَا هُمْ «الْمُسْلِمُونَ».

أَغْلَظُ حِجَابَ حَاجِزٍ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ: حَالُ الْمُسْلِمِينَ، وسلوك المسلمين، هؤلاء الذين يعبثون بالأموال، بالملايين في أوروبا وأمريكا، هؤلاء الذين لا يراهم الناس إلا مخمورين، هؤلاء الذين يراهم الناس بهذا السوء، ثم يعرفون أنهم «مسلمون» فينفرون الناس من الإسلام.

إِنَّ أَحْوَجَ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ: أَنْ نَعْرِفَ تَارِيخَنَا، وَنَعْرِفَ أَوَّلَ مَا نَعْرِفُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ ظَلَمَهُمْ مِنْ ظَلَمِهِمْ.

تَصَوَّرُوا أَنَّ هُنَاكَ فِئَةٌ مِنَ النَّاسِ تَذُمُّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، وَأَمثالهما من أصحاب رسول الله ﷺ!

هل رأت الدنيا مثل هؤلاء!؟

هل اكتحلت عين الدنيا برؤية مثل هؤلاء الصفوة الأخيار!؟

هذا الجيل الرباني، الإنساني، القرآني، الأخلاقي، الذي لم يُر مثله قَطُّ هو ثمرة التربية النبوية، وخريج المدرسة المحمدية، فمن طعن فيه فكأنما يُشكك في ثمار النبوة.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِمَّنْ يَسِيرُونَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِ أَصْحَابِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنا مِنْ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَى﴾ [الزمر: ١٨].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيانا، وأهلينا وأموالنا.



اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



رسالة المسجد في الإسلام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مكانة المسجد في الإسلام:

حديثنا اليوم عن رسالة المسجد في الإسلام. المسجد في الإسلام دار العبادة، ومكان الصلاة.

كلمة المسجد مشتقة من «السجود»، أي: موضع السجود، وعُبر عن الصلاة - أعظم العبادات - بالسجود؛ لأنّه الركن الذي يتجلى فيه الخشوع الكامل، والخشوع الشامل لله تعالى، كما في الحديث الصحيح: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد»^(١).

المسجد هو مكان الصلاة، مكان هذه العبادة اليوميّة، التي جعلها الإسلام عمودًا له، فالصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدّين.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

وجعلها الله خمس مرّات في اليوم واللييلة، أشبهه بالوجبات الرُّوحِيَّة التي يحتاج إليها الإنسان، كما يحتاج إلى الوجبات الغدائيَّة الماديَّة لجسمه، حمّام يتطهَّر به كلَّ يوم خمس مرّات: «أرأيتم لو أنّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كلَّ يوم خمس مرّات، هل يبقى من درنه^(١) شيء؟». قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا»^(٢).

وقد ندب الإسلام إلى الصلاة في المسجد، صلاة الجماعة، فهي إمّا سُنَّة مؤكّدة، وإمّا فرض كفاية، وإمّا فرض عينٍ كما يرى ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه.

فللجماعة أهمّيّتها في الإسلام، ومن هنا نشأت أهمّيّة المساجد لتبني الإيمان وتزرع اليقين، وتذكّر بالله تعالى وبالיום الآخر، وتصل المسلم بحقائق الإسلام، يتعلّم في المسجد ما جهل، ويتذكّر ما نسي، ويُقوّي ما ضعّف من أمر دينه.

ليس ارتباط المسلم بالمسجد كما يرتبط النّصراني مثلاً بالكنيسة، يزورها مرّة في الأسبوع.

لا، إنّ المسجد يرتبط بحياة المسلم يوميًّا، وإذا تكاسل عن الجماعة صلاة أو صلاتين تفقّده إخوانه وسألوا عنه، فإن كان مريضًا عادوه، وإن كان مشغولًا أعانوه، وإن كان مسافرًا دعوا له وتفقدوا أهله، وإن كان ناسيًا ذكروه، وهكذا.

(١) الدرر: هو الوسخ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسلم في المساجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

كان المسجد هو الملتقى اليومي للمسلمين، ومن هنا حثَّ الإسلام على بناء المساجد، وجعل لبناء المسجد قيمة عند الله، جعله بابًا إلى الجنة، حتى قال النبي ﷺ: «من بنى لله مسجدًا قدر مَفْحَصَ قَطَاةِ بَنِي اللَّهِ له بيتًا في الجنة»^(١).

القطة: طائر صغير. ومَفْحَصُ قَطَاةٍ: هو المكان الضيق الذي تَفْحَصُ التراب عنه لتبيض فيه، أي: مهما بلغ من الصغر والضيق فإنَّ له عند الله بيتًا في الجنة.

هكذا تسابق المسلمون قديمًا إلى بناء المساجد، ولا يكاد يوجد خليفة أو سلطان أو أمير إلا حاول أن ينشئ مسجدًا، أو يحيي مسجدًا، ولا غرو أن كان أول مؤسسة أنشأها رسول الله ﷺ بعد الهجرة هي المسجد النبوي، الذي كان محور النشاط في المجتمع كُله.

ومن هنا كانت أهميَّة المشي إلى المسجد، كلُّ من مشى إلى المسجد كتب الله له بكلِّ خطوة حسنة، ورفع له بها درجة، ومحا عنه سيئة.

فضل المشي إلى المسجد:

ولهذا لما أراد بنو سَلِمة من الأنصار أن يتركوا أماكنهم البعيدة وينتقلون إلى أماكن قريبة من مسجد النبي ﷺ منعهم النبي ﷺ .

أرادوا أن يتركوا أماكنهم التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، وأن

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣١٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٤٩)، وابن حبان في الصلاة (١٦١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. والطبراني في الصغير (١١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٩). عن أبي ذر.

يأتوا قُرب المسجد فقال لهم: «يا بني سَلِمَة، دياركُمْ تُكْتَبُ آثاركُمْ، دياركُمْ تُكْتَبُ آثاركُمْ»^(١)، أي: الزموا دياركم، وآثاركم وخطواتكم مكتوبة لكم.

وقال النبي ﷺ: «المشَّاءون إلى المساجد في الظُّلم أولئك الخَوَّاضون في رحمة الله تعالى»^(٢).

من مشى للمسجد وخاصة في ظلمات الليل أولئك الخَوَّاضون في رحمة الله.

وقال: «بَشْرُ المشَّائين في الظُّلم إلى المساجد بالنُّور التامَّ يوم القيامة»^(٣).

فكل غدوة أو روحة إلى المسجد لها أجرها عند الله، وفي الحديث: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعدَّ الله له في الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح»^(٤).

هكذا كانت قيمة المسجد، وهكذا منزلة المسجد.

ولهذا كان اعتياد المشي إلى المساجد وعمارتها بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن دليلاً على الإيمان.

- (١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٥)، وأحمد (١٤٥٦٦)، عن حديث جابر.
- (٢) رواه ابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٧٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٩٣٦)، عن أبي هريرة.
- (٣) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وقال: غريب. كلاهما في الصلاة، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٥). عن بريدة.
- (٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٢)، ومسلم في المساجد (٦٦٩)، عن أبي هريرة.

روى الترمذي عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»^(١)، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

والعمارة ليست بالبناء فقط، من ذهب إلى المسجد مصلياً أو مسبحاً أو تالياً أو جالساً في حلقة علم أو منتظراً للصلاة أو لتلاوة قرآن فهو يعمر المساجد.

والحديث ضعيف الإسناد، ولكن عمدتنا هي الآية الكريمة.

للمسجد منزلة أي منزلة في الإسلام، ولهذا كان في عهد النبي ﷺ مركز الدعوة، ودار الدولة، الدعوة تنطلق من المسجد، والدولة أيضاً كانت تتمثل في المسجد.

كان النبي ﷺ يستقبل المندوبين والوفود والسفراء القادمين من البلاد الأخرى في المسجد، ويقابل أصحابه في المسجد، ويعلمهم في المسجد، وتنطلق الجيوش من المسجد، وكان المسجد محور الحياة الإسلامية، ومحور النشاط الإسلامي كله.

المسجد جامع وجامعة:

كان المسجد جامعاً للعبادة، وجامعة للعلم. كان جامعة شعبية مفتوحة الأبواب في الصيف والشتاء، في الخريف والربيع، للرجال

(١) رواه أحمد (١١٧٢٥)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. والترمذي في الإيمان (٢٦١٧)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المساجد (٨٠٢)، عن أبي سعيد الخدري. وصحّحه ابن خزيمة في إمامة الصلاة (١٥٠٢)، وابن حبان (١٧٢١)، والحاكم (٢١٢/١)، وصحّحه، وتعقبه الذهبي: فيه دراج كثير المناكير. كلاهما في الصلاة، عن أبي سعيد الخدري. ومعناه صحيح بدلالة الآية.



وللنساء، للكبار وللصغار، يتعلّم فيها الدين، ويتعلّم فيها الأدب، ويتعلّم فيها الخلق، مدرسة تعلّم العلم والعمل، وتربي النفوس، وتعلّم الرؤوس، تُعنى بالتطبيق قبل النظرية.

كانت الجوامع جامعات، ومن هنا عرفنا الجامعات العلميّة العريقة في العالم الإسلامي باسم الجوامع: جامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في المغرب.

هذه الجامعات من أعرق - أو هي أعرق - الجامعات في العالم، نشأت تحت سقوف الجوامع، وفي ساحات المساجد.

المسجد للرجل وللمرأة جميعًا:

كان المسجد جامعة شعبية مفتوحة للرجل والمرأة، لم تكن المرأة محرومة من المساجد، كما حرّمها المسلمون في العصور الأخيرة.

كان مسجد النبي ﷺ يتسع للرجال وللنساء، كان للرجال الصفوف الأمامية، وكان للنساء الصفوف الخلفية، ولم يكن بينهم أي حاجز لا من خشب، ولا من بناء، ولا من نسيج.

وكانوا يدخلون من أبواب واحدة، ثم رأى النبي ﷺ في بعض الأوقات مزاحمة الرجال بالنساء، فقال: «لو تركنا هذا الباب للنساء»^(١).

قال ابن عمر: فلم أدخل منه، ولم أخرج بعد منه^(٢).

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح أبو داود والدارقطني في العلل (٢٩٢٢) الموقوف، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود مرفوعًا (٤٨٣)، عن ابن عمر.

(٢) وهذا مشهور من سيرة ابن عمر، أنه كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ.

صار هذا الباب للنساء، ولا زال إلى اليوم مكتوبًا عليه: «باب النساء». من زار مسجد النبي في المدينة، رأى هناك بابًا يسمى باب: «النساء». ولهذا ممَّا سرَّني في هذا المسجد أن يكون هنا مكان للمرأة المسلمة، تأتي لتسمع الموعظة، وتشارك في العبادة الإسلامية، كما شارك نساء الصحابة، وأمَّهات المؤمنين في العهد النبوي وعهد الصحابة رضي الله عنهم شاركت.

لم يحرم الإسلام المرأة من العبادة، ولا من الموعظة، ولا من الدروس، فلا داعي للتشدد الذي تشدَّد به بعض العلماء في العصور الفائتة؛ فإنَّ المرأة اليوم قد خرجت وذهبت إلى المدرسة، وذهبت إلى الجامعة، وذهبت إلى السوق، وسافرت بكلِّ وسائل النقل، فلماذا نحرمها من المسجد؟!

وقد قال العلماء: إنَّها تبقى في بيتها، وعلى زوجها أو على أبيها أن يفقَّها في دينها، ولكنَّ أين الأب الذي يعلم ابنته؟ وأين الزوج الذي يفقُّ امرأته؟ وقد قيل: فاقد الشيء لا يعطيه!

فعلى المرأة أن تأتي إلى المسجد، وليس لزوجها أن يمنعها، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(١)، إذا أرادت المرأة أن تُصَلِّي في المسجد مثل هذه الصلاة (صلاة الجمعة) أو تحضر درسًا أو موعظة، فلا يجوز لزوجها أن يمنعها؛ إذ لا ينبغي أن تمنع إماء الله مساجد الله، المسجد جامعة، مدرسة عامَّة للمسلمين والمسلمات جميعًا.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

المسجد برلمان للأمة:

والمسجد برلمان للأمة. كان المسلمون إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم مُلِّمة، اجتمعوا في المساجد يتشاورون ماذا يفعلون؟

كان المسجد ملتقى الحاكم والمحكوم، بل كان حاكم المسلمين هو الذي يؤمُّهم، فليس في الإسلام انفصال بين الدِّين والدنيا، ليس هناك رجال الدين ورجال الدنيا، كلُّ مسلم رجل لدينه، الذي رشَّح أبا بكر للخلافة في نظر المسلمين أنَّ النَّبِيَّ ﷺ استخلفه لإمامة النَّاس في الصلاة، فقال عمر كَلِمَتِهِ: رضيه رسول الله لدينا أفلا نرضاه لدُنْيَانَا^(١)!؟

الحاكم يعرض سياسته من فوق المنبر، يقول للنَّاس ماذا يريد منهم، وماذا يريدون منه.

اعتلى أبو بكر رضي الله عنه المنبر ووقف يقول: أما بعد، أيُّها النَّاس، فأنِّي قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حقِّ فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطلٍ فقوموني، القويُّ فيكم هو الضعيف عندي حتَّى آخذ الحقَّ منه، والضعيف فيكم قويُّ عندي حتَّى آخذ الحقَّ له، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم^(٢)!

بيان ألقاه خليفة يقول فلا يكذب، ويعد فلا يُخلف. وسمعتُه أُمَّة تسمع فلا تنسى، وتحاسب فلا تخشى.

(١) سبق تخريجه ص ١٧.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨٩/٨، ٩٠)، وصحَّح إسناده.

برلمان نوابه: ﴿التَّيِّبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ
الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

المساجد الجامعة:

المسجد مؤتمر عام للمسلمين، وخاصة في مثل هذا الاجتماع
الأسبوعي: اجتماع الجمعة. المفروض أن يلتقي أهل الحي في مسجدهم
في الصلوات الخمس، ويجتمع أهل المدينة أو أكبر مجموعة منها في
الجامع الكبير لصلاة الجمعة.

كانت سياسة المسلمين إذا بنوا مدينة أن يبنا مسجداً جامعاً يسع
أهلها جميعاً.

هذه كانت سياستهم منذ عهد النبي ﷺ.

بنى النبي مسجده في المدينة ليسع أهل المدينة، ولما كثر المسلمون
وسَّعه الخلفاء الراشدون.

لما دخل عمرو بن العاص إلى مصر بنى جامعاً في الفسطاط، في
مصر القديمة، ليسع أهل الفسطاط في ذلك الوقت.

ولما بنى أحمد بن طولون بعد ذلك مدينة القطائع بنى جامعاً
ضخماً؛ ليسع أهل المدينة التي بناها.

ولما بنى جوهر الصقلي بعد ذلك مدينة القاهرة بنى جامع الأزهر؛
ليسع أهل القاهرة.

لم تكن سياستهم بناء جوامع صغيرة أو مساجد ضيقة تسع مائة أو
مائتين، وتزخرف وتزين، ولكنها لا تتسع للآلاف من الناس.

لا، المفروض في المساجد أن تتسع للآلاف، وأن يكون المسجد مجتمعاً للجماهير المسلمة، وكأنَّ الحاكمين والساسة يخافون من التجمعات الدينيَّة الإسلاميَّة، فأوعزوا أن تكون المساجد من الضيق والصغر بحيث لا تسع النَّاس.

الأصل في المساجد أن تكون جامعة، وأن يقلَّ عددها، وتتسع مساحتها، ولو كانت المساجد بهذه المثابة لاستطعنا أن نهيع لها خطباء مجيدين ووعاظاً نابغين، أمَّا أن يكون في المدينة الواحدة ألف مسجد، فمن أين تأتي بألف خطيب؟

الأصل في المساجد أن تكون جامعة واسعة رحبة، ولهذا قال الفقهاء: إنَّه لا يجوز أن تصلى الجمعة في مسجد إلاَّ إذا امتلأ المسجد الآخر، وينبغي ألاَّ تتعدد المساجد إلاَّ لحاجة.

والآن المساجد كلُّها ممتلئة لأنَّها صغيرة، ولذلك يصلى في جميع بلاد المسلمين في الشوارع وفي الطرقات، ليست هناك مساجد مثل الأزهر وابن طولون وعمرو بن العاص وغيرها^(١).

المسجد في نظر المبشِّرين:

أيُّها الإخوة المسلمون:

في أوائل هذا القرن جاءت حملة تبشيرية على مصر، ولكنها لم تنجح، باءت بالفشل، فكتب كبير المبشِّرين تقريراً يقول فيه: سيظلُّ الإسلام صخرة عاتية تحطم عليها محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الأركان الأربعة: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

هكذا كانت رؤيتهم لهذا المؤتمر الأسبوعي للمسلمين.

(١) راجع رسالتنا: الضوابط الشرعية لبناء المسجد، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

المسجد يُعَلِّمنا النظام:

في المسجد نتعلّم أشياء كثيرة:

في المسجد نتعلم النظام والطاعة والجنديّة: «سَوُّوا صفوفكم؛ فَإِنَّ تسوية الصفِّ من تمام الصلاة»^(١)، «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»^(٢)، «ولینوا بأيدي إخوانكم»^(٣)، «إِنَّمَا جُعِلَ الإمام لِيؤْتَمَّ به، فإذا صَلَّى قائمًا فصلُّوا قيامًا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»^(٤)، «الَّذِي يخفض ويرفع قبل الإمام إِنَّمَا ناصيته بيد شيطان»^(٥)، «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوعٍ أو سجودٍ قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار»^(٦)؛ لأنَّه لم يفقه معنى النُّظام ولا معنى الصلاة، فهو جدير بأن يخرج من الإنسانيّة، وأن يمسخ الله رأسه رأس حمار.

المسجد يُعَلِّمنا الحرّيّة:

نتعلّم في المسجد الحرّيّة والإخاء والمساواة: المعاني والقيّم الإنسانيّة التي ينادي بها المنادون اليوم، ويتاجرون بها على المسلمين، المسلمون هم أصحابها، المسلمون هم دعائها، المسلمون هم أوّل من دعا إليها نظريًا وطبقها عمليًا.

- (١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٢٣)، ومسلم في الصلاة (٤٣٣)، عن أنس.
- (٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٢)، وأحمد (١٧١٠٢)، عن أبي مسعود الأنصاري.
- (٣) رواه أحمد (٥٧٢٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (٦٦٦)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٠٩١)، عن ابن عمر.
- (٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٣٢)، ومسلم في الصلاة (٤١١)، عن أنس بن مالك.
- (٥) رواه مالك في الصلاة (٣٠٦)، تحقيق الأعظمي، عن أبي هريرة موقوفًا.
- (٦) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٩١)، ومسلم في الصلاة (٤٢٧)، عن أبي هريرة.

أي حرية أعظم من حرية الضمير؟ أن يصلي في المسجد، فلا يخضع إلا لله، ولا يدعو إلا الله، ولا يخشع لأحد مهما كان لأن المساجد لله، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

حرية التعبير وحرية الرأي: إذا صلي وراء الإمام وأخطأ الإمام فمن حق المصلين خلفه بل من واجبهم - أن ينبهوه، ولا سيما إذا كان الخطأ جسيمًا؛ حتى يعود إلى الصواب، هذا يقول له: سبحان الله، وآخر يصحح له الآية، وأخرى من وراء الصفوف تصفق له بيدها؛ لأن المرأة يكون تصحيحها بالتصفيق لا بالكلام، وهكذا.

وإذا اعتلى الخطيب المنبر، فليس دكتاتورًا يفرض على الناس ما يريد، إذا أخطأ فمن حق أي جالس في المسجد أن ينبهه، وأن يناقشه، بل من حق المرأة في الصفوف الخلفية أن تفعل ذلك، كما فعلت المرأة التي ردت على عمر في مسألة المهور، وقالت له: كيف تقول في المسألة هذا، وقد قال الله كذا وكذا؟ فقال: أصبت، وقال للناس: أصابت المرأة وأخطأ عمر^(١)! ورد رجل من غمار الناس على علي بن أبي طالب ورجع إلى رأيه وقال: أخطأت أنا وأصبت أنت، وفوق كل ذي علمٍ عليم.

هذا يعلمنا أن المسجد هو موئل الحرية، ومعلم الحرية.

(١) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف. وقد ذكرها ابن كثير (٢٤٤/٢). في تفسير سورة النساء، وقال: إسناده جيد. تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

المسجد يُعَلِّمنا الإخاء:

في المسجد نتعلّم الإخاء: فنحن نلتقي كلَّ يوم فيه، تتلاصق الأبدان، وتتصافح الأيدي، وتتعارف الوجوه، وتتحابُّ القلوب، ويسأل بعضنا عن بعض.

مجموعة تقف وراء إمام واحد، تتجه إلى قبلة واحدة، تؤمن بربِّ واحد، تؤمن برسول واحد، تتلو كتابًا واحدًا، تؤدي أقوالًا وأفعالًا واحدة، بنيتة واحدة، إلام يُؤدِّي هذا؟

إنَّ هذا يُؤدِّي إلى إشاعة الأخوة والترابط بين القلوب بعضها وبعض.

المسجد يُعَلِّمنا المساواة:

نتعلّم في المسجد المساواة: وأيُّ مساواة أعظم من مساواة المسلمين في المسجد؟

يجلس الكبير بجوار الصغير، والغني بجوار الفقير، والوزير بجوار الخفير، والحاكم بجوار المحكوم، وأستاذ الجامعة بجوار عامل من العمال، لا فرق بين هذا وذاك.

ليس في الإسلام لائحة تُنظِّم بروتوكولات الحضور: أنَّ الصفَّ الأوَّل للسادة الوزراء، والصفَّ الثاني لأعضاء مجلس الشورى، والصفَّ الثالث للمُديرين العامِّين!

لا، من حضر مبكرًا احتلَّ مكانه في الصفَّ الأوَّل، ثمَّ الذي بعده دون تمييز ولا تفضيل.

الغربيُّون إلى اليوم لا يعرفون هذه المساواة، هناك كنائس للبيض وكنائس للسود!



أخطأ مرّة أحد الزوج في أمريكا فدخل كنيسة للبيض، ووجد القسيس هذا الأسود مع النَّاس، فلمحه هذا الكاهن في صفوف النَّاس، فأرسل إليه ورقة يقول له: الكنيسة المُخَصَّصة للـسود تقع في شارع كذا وكذا (يعني: انصرف)، فأخذ الرجل نفسه وانصرف.

حتّى العبادة فرّقوا فيها بين الألوان، بين الأبيض والأسود.

يقول الدكتور مُحمّد إقبال فيلسوف الإسلام في الهند: أيُّ ثورة تحدث لو أنّ هذا البرهمي الأرسطراطي المستكبر وقف بجوار هذا المنبوذ في جنوب الهند، وصلى معه في مكانٍ واحد؟!!

النَّاس في الهند من قديم طبقات بعضها فوق بعض بالوراثة، لا يستطيع أحد أن يرقى من طبقة إلى ما هو أعلى منها، لا بالعلم، ولا بالعمل، ولا بالأخلاق، لا يمكنك مهما أوتيت من علم، وما حصلت عليه من مركز اجتماعي، أن تنتقل من طبقتك إلى طبقة أخرى؛ فالبراهمة هؤلاء هم السادة، هم في القمة، قد خلّقوا من فم الإله! أمّا الذين خلّقوا من ذراع الإله، أو من رجل الإله، أو لم يخلقهم الإله قط، مثل هؤلاء الذين لا يجوز أن يمسه أحد أو أن يمسوا أحداً فقد ولدوا أنجاساً أرجاساً، لا سبيل لهم إلى التطهر أو الترقى!

المساواة الحقيقية عندنا نحن المسلمين، وأظهر ما تكون عندنا في المسجد.

هذا هو المسجد، وهذه هي رسالة المسجد، ينبغي أن نعرفها، ينبغي أن نرتبط بها، أن نعوّد أبناءنا أن يذهبوا إلى المساجد، ينبغي أن يكون لنا حظ من صلاة الجماعة في المساجد؛ فصلاة الجماعة أفضل من

صلاة الفرد بخمس وعشرين - أو بسبع وعشرين - درجة، كما جاءت أحاديث النبي ﷺ^(١).

من هم عمّار المساجد؟ هل هم الدراويش والمتبطلون والمجازيب؟

إنّ القرآن حدثنا عن عمّار المساجد فقال: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا نُلْحِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴿٣٧﴾﴾ [التور: ٣٦، ٣٧].

هم إذن رجال أعمال، وليسوا رجال بطالة أو دروشة، وهكذا كان أصحاب رسول الله.

هذا هو المسجد، هذا هو بيت الله، بيت ينسبه الله تعالى إلى نفسه.

كما في الحديث القدسي: «إِنَّ بِيُوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدَ، وَإِنَّ زَوَّارِي فِيهَا عَمَّارَهَا، فَطُوبَى لِمَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي، فَحَقُّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يَكْرِمَ زَائِرَهُ»^(٢).

نسأل الله أن يجعل كرامتنا عنده المغفرة والجنة، إنّه سميع قريب. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) منها: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». متفق عليه: رواه البخاري في

الأذان (٦٤٥)، ومسلم في المساجد (٦٥٠)، عن ابن عمر. وحديث: «صلاة الجماعة تفضل

صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة». رواه البخاري في الأذان (٦٤٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه الطبراني (١٠٣٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢/٢): وفيه عبد الله بن يعقوب

الكرماني وهو ضعيف. عن ابن مسعود.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ضاع المسلمون بسبب تفرّقهم:

المسلمون في العالم أكثر من ألف مليون، ومع هذا فهم مُضَيِّعون. مُضَيِّعون لأنّ كلمتهم ليست واحدة؛ لأنّهم ليسوا صفّاً واحداً، كالبنيان المرصوص؛ لأنّهم أُمَّة لا يسعف بعضهم بعضاً، ولا يشدُّ بعضهم أزر بعض، بل أسلم بعضهم بعضاً، والنبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُهُ»^(١).

لا يسلمه، أي: لا يخذله، لا يتخلى عنه، بل ينصره ويقوّيه ويقف إلى جنبه في السراء والضراء.

منذ أيام زارني إخوة من «أوغندا» وقالوا: نحن نقارب النصف من سكان «أوغندا» - أكثر من خمسة ملايين من اثني عشر مليوناً - ومع هذا ليس لنا قيادة، ليس لنا أي وضع سياسي أو تشريعي، أكثر من أربعين وزيراً وليس لنا لا وزير ولا نائب وزير، المجلس التشريعي فيه مائة وثمانون، ليس لنا فيه إلاّ اثنان فقط، أملاكنا تؤخذ وتنهب، حتّى الأوقاف، حتّى المساجد استولوا عليها، ولم يتكلم أحد من المسلمين.

هناك تعميم إعلامي رهيب علينا، فلا يعلم بنا أحد، ولا يحس بنا أحد.

هناك إبادة مستترة للمسلمين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البرّ والصّلة والآداب

(٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

بعد «عيدي أمين» يُباد المسلمون في أوغندا.

عيدي أمين الذي حاولت الصحافة العالميّة والإعلام العالمي أن يُشَنِّعَا عليه، وأن يُضَخِّمَا من هفواته، وأن يجعلَا منه كذا وكذا، حتّى قُضِيَ عليه، وسكت المسلمون للأسف.

في الهند الآن مذابح ما بين فترة وأخرى تُقام للمسلمين، المسلمون في الهند أقلية بالنسبة للأكثرية الهندوسية، ولكن هذه الأقلية تقارب مسلمي العالم العربي، أكثر من مائة وخمسين مليون مسلم في الهند، لهم أرضهم، ولهم ديارهم، ولهم مساجدهم، ولهم مدارسهم، ولهم حضارتهم التي بقيت آثارها إلى اليوم، ومع هذا تأبى الأحزاب الهندوسية المتعصبة إلّا أن تقيم مذبحه ما بين حين وآخر، ولا يتكلم أحد، ولا يحتج أحد، لم هذا؟ ولحساب من هذا الصمت المريب؟

أصبح الدم الإسلامي هو أرخص دم على الأرض.

بعض الهنود لا يستبيحون قتل البعوض، لكنهم يستبيحون قتل المسلمين!

كنا في الهند فلم نجد في الفنادق أي مبيد للناموس والبعوض والذباب، لماذا؟

لأنّ هذه الحشرات لها أرواح، ولا يجوز أن يقتلوا ذا روح، لا يقتلون البعوض ولا الذباب ولا الفئران، يتركون الفئران تأكل القمح بملايين الأطنان، حتّى إنّ بعض أعضاء الشيوخ في الكونجرس الأمريكي قال: لا يجوز أن نصدّر القمح أو نعطي القمح معونة للهند؛ لأنّها تترك مختارة الفئران لتأكل محصولاتها!

لماذا لا يقتلون الفئران؟ لأنَّ الفئران ذات روح، ولا يجوز قتل
ذي روح.

وذو الروح الوحيدة الذي يجوز قتله، بل يستحب قتله، بل يجب
قتله: هو المسلم!

انظروا، المسلمون وحدهم مستباحو الدماء في كلِّ مكان، لماذا؟ لأنَّ
أحدًا لا يتكلَّم، لا يقول: يا ناس استحيوا.. (اختشوا) هؤلاء لهم حرّيتهم،
هؤلاء وراءهم ألف مليون في العالم.

فيا مسلمون تنبهوا من غفلتكم، واسألوا عن إخوانكم، وادعوا الله
لهم على الأقل، كونوا معهم بمشاعركم، من كان يستطيع أن ينفع هؤلاء،
أن يكتب كلمة في صحيفة أو مجلة أو غير ذلك، فلينفعهم.

نسأل الله تعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا
بما علّمنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم طهّر أقوالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا
من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغش، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر
أفعالنا من الرياء.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقي،
وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.



اللهم انصر إخوتنا المجاهدين، وأيد إخواننا المضطهدين في كل مكان.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين، وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلّم.
وأقم الصلاة.

* * *





الصلاة عمود الدين

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تحدّثنا في الخطبة الماضية عن رسالة المسجد، ونتحدّث في هذه الخطبة عن الصلاة.

منزلة الصلاة في الإسلام:

الصلاة عمود الدين، ومفتاح الجنّة، ودليل الإيمان، والفيصل بين الإسلام والكفر، وهكذا جعلها النبي ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١)، «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(٢).

حينما دعا إبراهيم ربّه، دعاه أن يجعل أبناءه من مقيمي الصلاة: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وحينما أثنى الله على إسماعيل قال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨٢)، وأحمد (١٥١٨٣)، والترمذي في الإيمان (٢٦١٨)، عن جابر.
(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في الإيمان (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، كلاهما في الصلاة، عن بريدة.

وحينما خاطب الله موسى في لحظات الوحي الأولى قال له: ﴿وَأَنَا
اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٣، ١٤].

وحينما أنطق الله كلمته عيسى ابن مريم في المهد صبياً، كان أول
ما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

ولما وصى لقمان الحكيم ابنه كان من أهم ما أوصاه به: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ
الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

الصلاة، هذه منزلتها في كل دين من الأديان، وفي الإسلام خاصة.
كانت الصلاة أول ما فرض من العبادات، فرضت في مكة، وفرضت
بصورة لم تفرض عبادة بمثل هذه الصورة.

فُرضت العبادات كلها في الأرض، وفُرضت الصلاة وحدها في
السماء، بخطاب مباشر من الله لنبيه مُحَمَّد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج،
فهي بقية هذه الذكرى، هي معراج كل مؤمن إلى الله تعالى.

هذه هي الصلاة، وهذه أهميتها:

ذكرها النبي ﷺ يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً،
ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان،
ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»^(١).

(١) رواه أحمد (٦٥٧٦)، وقال مخرجه: إسناده حسن. وقال المنذري في الترغيب والترهيب

(١٣٢): إسناده جيد. عن عبد الله بن عمرو.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: من شغله عن الصلاة ملكه حُشْر مع فرعون، ومن شغله عن الصلاة منصبه حُشْر مع هامان، ومن شغله عن الصلاة كنوزه وثروته حُشْر مع قارون، ومن شغله عن الصلاة تجارته حُشْر مع أبي بن خلف^(١).

ولا عذر لتارك الصلاة أينما كان الإنسان مشرقاً أو مغرباً، في سفر أو في حضر، في صحة أو في مرض، فعليه أن يقيم الصلاة؛ يقول النبي ﷺ: «صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(٢).

لا تسقط الصلاة إِلَّا عَمَّنْ فقد الوعي ولم يفهم الخطاب، أمّا ما دام واعياً مميّزاً - ولو كان على سرير المرض لا يستطيع أن يتحرك يمناً ولا يسرة - فعليه أن يصلي؛ يُصَلِّي بالإيماء موميّاً برأسه، أو مُشِيرًا بحاجبيه مُحَرِّكًا لسانه، كيف استطاع.

الصلاة لا تسقط عن إنسان أبداً ما دام واعياً، ولو كان في معمعة الحرب، ولو كان في قلب المعركة، يقاتل بالسيف أو بالمدفع، راكباً أو ماشياً، يقول الله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴿ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]، أي: فصلوا راجلين أو راكبين، ولو كنت على قدميك تضرب بالسيف أو بالقنبلة، أو كنت راكباً جواداً أو مدرعة أو دبابة أو طائرة، صلّ وأنت على هذه الحالة، ولو لم تستقبل القبلة، ففي مثل هذا يقول القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] بلا ركوع وبلا سجود وبلا قيام، هذه الأركان كلها تسقط عند هذه الضرورة.

(١) الصلاة وأحكام تاركها ص٢١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه البخاري في الجمعة (١١١٧)، عن عمران بن حصين.

صَلِّ بوضوء وطهارة، فإن لم تجد ماء أو لم تقدر على استعماله فصل بتيميم، فإن لم تجد فصل صلاة فاقد الطهورين ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

هناك في الإسلام صلاة تسمى «صلاة الحرب» أو «صلاة الخوف»، حينما يواجه المقاتلون المسلمون العدو لا يكون القتال عذراً لهم، ينقسمون قسمين: قسم يواجه العدو، وطائفة تُصَلِّي، ثم تذهب مكان تلك، يُصَلُّون ويحافظون حتى على صلاة الجماعة، وعلى صلاة الجماعة خلف إمام واحد.

انظروا إلى هذا: جماعة واحدة وخلف إمام واحد!

أي حرص على الصلاة وخصوصاً في جماعة أكثر من هذا؟!

يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

هكذا يعلمنا الإسلام الحرص على الصلاة في أشدّ المواقع حرجاً.

فماذا يكون الحال حين نرى مسلمين يُسمّون باسم مُحَمَّد وأحمد ومحمود وحسن وحسين وعبد الله، ولكنهم لا يصلُّون ولا يعرفون المساجد، يبلغ أحدهم الثلاثين والأربعين والخمسين وربما أكثر، ولم ينحن يوماً لله راکعاً، ولا عفر جبهته يوماً لله ساجداً، ويُسمّى هؤلاء مسلمون، ويُحسبون على الألف مليون - أو أكثر - من المسلمين!



أين إسلام هؤلاء؟

إنَّ اللقمة التي يأكلونها تلعنهم؛ لأنهم يأكلون نعمة الله ولا يؤدون شكرها. كيف بهؤلاء إذا دخلوا سقر، وسألهم أصحاب اليمين: ما سلككم في سقر أيها المجرمون؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٤].

ما حكم تاركي الصلاة عند علماء المسلمين؟

أمَّا من كان جاحداً للصلاة، جاحداً لفرضيتها، فهو كافر بالإجماع؛ لأنَّ شأنه شأن المشركين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

إذا كان مستخفاً بالصلاة مستهزئاً بها، ساخرًا من أصحابها، فهذا كافر مارق مرتد ولا شك، وهو مثل الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

أمَّا من تركها عمدًا كسلًا، فهذا هو الذي اختلف فيه أئمة المسلمين:

١ - قال الإمام أحمد - في رواية شهيرة له - وإسحاق بن راهويه، وعدد من الصحابة والتابعين: بأنه كافرٌ ليس بمسلم، ما دام لا يصلي، ولا يؤدي حقَّ الله تعالى بأداء هذه الفريضة. روي ذلك عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ظاهر الأحاديث التي جعلت الفاصل بين المسلم والكافر: ترك الصلاة^(١).

(١) كشف القناع عن متن الإقناع (٢٢٧/١)، نشر دار الكتب العلمية.

٢ - وهناك مذهب الشافعي^(١) ومالك^(٢): أن تارك الصلاة عاصٍ فاسق، يُخشى عليه أن يُختم له بالكفر، والعياذ بالله، إذا استمر على هذا؛ لأنه يرتكب أكبر الكبائر في الإسلام، بترك حق الله تعالى، ومن دأوم على هذا الترك يُخشى أن يملأ السواد قلبه، فيموت على غير الإسلام، ما لم يتب الله تعالى عليه. وهو يستحق القتل عندهما، حدًا لا كفرًا، كما هو عند أحمد ومن وافقه.

٣ - وقال أبو حنيفة: هو فاسق آثم، ويجب أن يؤدّب ويضرب ضربًا موجعًا، ويحبس حتى يصلي^(٣). وهذا أخف المذاهب!

أخف المذاهب في تارك الصلاة كسلًا: أنه فاسق، ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]. هذا هو شأن تارك الصلاة!

ولهذا لم يصف الله المؤمنين بأنهم يؤدون الصلاة، أو أنهم للصلاة فاعلون، فهذا أمر مفروغ منه، ولكنّه وصف المؤمنين المفلحين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * [المؤمنون: ١، ٢]. وختم هذه الأوصاف بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

بدأ أوصاف المؤمنين بالخشوع في الصلاة، وختمها بالمحافظة على الصلاة، دليلًا على أهمية هذه الفريضة في حياة المسلمين.

إنّ على المؤمن أن يحافظ على هذه الفريضة، فيؤديها كما ينبغي أن تكون، في أوقاتها، قبل أن تفوته، فيكون له الويل الذي توعد الله به

(١) مغني المحتاج (٦١٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) حاشية الدسوقي (١٨٩/١، ١٩٠)، نشر دار الفكر.

(٣) حاشية ابن عابدين (٣٥٢/١)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

المتشاغلين عن الصلاة في كتابه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، جاء في الأثر: «إنهم يتلهون ويتشاغلون بأعمالهم الدنيوية حتى يفوت وقت الصلاة»، أي: أنهم يصلون، ولكنهم يصلون الصلاة بعد وقتها.

فما بالكم بمن لا يصلي؟! ما بالكم بتارك الصلاة!؟

جاء في الأحاديث: إن في القبر عذاباً، وإن من أشد أسباب عذاب القبر عدم العناية بالطهارة للصلاة، عدم الاستبراء أو الاستنزاه من البول.

مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بقبرين يعذب صاحباهما، فقال: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»^(١)، أي: لا يهتم بأمر الطهارة.

معنى هذا: أنه يصلي، ولكنه أهمل في شرط من شروط الصلاة، فكيف بمن لا يصلي أبداً؟

لهذا كانت هناك مسؤولية، مسؤولية كل إنسان عن غيره، مسؤولية الزوج عن زوجته: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

سئل الإمام أحمد عن الزوجة: إذا كانت تاركة للصلاة، ماذا يصنع زوجها؟ قال: أخشى ألا يحل له المقام مع امرأة لا تُصلي لله^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢١٨)، ومسلم في الطهارة (٢٩٢)، عن ابن عباس.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة (١٠٦/٣)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ -

وإن كان الذي أراه اليوم: أن كثيراً من الزوجات والسيدات يشتكين من أزواج لا يعرفون الله تعالى مُصَلِّين، ولا راعين، أو ساجدين.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]: مُرْ أَبْنَاءَكَ وَبَنَاتَكَ بِالصَّلَاةِ، عَوِّدْهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الصَّغَرِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ، وَإِنَّ الشَّرَّ عَادَةٌ، حَتَّى يَنْشَؤُوا عَلَى الْخَيْرِ وَعَلَى حُبِّ الصَّلَاةِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ»^(١)، أي: مروهم بالصلاة: وهم أبناء سبع سنين، واستمروا على هذا الأمر والترغيب والترهيب مدّة ثلاث سنين، من تكاسل بعد ذلك فمن حقّ الأب بل من واجبه أن يضربه، ضرباً لا يجرح ولا يكسر، والضرب هنا إشعار بأهميّة الأمر، وأنّه ليس مجرد كلمة تُقال، ثمّ يدع الولد وحبله على غاربه، لا يبالي أنفذ أمره أم لم ينفذه.

كيف يصنع الوالد لو أمر ابنه بشيء من أمور الدُّنيا فضرب بكلام أبيه عُرض الحائط؟ ماذا يفعل؟ أيقبل أن يفعل ابنه معه مثل هذا وأن يقف مثل هذا الموقف؟

فكذلك في أمور الدِّين!

بعض الآباء كلُّ ما يُهمُّه من أمر ابنه أن يذهب به إلى المدرسة، وأن يُوفّر له حاجاته الماديّة، وأن يعطيه من النقود ما لعلّه أكثر من حاجته،

(١) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسن إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣). عن عبد الله بن عمرو.

وقد يُهَيَّئُ له سيارة يركبها، ولا يبالي بعد ذلك أصلى أم لم يُصَلِّ؟ أكان مستقيماً على أمر الدين أم منحرفاً عنه؟

ماذا يُفِيدُكَ أن يحمل ابنك أرقى الشهادات ويتسّم أعلى الدرجات، ثمّ يكون بعد ذلك مصيره إلى النَّارِ وبئس القرار؟

أتحبُّ أن يكوى ولدك وفلذة كبلك في النَّارِ؟

والله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

المجتمع مسؤول عن تاركي الصلاة:

الصلاة لا بدّ أن نحافظ عليها، وأن نأمر غيرنا بالمحافظة عليها، وأن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف.

إذا جاءك من يشاركك في تجارة فلا بدّ أن تسأل: أهو من أهل الصلاة أم لا؟

إذا كان عندك ابنة، وجاء من يخطبها، فاسأل: أهو من أهل الصلاة أم لا؟ كان السلف الصالح يُسَمُّون الصلاة: «الميزان»، بها يزنون الرجال والأشخاص، فإذا أرادوا أن يسألوا عن دين رجل وعن أخلاقه وعن سيرته، سألوا أوّل ما يسألون عن صلاته: هل يعرفه أهل المسجد؟ هل يقوم لله تعالى في الصباح الباكر؟ هل يحرص على الجماعة؟ هل هو من الخاشعين في الصلاة؟ هل هو؟ هل هو؟

ولو أننا فعلنا ذلك مع من يناسبنا أو يشاركنا أو يباهرنا أو يعمل عندنا، لحاصرنا تاركي الصلاة حصاراً، اجتماعياً أدبياً، وأجبرناهم على أن يحترموا شعائر المسلمين، ولكن أهدنا لا يبالي.

حيّا الله البنات الصالحات في هذا البلد، اللاتي عرفت بعضهنّ وقد رفضنّ من يتقدّم لهنّ وهو تارك للصلاة، وقالت إحداهنّ لمن خطبها: والله لا أتزوجك إلّا إذا عاهدتني أمام الله وأمام النّاس عهدًا لا رجعة فيه أن تصلي ولا تترك الصلاة.

لا بدّ أن نُعنى بأمر الصلاة، الصلاة هي الفريضة الأولى، هي الصلة الأولى بين العبد وربّه، فلا ينبغي أبدًا أن نهملها.

لقد كان هذا المجتمع كلّهُ، من أوّله إلى آخره، محافظًا على الصلاة، ثمّ جاءت سموم العدوى من هنا وهناك، فإذا بنا نرى كثيرًا من الشباب لا يعرفون المسجد، ولا يعرفون الصلاة، ورأينا بعض النّاس لا يعرفون المسجد إلّا في رمضان، ورأينا آخرين لا يعرفون الصلاة إلّا يوم الجمعة، والصلاة فرضها الله خمس مرّات في كلّ يوم وليلة.

لا بدّ أن نحرض على هذه الفريضة.

العصر الحديث غير نمط الحياة:

كان النّاس قبل أن تأتي الوسائل الحديثة والأجهزة الإعلامية ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين، منذ أكثر من عشرين سنة حينما قدمنا إلى هذا البلد^(١) كانت المحلات التجارية تغلق أبوابها قبيل أذان المغرب، وكان النّاس ينامون بعد صلاة العشاء، ثمّ تدبّ الحركة قبيل الفجر فتمتلئ المساجد، ويذهب النّاس صاحين باكرين إلى أعمالهم، يلتمسون البركة في البكور، يلتمسون بركة دعوة النّبّي ﷺ حينما قال:

(١) كان ذلك سنة ١٩٦١ وما بعدها حينما أعرت إلى دولة قطر، مديرًا لمعهدنا الديني الثانوي.

«اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(١)، يتلقون الصباح طاهراً طهوراً، قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، وينطلقون إلى أعمالهم مُباركين ميمونين.

أمّا اليوم وقد أصبح الناس يسهرون على الأفلام والمسلسلات والتمثيليّات والمسرحيّات، وغير ذلك من السهرات، ما حلّ منها وما حرّم، ثمّ ينامون فلا يستيقظون إلّا بعد طلوع الشمس بوقت طويل، وقد قال النبي ﷺ حينما ذكر له رجل نام ليلة حتّى أصبح - أي طلع عليه الصباح - : «ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أذنيه». أو قال: «في أذنه»^(٢).

يقول الحسن: إنّ بوله والله ثقيل^(٣)!

وما أكثر الذين أصبحت آذانهم مباول للشيطان في عصرنا!

يقول بعض السلف: عجت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يُرزق؟!

كيف يرزق وقد أضاع الأوقات المباركة؟ وهي أبرك ما تكون في البلاد الحارة.

يا أيّها الإخوة، إنّ علينا أن نحرص على الصلاة.. الصلاة قوّة، قوّة للروح، قوّة للبدن، قوّة للإدراك، قوّة للخلق، قوّة للمجتمع، قوّة في كلّ شيء.

(١) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥). عن صخر الغامدي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٩٥١٦)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي (٣٥٧٦): رجاله رجال الصحيح.

الصلاة تعطي الناس شحنة روحية:

هي قوّة رُوحِيَّة؛ لأنّها تصلك بالله تعالى، تدخل إلى الله بغير باب، وتقف بين يديه بلا حُجَاب، وتكلّمه بلا ترجمان، وتناجيه فتناجي قريبًا غير بعيد، وتستعين به فتستعين بعزيز غير ذليل، وتسأله فتسأل كريمًا غير بخيل، تشفُّ روحك، وتصفو نفسك بين يديه، حتّى لتكاد تسمع قول الله تعالى في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. أَي: عَظَّمَنِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(١).

هذه المناجاة بين الله وبين عبده، هذه الشفافية الرُوحِيَّة شحنة تُعطى للإنسان المسلم كلّما دخل الصلاة، ولذلك كانت الصلاة مددًا في معركة الحياة مع المتاعب والآلام.

كان النَّبِيُّ ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، كان يجد في الصلاة قرّة عينه ومسرّة قلبه، ويقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

(١) رواه مسلم في الصلاة (٣٩٥)، وأحمد (٧٢٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٨٨٣٦)، وصحّح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (٢٤٩/٣)، عن أنس.

وينتظر وقتها بلهفة حتّى إذا جاء قال: «أرْحنا بها يا بلال»^(١)؛ إنّها راحة النّفس، إنّها رَوْح وريحان، فأين هذا ممن يقوم إلى الصلاة ولسان حاله يقول: أرْحنا منها؟!
 فرق بين من يستريح بها ومن يستريح منها.

شأن المنافقين مع الصلاة:

إنّ الله تعالى وصف المنافقين بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَدِرْهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَأَوْنَ لِلنَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

هذا هو شأن المنافقين، أي أنّهم يصلّون، ولكنهم لا ينهضون إليها بقوة ونشاط ومحبة، إنّها عبء يريدون أن يتخلصوا منه!
 ماذا نقول في منافقي اليوم، الذين لا يقومون إلى الصلاة لا نشطين ولا كسالي؟

ماذا نقول في منافقي هذا العصر الذين لا يذكرون الله لا قليلاً ولا كثيراً؟

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

يا أيّها الإخوة، الصلاة، هي آخر ما أوصى به النبي ﷺ وهو على فراش الموت، كان يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٢).

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده.

وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحّحه الألباني المشكاة (١٢٥٣). عن رجل من الأنصار.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٨٤)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الجناز (١٦٢٥)، والنسائي في الكبرى في وفاة النبي (٧٠٦١)، عن أم سلمة.

هذه هي الصلاة:

الصلاة الإسلامية امتازت عن كل صلاة في الأديان الأخرى؛ لأنها تمثل كل مظاهر التعظيم لله تعالى: فيها القيام، فيها التلاوة لكلام الله تعالى، فيها التسبيح، فيها التهليل، فيها التكبير، فيها الركوع، فيها السجود، و«أقرب ما يكون العبد من ربه تعالى وهو ساجد»^(١).

ثم إن الإسلام قد أحاطها بأشياء لم تحط بها العبادات والصلوات في الأديان الأخرى؛ فهي صلاة جماعية، وهي صلاة بأذان، إذا جاء الوقت لا يصيح بوق، ولا يُجَلجل جرسٌ أو ناقوس، ولا تشتعل نار، كما كان ذلك في ديانات سابقة، وإنما يؤذّن مؤذّن بكلام يهزُّ القلوب، بكلام يشرح الصدور، بكلام تعرفه العقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح.

أين هذا من جلجلة جرس وناقوس يصكُّ الأسماع، ولا يعرف ما فحواه، جماد أصم يصكُّ أسماع الناس!

صلاة الجماعة تربية اجتماعية، تعلم الطاعة والنظام والجنديّة، والاستجابة السريعة للنداء، لا يدفع المسلم عن إقامة الصلاة وقدة الحرّ، ولا شدة البرد، إذا سمع نداء الله هرع إليه وقام من نومه؛ فالصلاة خير من النوم، يسبغ الوضوء على المكاره، ولا يبالي في سبيل دينه بشيء أبداً.

رأى أحد قواد الفرس المسلمين - في عهد عمر رضي الله عنه في أحد الجيوش - يقفون صفوفاً يصلُّون، لا فرجة، لا خلل لا عوج في الصفّ، المنكب إلى المنكب، والقدم إلى القدم، إذا ركع الإمام ركعوا، وإذا

(١) سبق تخريجه ص ٣٤.

سجد سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، فنظر إليهم وقال في غيظ وكمد: أكل كبدي ابن الخطاب، أكل كبدي ابن الخطاب، لقد علّم هؤلاء البداية مكارم الأخلاق^(١).

وما علّمهم ابن الخطاب، إنّما الذي علّمهم وعلّم ابن الخطاب معهم وقبلهم هو الإسلام، ورسول الإسلام ﷺ.

هذه هي الصلاة التي ينبغي أن نحرص عليها؛ لتكون لنا مدداً، وتكون لنا قوّة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣).

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

مآسي مسلمي أوغندا:

حدّثتكم في الأسبوع الماضي عن إخوتنا في «آسام» في الهند، وعن إخوتنا في أوغندا.

وإنّي لأحيي صحيفة «الراية» التي استجابت لدعوتنا في الأسبوع الماضي، حين قلنا: هل من جهاز إعلامي، هل من صحيفة، هل من أحد يتحدث عن هؤلاء الناس؟

فتحدّثت عنهم الصحيفة، فجزى الله كلّ من قال كلمة حقّ في هذا الأمر خيرًا.

حدّثتكم في الأسبوع الماضي أيّها الإخوة عن إخوتنا في أوغندا، عن الملايين الخمسة أو أكثر في هذا البلد الإفريقي، الذين اضطّرتهم الطغيان - الذي دخل عليهم من بلد مجاور - أن يلجؤوا إلى الغابات ليعيشوا فيها سنين، يأكلون أوراق الشجر، وتتمزق ملابسهم حتّى يظّلوا عراة لا يسترهم شيء. من كان عنده ثوب استعاره من أخيه وقت الصلاة ليصلي فيه ثمّ يعيده إليه.

ظلّوا مختفين مدّة من الزمن، ثمّ عادوا وهم مقهورون، لا يسأل عنهم أحد، ولا يتحدّث عنهم أحد، أخذت مساجدهم، أخذت أوقافهم.

عندنا هنا أخوان في جامعة قطر في منحة قصيرة، يقولان: إنّنا لا نجد الكتاب الذي نعلّمه لأولادنا، لا نجد كراسة نعلّم فيها الأولاد، الكتب



والكراريس تأتي من أمريكا وأوربا بالملايين، وكلُّ ما يطلبونه منّا أن نقبل المسيحيّة وتدفق علينا الكتب والكراريس والمعونات.

أين نحن المسلمين؟

إنّهم يطلبون منّا شيئاً بسيطاً يقولون: ألا يوجد من ينشئ لنا مطبعة - أو يشتري لنا مطبعة - نطبع فيها بعض الكتب أو بعض النشرات، أو حتّى الكراريس للأولاد؟

ألا يوجد من أغنياء المسلمين - وما أكثرهم - من يتبنى مشروعاً كهذا بمائة ألف، أو مائتي ألف دولار؟

ما أكثر الأموال التي تنفق بغير حساب هنا وهناك.

ألا يستطيع أحد أن يمدّ يده لهؤلاء؟

وإن مؤتمر المبشرين البروتستانت الأمريكيان وحدهم قد اجتمع سنة ١٩٧٨م في مدينة «كولورادو»، وحضره أكثر من مائة وخمسين مبشّراً، وقرّروا أن يعملوا على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك «ألف مليون دولار»!

هل نعجز نحن عن رصد ألف مليون دولار؟

والله لا نعجز لو أردنا وصمّمنا، منذ يومين كان يكلمني إنسان هنا في قطر وقال: إذا كان لي مائة مليون دولار في البنوك الأجنبية، وأصبح لها فوائد تساوي هذا المبلغ أو تقاربه فماذا أفعل فيه؟

هناك إذن ملايين، هناك عشرات الملايين، هناك مئات الملايين،

فأين هؤلاء؟

لماذا لا يمدّون اليد إلى إخوانهم الذين يشكون ولا يجدون؟

المسلمون فيهم أغنياء، المسلمون عندهم أموال، المسلمون عندهم قوّة، ولكنهم لا يخطّطون ولا ينظّمون ولا ينسّقون ولا يتعاونون، ليسوا يدًا واحدة كما أمرهم الله، وإنما هم فئات شتّى كما أراد لهم الشيطان، وأراد لهم الاستعمار.

متى تتحد كلمة المسلمين لمواجهة الباطل؟ متى يقفون صفاً واحداً كالبنيان يشدُّ بعضهم بعضاً؟

نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التّقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعدائه هي السفلى.

اللهمّ أعلّ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وحبّب إلينا الإيمان وزينّه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

وصلّ اللهم على عبدك ونبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التحل: ٩٠].

واقم الصلاة.

عاطفة الحب

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

طلب إليّ بعض الشباب أن أحدثكم عن العلاقات العاطفية، قلت له:
وماذا تعني بالعلاقة العاطفية؟

أي عاطفة تعني؟

قال: عاطفة الحبّ، وهل هناك عاطفة غيرها؟

قلت: وأي حبّ تعني؟

قال: حبّ الرجل للمرأة، وحبّ المرأة للرجل، وهل هناك حبّ غير ذلك؟

قلت: هنا الخطأ؛ إنّ الإنسان ليس عاطفة فحسب، الكيان الإنساني
مكوّن من مجموعة أشياء: من الجسم ومتطلباته، من العقل وآفاقه، من
الروح وأشواقها، من العاطفة وتطلعاتها، من الإرادة وما تتجه إليه، كلّ
هذه النواحي تنشئ الكينونة الإنسانيّة.

الإنسان ليس عاطفة فحسب، والعاطفة ليست هي الحبّ وحده،

الإنسان يحب ويكره، ويرضى ويسخط، ويفرح ويحزن، كلُّ هذه عواطف، فلماذا قصّرنا العاطفة على الحبّ؟

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحبّ، فلماذا نقصر الحبّ على حبّ الرجل للمرأة والمرأة للرجل؟

ولماذا نقصر حبّ الرجل للمرأة أو المرأة للرجل على حبّ الرجل الأجنبي من المرأة، أو المرأة الأجنبية من الرجل؟ هذا كلّ خطأ وانحراف في الاتجاه.

إنّ الله فطر الإنسان على أن يُحب وأن يُحب، ولكن لماذا يُحصر الحبّ في هذا المجال الضيقّ؟

أعظم أنواع الحبّ:

أولى من ينبغي أن نحبّ هو الله تعالى.

أعظم أنواع الحبّ وأرقاها وأخلدها وأبقاها هو حبّ الله.

الإنسان يحبُّ الجمال، وأي جمال أجمل من ذي الجمال والجلال، من الله تعالى؟!!

هو واهب الجمال، وهو مصدر الجمال، وهو جميل يحبُّ الجمال.

الإنسان يحبُّ الكمال، ولذلك يحبُّ النَّاس العباقره والنوابغ والأبطال، وأي كمال يداني كمال الله تعالى؟

وكلُّ كمال في البشر نقص، الَّذي تنزّه عن كلِّ نقص واتصف بكلِّ كمال هو الله تعالى.

الإنسان يحبُّ الإحسان، وهو أسير الإحسان، وجُبِلت النفوس على حبِّ من أحسن إليها، فهل هناك من أحسن إلينا أعظم من الله تعالى؟
 إِنَّ كُلَّ النِّعَمِ مِنْهُ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ما نُنعَمُ به في حياتنا، في داخلنا وفي خارجنا، ما يغمرنا من رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا، هو من نعم الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أفلا يستحقُّ الله تعالى أن نحبه؟

لماذا لا نحبه الله؟

لماذا لا يشغل حبُّ الله أنفسنا وعقولنا وقلوبنا؟

لماذا ينسى الناس حبَّ الله تعالى؟

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

هؤلاء المؤمنون الذين يقدمون حبَّ الله على كلِّ شيء، يعمر هذا الحبُّ أفئدتهم، ويملاً ما بين جنوبهم، فهم يحيون به ويموتون عليه.

وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَهُ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

كانت رابعة العدوية تقول حينما ينام الناس ويأوون إلى فرشهم: قد جاء الليل، وأوى كلُّ حبيب إلى حبيبه، وهذا يا ربَّ أوان خلوتي بك، وأنسي إليك^(١).

(١) روى ابن الجوزي مثله في صفة الصفوة (٤٠٩/١)، عن فاطمة بنت محمد بن المنكدر، تحقيق أحمد بن علي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

هذا هو شعور من يحبُّ الله.

وكانت تقول:

حَبِيبِي لَا يُعَادِلُهُ حَبِيبٌ وَمَا لِسِوَاهِ فِي قَلْبِي نَصِيبٌ
حَبِيبٌ غَابَ عَنِ بَصْرِي وَحَسِي وَلَكِنْ فِي فِؤَادِي لَا يَغِيبُ^(١)

الله حاضر معها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهي تنظر في نفسها وتنظر في الآفاق من حولها، في السماء فوقها، وفي الأرض تحتها، وفي كلِّ ما حولها ومن حولها، فتجد آثار نعمة الله، وآثار فضل الله، وآثار قدرة الله، وآثار رحمة الله، فكيف لا يمتلئ قلبها حبًّا لله تعالى؟

حبُّ الله، هذا هو المصدر الأوَّل، وهذه هي الوجهة الأولى، لمن يريد أن يستخدم هذه العاطفة في محلِّها.

حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي هَدَانَا اللَّهُ بِهِ، وَأَخْرَجَنَا بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَعَلَّمَنَا بِهِ مِنْ جِهَالَةٍ، وَهَدَانَا بِهِ مِنْ ضَلَالَةٍ، بِهِ عَرَفْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، بِهِ أَصْبَحْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

لهذا كان واجبًا على كلِّ مؤمن أن يحبَّ رسول الله ﷺ. قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين»^(٢).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١٨/٦٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.



وهكذا أحبّه الصحابة رضي الله عنهم، حتى إن زيد بن الدثينة رضي الله عنه حينما صلبوه - رفعوه على خشبة ليصلب - أرادوا أن يختبروه، وقال له قائل من المشركين: أتحبُّ أن يكون مُحَمَّدٌ في مكانك وأنت في بيتك وأهلك؟ قال: لا والله، ما أحبُّ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه.

فقال أبو سفيان - وكان مشرِّكًا في ذلك الوقت - : ما رأيت أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا^(١).

وخبيب بن عدي الذي أنشد وهو مصلوب:
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي^(٢)!
ولما حضر أحد الصحابة الوفاة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالت زوجته:
واحزنناه.

قال وهو يحتضر: لا تقولي: واحزنناه. ولكن قولي: «وافرحاه»، غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه^(٣).

وثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم أصابه تغير وذبول، فسأله صلى الله عليه وسلم: «ماذا بك يا ثوبان؟». قال: تذكّرت يا رسول الله، أمري وأمرك في الآخرة، في الدنيا لا أطيق فراقك، وإذا غبت عني حننتُ إليك واشتقتُ إليك، فذكرت الآخرة حينما تكون في الدرجات العلا، ونحن في درجات المؤمنين إن شاء الله، كيف لي أن أصبر عنك؟

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٥٢٤).
(٢) رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩)، عن أبي هريرة.
(٣) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٦٢٢/٢)، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة.

فكان الجواب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] (١).

وجاء رجل يقول: يا رسول الله، يا نبي الله، متى الساعة؟

فقال «ما أعددت لها؟». بدل أن تسأل عن الساعة اسأل نفسك: ماذا هيأت للساعة لتستقبلها؟

فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، ولكنني أحب الله ورسوله. فقال له: «أنت مع من أحببت» (٢).

وفي حديث آخر: «المرء مع من أحب» (٣).

فما فرح الصحابة بشيء فرحهم بهذا الحديث: «المرء مع من أحب». وكلهم يحبون رسول الله ﷺ.

هذه هي التطلعات العليا التي شغلوا أنفسهم بها، ولهذا لم يبالوا أن يدعوا كل شيء يحرص عليه الناس في دنياهم من أجل حب الله وحب رسول الله ﷺ.

وفي غزوة أحد كان حنظلة في الليالي الأولى من زواجه، وسمع النداء بالمعركة فبادر بالاستجابة دون أن يغتسل وكان جنبًا، أراد أن يلحق بالمؤمنين وألا تفوته الفرصة، فلم يسعفه الوقت للاغتسال.

(١) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٧٤/١١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩)، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٧٠)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٤١)، عن أبي

موسى.

و شاء الله أن يكتب له الشهادة في هذه المعركة، وأخبر النبي ﷺ بقصته الصحابة، وقال لهم: إن صاحبكم - يعني: حنظلة - لتغسله الملائكة^(١). ولهذا عُرف في السير والمغازي وفي كتب السنة بأنه: حنظلة غَسِيل الملائكة^(٢).

وفي غزوة تبوك كان «أبو خيثمة» قد تخلف عن النبي ﷺ، طواع نفسه الأمارة بالسوء، فجلس إلى نسائه وفي بيته؛ لأنَّ الوقت كان وقت شدة حرٍّ، ووقت جني الثمار، كانت ساعة العسرة، ولكنه ما إن رأى حوله الظلَّ والماء والطعام والنساء قال: أبقى في هذه الرفاهية وهذا النعيم ورسول الله في الحرِّ والريح؟

لا والله، لا أقرب واحدة منكن، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتَّى ألحق برسول الله ﷺ.

ولحق به، حتَّى إنَّ النبي ﷺ رأى غبارًا من بعيد فأدرك أنَّ هذا أبو خيثمة؛ لأنَّ مثله لا ينبغي أن يتخلف، فقال: «كن أبا خيثمة». فما إن وصل حتَّى كان هو أبا خيثمة رضي الله عنه^(٣).

هذه هي النفسيات العالية التي تعيش في حبِّ كبير، حبِّ الله ورسوله وللجهاد في سبيله، أمَّا إن كانت الدنيا وزخارفها ومُتعلقاتها أحبَّ من الله

(١) رواه الطبراني (٣٩١/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٨٠): رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن. عن ابن عباس.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٦/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

(٣) جزء من حديث أبي خيثمة، رواه مسلم في التوبة (٢٧٦٩)، وأحمد (٢٧١٧٥)، عن كعب مالك.

ورسوله والجهاد في سبيله، فهذا أمر آخر، أنذرنا الله سوء عاقبته حينما قال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِمَّنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

المؤمن الحق مشغول بحب الله وحب رسول الله وحب الجنة، إنه في شوق إلى ما عند الله تعالى، إن حب الآخرة وحب الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد شغله عن كل شيء في هذه الدنيا، إنه يريد ما عند الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ ﴿قُلْ أُوْنِيَّتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: من النساء والبنين والقناطر المقنطرة وكل متاع هذه الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

هذا ما يتطلع إليه المؤمنون، هذا ما ترنو إليه أبصارهم وبصائرهم، هذا ما تفكر فيه عقولهم، هذا ما تهتم به عزائمهم، هذا ما تتوجه إليه قلوبهم.

الناس شغلوا بغير ما شغل به أصحاب رسول الله:

ولكن الناس في عصرنا - والشباب خاصة - شغلوا بغير ما شغل به خبيب بن عدي، وأسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب، والمهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

شغلهم الحبُّ، وأي حبٍّ؟ إنَّه ليس حبَّ الله ورسوله والجهاد في سبيله، إنَّه حبُّ المرأة في صورة معينة.

إذا كان ولا بدَّ من حبِّ المرأة، فلماذا لا يحبُّ الإنسان أمَّه؟ ولماذا لا يحبُّ زوجته؟ وإذا كان حبُّ البشر مطلوبًا، فلم لا يحبُّ إخوانه المؤمنين؟

الحبُّ فيه متسع: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(١)، «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أو لا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

محبة المؤمنين بعضهم لبعض في الله: أن تحبَّ الله، تحبُّ فلانًا؛ لأنَّه يطيع الله؛ لأنَّه ينصر دين الله؛ لأنَّه يقول الحق؛ لأنَّه لا يخاف في الله لومة لائم؛ لأنَّه فعَّال للخير، مناع للشر.

إذا أحببت إنسانًا لهذا فأنت تحبُّه لله، لا لدنيا تصيبها، ولا لشيء من أغراضها تناله، هذا الحبُّ في الله أو الحبُّ لله. ولهذا كان هو تمام الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواه، ومن أحبَّ عبدًا لا يحبُّه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النَّار»^(٣).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٧٠٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

العاطفة التي يريد بها الإسلام:

هذا هو الحبُّ والكُره، هذه هي العاطفة التي يريد بها الإسلام. يريد الإسلام من المسلم أن يطوِّع عواطفه وانفعالاته وميوله لحكم الله ولشرع الله، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(١)، أي: تصبح أهواؤه وميوله ومشاعره إسلامية مُحمَّدية قرآنية.

هذا هو ما يُراد من المسلم.

ليس معنى هذا أن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يحبَّ من يستحقُّ الحبَّ من زوجة أو أبناء.

لا، هذا مطلوب، ولكن للأسف الحبُّ الذي يتحدثون عنه هو: حبُّ المرأة التي ليست زوجة ولا أمًّا ولا بنتًا ولا أختًا، هذا الحبُّ: الغرام، العشق، والذي تتفنَّن الحياة الحديثة في إشعال ناره، في الرمي له بالوقود المتأجج باستمرار: أغاني، قصص، صور، أفلام، مسلسلات، هذه كلها تؤجج النَّار، والنَّار موجودة وليست محتاجة إلى هذا كله.

إنَّه في الحقيقة ليس حبًّا، إنَّه شهوة، إنَّه ميلٌ غريزي كامن وموجود. لماذا هذا كله؟

لماذا نلحُّ على هذه الغريزة هذا الإلحاح، وبهذه الأساليب الشديدة التأثير؟ حتى أصبح الشباب والشابات يعيشون في هذه الأباطيل، يعانون القلق، يعانون الاضطراب النَّفسي، من جرَّاء التفكير المستمرِّ، والسرَّحان، والتوهان، والمكالمات الهاتفية التي تطول، لم هذا كله؟

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٩)، والبخاري في شرح السُّنَّة (٢١٣/١)، وقال النووي في الأربعين النووية (٤١): حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجَّة بإسناد صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

قالوا: ربّما يكون وراءه زواج، ولكن هل يكون الزواج بهذه الطريقة؟!

إنّ الزواج الذي عرفه المسلمون له أبواب معروفة ﴿وَلَيْسَ الرِّبَّيَانُ تَأْتُوا
الرِّبْيُوتَ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَلَكِنَّ الرِّبَّيَانَ اتَّقَى وَأْتُوا الرِّبْيُوتَ مِنْ أَدْبَارِهِمْ﴾ [البقرة: ١٨٩].

بدل أن تُكَلِّم الفتاة من خلف ظهر أهلها، اذهب إلى أهلها، إذ قبلوك
فيها، وإلا فلا تضع نفسك في مأزق لا تستطيع الخروج منه.

كم من المكالمات الهاتفية ومن الرسائل، تأتيني من فتيات شغلن
أنفسهن بعلاقة عاطفية مع شابّ معين، فلما تقدّم لأهلها رفضوه.

لِمَ إذن هذا العذاب؟

عرفنا وعرف المسلمون من قديم الزمان أنّ الشابّ يتقدّم لخطبة
الفتاة، وينظر أهل الفتاة بالموازين الإسلامية في أمره، في دينه وخلقها،
وقدرته على إحصانها، وإلى الموضوع من كلّ جانب، فإذا وافقوا عليه
كان ذلك خيرًا كثيرًا.

أباح الإسلام النَّظْرَ إِلَى المَخْطُوبَةِ:

وهنا نذكر أنّ هناك للأسف من النَّاس من لا يسمحون لخاطب
ابنتهم بمجرد النظر إليها، وهذا غلوٌّ ليس من الدين في شيء.

إنّ النَّبِيَّ ﷺ قال لمن خطب من الصحابة: «هل نظرت إليها؟». قال:
لا. قال: «فانظر إليها؛ فإنّه أحرى أن يؤدّم بينكما»^(١).

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)،
وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.
وقوله: «يؤدّم بينكما»، أي: يكون بينكما المحبّة والموافقة.

هنا أباح الإسلام النَّظْر؛ لأنَّه نظرٌ لهدف، إنَّه يريد أن يتعرَّف عليها ليطمئنَّ قلبه لها، ولعلَّ هذه النظرة البريئة - التي تهدف إلى مشروع صالح وقيام أسرة مسلمة - تكون بداية لمحبة زوجية؛ فإنَّ العين رسول القلب.

نحن للأسف دائماً نقع بين الإفراط والتفريط، فإمَّا أناس لا يسمحون للخاطب أن يرى مخطوبته بحال، ولا يراها إلا ليلة الزفاف، وإمَّا أناس تركوا الحبل على الغارب، وأطلقوا العنان للشاب والشابة يذهبان معاً إلى النزاهات، أو إلى السينما، أو الأماكن الخلوية، قبل عقد العقد، وهذا لا يجوز.

لا يجوز أن يختلي الشاب بالشابة دون عقد بينهما، إلا أن يكون معهما أحد من أهل الفتاة.

الإسلام يريد إقامة أسرٍ صالحة، ولا يريد من الإنسان المسلم أن يشغل نفسه بما لا يجدي.

غض البصر:

ومن هنا أمرنا بغضُّ الأبصار، أو الغضُّ من الأبصار ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

إنَّه يريد أن يسدَّ الذرائع إلى الفجور، ومن ناحية أخرى يسدُّ الذرائع إلى القلق والاضطراب النَّفسي، الذي يعانیه من يعانیه، من أجل نظرة أدت إلى تعلق قلبه بامرأة لا يستطيع أن يصل إليها، ولا يستطيع أن يتزوجها، لم هذا؟



الشاعر العربي يقول قديماً:

وأنت إذا أرسلت طَرْفَكَ رائداً
رأيتَ الَّذِي لا كُلَّهُ أنتَ قادرٌ
لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
عليه ولا عن بعضه أنت صابِرٌ^(١)

لم هذا؟ لماذا يعرض الإنسان نفسه للقلق والاشتغال، وإدخال نفسه في مآزق لا يمكنه الخروج منها؟ ولماذا يعرض نفسه للفتنة أيضاً؟

وكما قال الشاعر قديماً:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ
ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغِرِ الشَّرْرِ^(٢)

وقال الشاعر شوقي حديثاً:

نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ
فَكَلامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ^(٣)

الألف تجرُّ إلى الباء، والقليل يجرُّ إلى الكثير، ولهذا سدَّ الباب، وغضَّ من بصرِك، ولا تتبع النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ لعليٍّ: «يا عليُّ، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(٤)؛ خشية أن يفتن أو يشغل أو يقلق.

بعض النَّاسِ يقول: إنَّه حَبٌّ، والحَبُّ لا دخل للإنسان فيه، هذا شيء يصنعه الله في القلب، والقلب ليس بيدي!

(١) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار غير منسوب (٢٣/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) ذكره ابن القيم في روضة المحبين ص ٩٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١١٢/٢)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٤) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٧)، وحسنه، عن بريدة.

هذا صحيح، ولكن مقدماته في يدك، الأسباب في يدك، أنت الذي أوصلت نفسك إلى هذه المرحلة، ولهذا يقول الشاعر:

تَعَلَّقَ بِالْعِشْقِ حَتَّى عَشِقَ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يُطِقْ
رَأَى لُجَّةً ظَنَّهَا مَوْجَةً فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا غَرِقَ^(١)

هو أغرق نفسه، وكان الأولى أن يتعد، إنَّ الذي نريده من شبابنا وشاباتنا: أن يدعوا هذه الترهات، أن يدعوا هذه الأباطيل، وأن يفكروا في مصيرهم ومستقبلهم، أن يفكروا في موقفهم بين يدي الله تعالى، أن يفكروا في أمر هذه الأمة، أن يهتموا بأمر المسلمين، أن ينشغلوا بما هو أعظم من هذا.

أمَّا من شغل نفسه بهذه الأمور، من الشَّبَّان الذين يجلسون في الشوارع أو في الطرقات يلتهمون الغاديات والرائحات، فهؤلاء لن يربحوا في الدنيا، ولن يربحوا في الآخرة، وهل يقبل الإنسان لأحد ممن يغار عليه أن يكون كذلك؟ هل ترضى هذا لزوجتك أو أختك أو لابنتك أو لإحدى ذوات محارمك؟

كان الشاعر الجاهلي الفارس عنتر بن شداد العبسي يقول:

أَغْشَى فِتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِهَا وَإِذَا غَدَا فِي الْجَيْشِ لَا أَعْشَاهَا
وَأَغْضُ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا^(٢)

فعل ذلك من باب الشهامة والمروءة ومكارم الأخلاق.

يقول هذا وهو جاهلي، ونرى النَّاس في عصرنا أوَّل من ينظر إليها ومن يريد أن يتطلع إليها هي امرأة جاره أو بنت جاره، وللجوار حرمة؛

(١) ذكرهما ابن القيم في روضة المحبين ص ١٤٧.

(٢) ديوان عنتر ص ٣٠٨، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

الجار حارس على حرمت جاره، فكيف يكون هو اللص؟! إنه الراعي فكيف يكون هو الذئب؟!!

إن الإسلام يريد منا أن نوجه عواطفنا وجهة كريمة، يريد منا أن نوجه هذه العواطف ونتسامى بها إلى ما يحب الله ويرضى، يريد منا أن نكون كيوسف عليه السلام، وليس كامرأة العزيز.

يوسف عليه السلام مثلاً للعضاف:

امرأة العزيز شغفها فتاها يوسف حباً، وهو مملوك لها، وأرادت أن يرتكب معها الحرام، وهيأت الأسباب ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ولكن الشاب المؤمن - مع أنه كان في ريعان شبابه ومقبل عمره، وفي غربة لا يعرفه فيها أحد، ولا يحاسبه على ذلك أحد، ولم يسع إلى الفتنة ولكن الفتنة سعت إليه، وكان يمكنه أن يستجيب، ولكنه - وقف كالطود الأشم وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولما حضر النسوة وخرج عليهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعن أيديهن من الدهشة، من حسنه وجماله وفتوته، وحرصنه على طاعة سيده، فماذا كان منه أمام التحريض من ناحية، والتهديد من ناحية؟

إغراء وإغواء، وتهديد ووعيد، قالت المرأة بصريح العبارة: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَ وَليَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

هنا خير يوسف بين محنتين: محنة في دنياه ومحنة في دينه، فأى المحنتين يختار؟

كانت محنة دنياه أن يُسجن كما هددت المرأة ويكون من الصاغرين، وهي قادرة على أن تقول وتفعل؛ لما لها من نفوذ في تلك الدوائر العليا. كان مخيراً بين هذه المحنة وبين محنة أخرى في دينه، بأن يُفتن وأن يزني ويكون من الفاسقين، فأثر محنة الدنيا على محنة الدين، ومحنة الدنيا لا تساوي شيئاً بجانب محنة الدين، ولهذا علّمنا نبينا أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا»^(١).

ولهذا توجه يوسف إلى ربه و﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وهذا يدل على شدة فتنة النساء، ولهذا قال: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فالقوي قد يضعف.

ورضي بالسجن ولم يرضَ بارتكاب الفاحشة، ودخل السجن وعاش فيه ما عاش.

هذا هو العفاف، هذه هي الإرادة الصلبة، هذه هي الرجولة.

من أراد أن يتخذ له مثلاً عالياً من شبابنا فليتخذه من يوسف، لا يتخذ المثل من الممثلين العرب أو الممثلين الأمريكان.

يتخذه من أسامة بن زيد، من محمد بن القاسم، من الشباب المؤمن على مراحل التاريخ، هذا ما نريده من شبابنا.

يا أيُّها الشُّبَّانُ ويا أيُّتها الشَّابَّاتُ، يا أبناء الإسلام وبناته:

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.



اعرفوا أنفسكم، اشغلوا أنفسكم بما هو أهم وأبقى، دعوا هذه الترهات، دعوا هذه المغريات التي نراها في كل مكان.
ويا أصحاب التوجيه والتأثير في الصحافة والإعلام والقصص والكتب:

اتَّقُوا الله في بنينا وبناتنا، اتَّقُوا الله في بنيكم أنتم وبناتكم أنتم، أليس لكم بنون وبنات؟ أليس لكم شُبَّان وشابَّات؟
احرصوا على هؤلاء، احموهم من الفتنة؛ فَإِنَّ الفتنة تطلُّ برأسها من كلِّ مكان.

نسأل الله تعالى أن يقيننا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا الفواحش كلها، إِنَّه سميع بصير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إِنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعد:

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرّ.

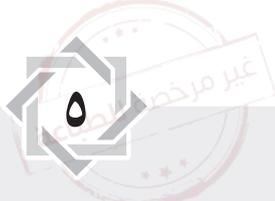
اللهمّ طهّر أقوالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغشّ، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر أعمالنا من الرياء، وطهّر أعيننا من الخيانة.

اللهمّ اجعل يومنا خيرًا من أمسينا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وأقم الصلاة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.



استنساخ البشر وأضراره على الإنسانية^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

في هذه الأيام يتحدث النَّاسُ عن قضيّة خطيرة، تحدّث عنها الصحف والإذاعات والتلفازات وأجهزة الإعلام المختلفة، قضيّة علميّة شغلت النَّاسَ من كلّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وعلى جميع الاختصاصات، هي القضية التي يُسمّونها «الاستنساخ»: أن تستنسخ من كائن حيّ نُسْخًا عَدَّةً، نُسْخًا مُكْرَّرَةً لشخص واحد!

وهذا أمر جرّبه النَّاسُ منذ عرفوا ما سُمّي بـ«الهندسة الوراثيّة»، عندما اكتشف الإنسان - الذي علّمه الله ما لم يكن يعلم - أنّ هناك عوامل وراثيّة هي التي تتحكّم في الإنسان، وتحدّد شكله وصورته وهيئته وذكاءه وقوّته الجسميّة وطوله وقصره وبياضه أو سواده إلخ.

تلك التي يُسمّونها «الجينات»، التي تحمل عوامل الوراثة، من الأب ومن الأمّ، ومن الجدّة ومن الجدّ، ومن القبيلة، ومن الفصيل، ومن النوع.

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ١٢ ذو القعدة ١٤١٧هـ، الموافق ٢١ مارس ١٩٩٧م.

منذ اكتشف النَّاس هذه الأشياء، وهم يُطبِّقونها في عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النَّبات، بأطرٍ مختلفةٍ وضوابطٍ مُحدَّدة. ولكنَّهم في الآونة الأخيرة - في إطار ما عرف باسم «الثورة البيولوجية»، ثورة علم الأحياء وعلوم الوراثة - وصلوا إلى استنساخ في عالم الحيوان.

وهذا ما نشر من استنساخ تلك النَّعجة الأُسكتلندية التي يُسمُّونها «دوللي»، بواسطة خليةٍ أخذت من خروفٍ ذكرٍ وضعت - بعد أن عولجت معالجةً مُعيَّنة - في بِييضةٍ منزوعة النواة من الأنثى - أي: هذه البِييضة لا تحمل العوامل الوراثية - ثمَّ وضعت في رحم الأنثى الشاة، وكانت النتيجة أن جيء بنسخةٍ طبق الأصل من النَّعجة التي أخذ منها، أو الخروف الذي أخذ منه تلك الخلية.

وقالوا: إنَّ هذا يمكن أن يُطبَّق في عالم الإنسان، نستطيع أن نأخذ خليةً من ذكرٍ ونعالجها تلك المعالجة، ونأخذ بِييضةً من امرأةٍ ننزع منها نواتها وعوامل الوراثة فيها، ونغرس تلك الخلية في تلك البِييضة، ونضعها في رحم امرأةٍ، فتأتي لنا بنسخة طبق الأصل من الذكر الذي أخذت منه الخلية. ويمكن أن تخلق من هذا الشخص مئات وآلاف الأشخاص طبق الأصل، هو هو، بجسمه ولونه، وصورته وذكائه، وصفاته الجسمية، وصفاته العقلية، وصفاته النفسية! هكذا قالوا!

الشرع لا يقبل العبث في الجينات والعوامل الوراثية:

ومن هنا تخوَّف النَّاس في العالم كلاً، وهاج هائجهم: علماء القانون، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، وعلماء التربية، وفوق

ذلك كلّه علماء الدين، من مسلمين ومن نصارى، كلُّهم تخوَّفوا من خطورة هذا الأمر.

ماذا لو تمادى النَّاس في هذه القضية واستطاعوا أن يُخلِّقوا^(١) إنساناً بهذه الصورة؟

ماذا يمكن أن يقول النَّاس وأن يقول الدين وأن يقول الشرع وأن تقول الأخلاق أمام هذه القضية؟

هل نسمح بالعبث في الجينات والعوامل الوراثية وهندسة الوراثة إلى هذا الحدِّ؟

هل يقبل الشرع ويقبل الدين وتقبل العقائد السماوية؛ بل هل تقبل القيم الأخلاقية، وتقبل الأوضاع الاجتماعية هذا التصرف؟
نقول: لا، ثمَّ لا.

الإسلام يرحِّب بالتقدم العلمي:

إنَّ الإسلام يفسح ذراعيه للتقدُّم العلمي، ونحن نعتبر أنَّ التقدُّم العلمي فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمُّها الواقع. وفقهاء المسلمين يعتبرون ذلك التفوق والتقدم من فروض الكفاية على الأمة، إذا فرَّطت فيه ركبها الإثم والخطيئة.

(١) هم يُخلِّقون ولا يَخْلُقون، وفرق بين الخلق والتخليق، الخلق لله وَعَلَيْهِ، والتخليق أو التكوين يستطيعه الإنسان بواسطة ما خلق الله. الإنسان لم يخلق المادة الحية، لم يخلق الخلية، لم يخلق البيضة، الله هو الذي خلقها، ولكن الإنسان استطاع بما خلق الله أن يتوصل إلى هذه النتائج.

لا بدّ للمسلمين إذن أن يتبوّءوا مكانهم في المجال العلمي، وقد كانوا سادة الدُّنيا في هذا المجال لعدة قرون، كانوا معلّمي العالم، وكان الطلاب يأتون إليهم من أوروبا ومن غيرها ليتعلّموا في جامعات المسلمين، وكان علماء المسلمين هم أساتذة الدُّنيا، والمراجع العالميّة للمسلمين هي مراجع العلم للعالم، واللغة العربيّة هي لغة العلم.

نحن نرحّب بالعلم، ولكن يجب أن يكون العلم في خدمة الإيمان، في خدمة الأخلاق، في خدمة القيم، في خدمة الإنسان، لا أن ينطلق العلم سائبًا، لا معالم تهديه، ولا ضوابط تعصمه، هنا يكون الخطر كلُّ الخطر.

القرآن ضرب لنا مثلاً بسيدنا سليمان عليه السلام، حينما قال للملأ من حوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾، أي: عرش بلقيس ملكة سبأ ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، أي: في لمح البصر، قبل أن تغمض عينيك وتفتحهما، وفعلاً أتاه به بواسطة هذا العلم الذي أتاه الله ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

هذا منطوق الإيمان، لا يطغى بسبب العلم ولا يتجبر ولا يغتر، وإنما يُرجع الفضل لله تعالى، ويرى أن هذا ابتلاء وامتحان له: أيشكر أم يكفر؟ وكذلك ذكر لنا القرآن قصة أخرى: قصة ذي القرنين، حينما أقام السدّ العظيم بين يأجوج ومأجوج وبين أولئك القبائل الذين استنجدوه فأنجدهم وجنّدهم للعمل معه في ذلك ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴿[الكهف: ٩٥، ٩٦]، فلما أقام هذا السدّ العظيم ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

العلم إذن كان في إطار الإيمان، كان نافعاً ولم يكن ضاراً، كان مُعَمِّراً، ولم يكن مُخَرِّباً ولا مُدَمِّراً.

وهذا شأن العلم في الحضارة الإسلامية.

الحضارة الحديثة نرى العلم فيها لا ينضبط بقيم الإيمان والأخلاق، قد ينفع وقد يضرُّ، قد يبني وقد يُدَمِّر، قد يُحْيِي وقد يُمِيت، كما رأينا في الأسلحة النوويَّة، وكما رأينا في الأسلحة الجرثوميَّة، والأسلحة الكيماويَّة، وأدوات التدمير وغيرها. فهي لا تقف عند حدِّ منفعة الإنسان، بل قد تستخدم فيما يضرُّ الإنسان، وفيما يدمِّر الحياة والأحياء.

من أجل هذا نتوقف في هذه القضية، ونقول: هناك عدَّة اعتبارات لا بدَّ أن نأخذها في الحسبان:

الاستنساخ ضدَّ التنوع والتمايز:

الاعتبار الأوَّل: أَنَّ الله ﷻ خلق النَّاسَ متمايزين، خلق هذا الكون على أساس التنوع واختلاف الألوان، كما قال تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانَّ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الكائنات هم الذين يخشون الله؛ لأنَّ من عرف الله في آياته يخشاه ﷻ.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: اختلاف الألوان هو تعبير عن التنوع الذي خلق الله عليه هذه الكائنات، وأقام عليه هذا الكون، فلا يجوز إذن أن نجعل النَّاسَ متشابهين، نسخاً مُكْرَرَةً، هنا تفسد الحياة.

الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَوْنِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٢]، بعض المُفَسِّرِينَ يقول: ليس اختلاف اللسان أن هذا يتكلَّم بالعربي وهذا يتكلَّم بالإنكليزي، لا، اختلاف الألسن: اختلاف الأصوات، كلُّ إنسان له صوته المُمَيِّز، عُرف في عصرنا ما سُمِّي باسم «البصمة الصوتية»، كلُّ إنسان له بصمة صوتية مثل بصمة بنانه تميزه عن غيره، وبعض النَّاس يضع أمواله في حساب في بنك معين ويقول: إنَّ توقيعي هو صوتي. هذا اختلاف الألسن، اختلاف الأصوات.

وقال: اختلاف الألوان: فسرها بعضهم باختلاف الصور، كلُّ إنسان له صورة تميزه عن غيره، تستطيع أن تعرف زيِّداً من عمرو، وعلياً من عباس، وهكذا، كلُّ واحد له صورته المُمَيِّزة.

ولكن إذا استطاع هؤلاء أن يخلقوا أناساً متشابهين فكيف يتميز النَّاس؟ كيف تعرف زيِّداً من عمرو؟ كيف تعرف فلاناً من علان؟ كيف تعرف هذه من تلك؟ كيف يعرف الأستاذ تلاميذه؟ وإذا دخل أحدهم مكان صاحبه في الامتحان كيف يُعرف هذا من هذا؟ كيف يُعرف المجرم إذا أجرم وكيف يُحقِّق معهم المحقِّق، ويحاكمهم القاضي، وكلُّهم صورة واحدة؟ كيف تستطيع أن تميِّز المجرم من غيره؟ بل كيف يستطيع الرجل أن يميِّز امرأته من غيرها؟ وكيف تستطيع المرأة أن تُميِّز زوجها من غيره؟ ستفسد الحياة حينئذ، حين يتشابه النَّاس ولا يتميِّزون.

هذا التمايز صفة مطلوبة؛ بل ضرورية لتستقيم الحياة، إنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَ اللَّهِ جعل لكلِّ إنسان شخصيته المُسْتَقِلَّة، على أساسها يُخاطب، وعلى أساسها يُحاسب، وعلى أساسها يُثاب ويعاقب، وعلى أساسها يتحمَّل المسؤولية في الدُّنيا والحساب في الآخرة.



فإذا خلق هؤلاء أناسًا متكررين، فهؤلاء قد أفسدوا الحياة الإنسانية والاجتماعية.

التعريض لخطر الأمراض القاتلة:

ثم هذا نفسه يعرض الناس لأخطار، إذا أصاب واحدًا من هؤلاء مرض أو فيروس، أصيب الجميع. يمكن لمرض واحد أن يقضي على هذا القطيع البشري كله.

استغلال قوى الشر للاستنساخ:

ومن ناحية أخرى: يمكن لبعض جهات الشر وقوى الإثم والعدوان أن تستغل هذا.

«المافيا» العالمية تستطيع أن تصنع من بعض الأشرار نسخًا متكررة. الناس كانوا يشكون من «هتلر» واحد، تستطيع إذن أن تصنع عدّة «هتالر» من هذا الإنسان الشرير، وهذا يهدّد الحياة بالخطر.

هناك أخطار كثيرة لا نستطيع أن نتنبأ بها. كلُّ هذا لأنّه فقد عنصر التمايز، عنصر التنوع الموجود بالفطرة بين الناس بعضهم وبعض.

الاستنساخ ضدّ ظاهرة الزوجية:

الاعتبار الثاني: أنّ الله خلق الكون كلّهُ أزواجًا، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبا: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

كان الناس قديمًا يظنون أنّ الازدواج - الذي يتمثل في الذكورة والأنوثة - قائم في عالم الإنسان وفي عالم الحيوان، وعرفوا في عالم

النبات أن في النخيل ذكورا وإناثا، ثم جاء العلم الحديث وقال: كل النباتات فيها ذكورة وأنوثة، بل كل الكائنات، الكهرباء فيها موجب وسالب، الذرة - وهي وحدة البناء الكوني - فيها شحنة كهربية موجبة، وشحنة كهربية سالبة (إلكترون وبروتون)، الحياة كلها والكون كله قائم على سنة الزوجية، وهذا ما قرره القرآن في هذه القاعدة الكونية العامة حيث قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

هؤلاء يريدون أن يبطلوا هذه القاعدة (قاعدة الزوجية) في الكون وفي الحياة، ويقولون: يمكن أن يستغني الناس عن الذكور نهائيا أو عن الإناث نهائيا، ويبقى جنس واحد.

وقالت إحدى الكاتبات الأمريكيات: نستطيع أن نجعل كوكبنا هذا - تعني: الأرض - كوكبا للنساء، وتصبح الأرض للنساء وحدهن ولا داعي للذكور!

الله خلق الزوجين الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩]. فكيف يعيش هؤلاء بجنس واحد؟!

حينما خلق الله آدم لم يدعه وحده، وإنما خلق له من جنسه زوجا ليسكن إليها وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩]؛ لأنه لا معنى لجنّة يعيش الإنسان فيها وحده، فمن أجل ذلك حدث هذا الازدواج، فخلق الله الناس من ذكر وأنثى.

وهؤلاء يريدون أن يستغنوا بأحد الصنفين عن الآخر، وفي هذا تدمير للحياة، ومخالفة لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

حاول ذلك من قبل قوم لوط، الذين قال لهم نبيهم: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، ﴿إِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]،
﴿آتَاوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

وصفهم بالجهل، وصفهم بالإسراف، وصفهم بالعدوان، وصفهم
بالإفساد: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]،
وصفهم بالإجرام، وصفهم بكلّ رذيلة وبكلّ نقيصة؛ لأنهم عاندوا
فطرة الله وأرادوا الاستغناء بالذكور عن الإناث، وهو شذوذ عن الفطرة
والحقّ والدين.

ومن هنا عاقب الله قوم لوط عقوبتين:

العقوبة الأولى: أنّه قلب قريتهم عليهم، وجعل عاليها سافلها.
والعقوبة الثانية: أنّه أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة
عند ربك، كلّ حجر يقصد واحداً معيناً وهدفاً محدداً، يأتيه فيصيبه،
وما هي من الظالمين ببعيد. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا
هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

الاستغناء عن الأسرة:

الاعتبار الثالث: أنّ الله ﷻ جعل الأسرة هي الأساس لحياة المجتمع
الإنساني؛ لا بدّ أن يتربى الطفل في ظلّ أسرة، في ظلّ أبوة وأمومة،
لا بدّ للإنسان أن يعيش في بيت يحنو عليه ويرعاه.

الطفولة الإنسانية أطول أنواع الطفولة في الحيوانات، لا يوجد حيوان تستمر طفولته عدّة سنوات كما في الطفل البشري، فمن يرضى هذا الطفل في أثناء هذه السنين؟ لا بدّ من أمّ ترعاه، وأب يحنو عليه، وإخوة يتعامل معهم.

ومن خلال هذا التعامل تربي مشاعر الحنو والحبّ، والعطف والحنان، والإيثار والتعاون. كلّ هذه المشاعر تنمو في ظلّ هذا التعامل المستمر اليومي.

من الذي يرضى هذا الطفل إذا لم يكن له أب ولم يكن له أم؟ الآن يُفكّرون في عمل رحمٍ صناعي توضع فيه هذه الخليّة، ويحاولون أن يستغنوا عن رحم المرأة نهائيّاً، وطبعاً يرحّب بهذا المُوسّرات والمُمثّلات والمُطربّات حفاظاً على الرشاقة، وهذا خطرٌ كلّ الخطر.

أين الأمومة؟

الأمومة هي المعاناة، وليس مُجرّد أن تعطي بذرة أو بيضة لهذا الرحم الصناعي!

الأمومة أن تتعاش المرأة مع جنينها في بطنها تسعة أشهر؛ الله تعالى حينما أمر بالإحسان بالوالدين قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال في آية أخرى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، هذه هي الأمومة، والأمومة الحقيقية هي هذه المعاشة لهذا الطفل، وتحمل الآمه.

وحيثما جاءت إحدى النساء المطلقات تشكو إلى النبي ﷺ أن زوجها يريد أن يأخذ طفلها منها، قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني! فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحقُّ به ما لم تنكحي»^(١).

ماذا تقول المرأة التي لم يكن بطنها لطفلها وعاء، ولا ثديها له سقاء، ولا حجرها له حواء؟

إنها لم تتولَّ إرضاعه، ولم تحمل حتى يكون لها لبن، أين الأمومة إذن؟ من أجل هذا جعل الإسلام - وجعلت الأديان كلها - الزواج أساس الأسرة، وهؤلاء يلغون الزواج من حياة الإنسان، وبهذا يصبح الناس حيوانات، لم يعودوا أناسي، لم يعودوا بشراً تحكمهم شرائع وتحكمهم قيم.

هذا كله إفساد وتدمير للحياة.

الحياة لا بد لها من أسرة، ولا بد لها من زوجين أو أبوين، ولا بد أن ينشأ الطفل في ظلال هذه الأسرة، وفي رحابها، ويتعلم منها. «كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(٢)، فإذا تركنا الحبل على الغارب لهذه الأمور فسدت الحياة، واضطرب نظام هذا الكون.

(١) رواه أحمد (٦٧٠٧)، وقال مخرَّجوه: حسن. وأبو داود (٢٢٧٦)، والحاكم (٢٠٧/٢)، كلاهما في الطلاق، وصحَّحه الحاكم، وأقرّه الذهبي، وابن الملقن في البدر المنير (٣١٧/٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

ومن أجل هذا كله نقف ضدّ هذا التوجّه الخطير الذي يسعى إليه بعض العلماء، وكثير من العلماء أنفسهم - من أهل العلم الأحيائي البيولوجي - يقفون ضدّ هذه التوجّهات.

نرحّب بالعلم المنضبط:

نحن لا نقف في وجه العلم؛ بل نرحّب به وندعو إليه، ولن نتقدم أمتنا إلّا بالعلم، ولكننا ضدّ العلم المنفلت المدمر، لذا نحن نقول: إنّه إذا كان يمكن أن نستفيد من هذه التوجيهات العلميّة في مجال الهندسة الوراثيّة، في علاج بعض الأمراض المستعصية، وبعض الأمراض الوراثيّة، التي يرثها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد، وإذا استطعنا أن نعالج بعض أسباب العقم الذي يشكو منه الكثير، فلا مانع من ذلك، فحيث توجد المصلحة هنا فثمّ شرع الله، ولكن بشرط: أن لا يكون ذلك فتحًا لباب خطر على البشر؛ إذا خفنا - خوفًا مبنّيًا على دراسة - أنّه إذا فتح هذا الباب فلن يُسدّ، فالأولى بنا أن نسدّه من أوّل الأمر.

عندنا في الشرع قاعدة تسمى: «قاعدة سدّ الذرائع»، أي: لو أنّ هناك أمرًا مباحًا، ولكنّه إذا فُتح الباب له سيؤدي إلى أمور منكرة ومفاسد للناس، فإنّه يُمنع هذا الأمر المباح؛ سدًا للذريعة إلى الفساد، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، لا تسبُّوا الأصنام أمام المشركين فیسبُّوا الله ﷻ، مع أنّ الأصنام لا حرمة لها، وسبُّها لا حرج فيه، ولكن إذا تسبب هذا الأمر في سبّ الله تعالى، فينبغي أن نترك هذا الأمر خشية من عواقبه ونتأججه.

إذا كان فتح الباب لهذا الأمر سيجلب علينا شرًّا لا يعلمه إلّا الله، وسنكون أمام مخاطر قد نعرف أولها ولا نعرف آخرها، فلا بدّ أن نأخذ

بالحزم ونسدّ هذا الباب، كما قيل: «الباب الذي يأتيك منه ريح يجب أن تسدّه وتستريح».

إننا أمام أمر خطر، نحن لا نعرف كل ما يمكن أن يتمخض عنه هذا الأمر، نحن ذكرنا بعض أشياء وهي مؤشرات، ولكن لا نستطيع أن نتكهّن بما يمكن أن يأتي به هذا الأمر لو فُتح الباب على مصراعيه، إنّه قد يودي بالبشريّة، وقد يدمرها كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

أسأل الله تعالى أن يسدّد خطانا، وأن ينير طريقنا، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يوفّق العلماء إلى ما هو خير للإنسان وللحياة وللأحياء، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

القدس العربيّة الإسلاميّة مهدّدة بالزوال:

لا نستطيع أن نصمّم آذاننا، ولا أن نغمض أعيننا، ولا أن نغلق عقولنا، عما يجري في القدس الشريف.

القدس العربيّة الإسلاميّة مهدّدة بالزوال، على مرأى ومسمع منّا نحن العرب والمسلمين، حكومة «نتياهو» قرّرت أمراً، وهي تُنفّذه ولا تبالي باستنكار المستنكرين، ولا باحتجاج المحتجين، ونتياهو هو كمن كان قبله بل شرّ منه، ولكن ليس في الشرّ خيار، كلّهم أشرار.

وَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ فَتَى مُطِيعٍ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْجَمِيعِ^(١)
رابين منذ اليوم الأوّل - يوم الاتّفاق في أوسلو - أعلنها صريحة: أنّ القدس هي العاصمة التاريخيّة والأبديّة والمُوَحّدة لشعب إسرائيل.

هذا ما قاله «رابين»، وما قاله «بيريز»، وما يقوله «نتياهو» ويزيد عليهم: أنّه يتحدّى ولا يبالي بأحدٍ.

القدس تتعرّض لمخططٍ استيطاني يهودي، وهي خُطّة ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس؛ إنّ اليهود قد خطّطوا لذلك من قديمٍ، منذ القرن الثامن عشر، حاولوا أن يتسلّلوا إلى فلسطين وإلى القدس.

(١) البيت لأبي زيد عبد الرحمن بن سعيد الأخضرري المالكي في منظومته: الجوهرة القدسية.

سَيِّدنا عمر رضي الله عنه حينما دخل القدس وصالح أهلها من المَسِيحِيِّين، اشترطوا عليه ألا يُسَاكنهم فيها يهود^(١)، ولا ندرى منذ متى بدأ التسلُّ اليهودي لدخول هذه المدينة، ولكنهم في القرن التاسع عشر حاولوا الضغط على الدولة العثمانيَّة - عندما بدأ يصيبها الضعف شيئًا فشيئًا - لتسمح لهم بإقامة بعض المؤسَّسات، ومن خلال هذه المؤسَّسات خدعوا العرب والمسلمين، وطالبوا بإنشاء مستشفى، وجعلوا في داخل هذا المستشفى وحوله مساكن.

ولكن في آخر القرن التاسع عشر كان سكان مدينة القدس حوالي خمس وأربعين ألف نسمة، وكان اليهود لا يزيدون على ثلاثة آلاف أو أكثر قليلًا، ثمَّ بدؤوا يُحَطِّطون للزيادة شيئًا فشيئًا؛ ففي سنة (١٩١٨م) - أي: بعد أن دخل الجنرال اللبني القائد البريطاني القدس - أصبحوا عشرة آلاف، وبدأ التدفق في الهجرات، وبدؤوا يُعدُّون العُدَّة، ويُهَيِّئون الخُطَّة، لتهويد هذه المدينة، خطوة خطوة، وشبرًا شبرًا.

بعض النَّاس يظنُّ أنَّ العرب باعوا أرضهم لليهود، وهذا ليس بصحيح، الذين فعلوا ذلك كانوا قلة، وكان معظمهم من غير المسلمين، ولكن البلديَّة التي يحكمها البريطانيون استولت على أراض أميرية، واستولت على أراضي الوقف الإسلامي، ومعظم أراضي القدس أراضٍ وقيَّة، وسلَّمتها لليهود.

وحين قامت دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) سنة (١٩٤٨م)، ودخلت الجيوش العربيَّة السبعة، ودخل الجيش الأردني القدس،

(١) انظر: تاريخ الطبري (٦٠٩/٣)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (٢٥٣/١)، نشر مكتبة دنديس، عمان.

وقسمت المدينة إلى قسمين: شرقية قديمة فيها المُقدَّسات، وغربية حديثة سُكَّانها من المستوطنين اليهود، وكان بينهما حاجز أو سلك شائك.

اليهود يُغيِّرون الخطط والهياكل لتهود المدينة:

وهكذا استمرَّ الأمر عامًا بعد عام، ومُدَّة بعد مُدَّة، وهم يُغيِّرون الخطط والهياكل لتهود المدينة، وفي كلِّ مدَّة يستولون على جزء من القدس، وعلى القرى القريبة من القدس، ويضعون خططًا بعيدة المدى، ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون، إلى أن حدثت حرب (١٩٦٧م) - النكبة الثانية - حيث استولوا على القدس الأصليَّة، وبدأ التخطيط لتهود القدس الشرقية نفسها، التي فيها المسجد الأقصى، وقبَّة الصخرة، ومسجد عمر بن الخطَّاب، وكنيسة القيامة، حتَّى هذه الأيام ما زالوا يُهيِّئون الأسباب الآن لإقامة اليهود واستيطانهم فيها، رغم هذا الاتِّفاق الذي زعموه «اتِّفاق السلام»، والذي عارضناه من أوَّل يوم؛ لأنَّه أجَّل القضايا الخطيرة:

١ - قضية القدس: كأنَّ هذه القضية قضية لا تستحقُّ أن تكون القضية رقم (١) في جدول الأعمال.

٢ - قضية اللاجئين المشرَّدين في آفاق الأرض - وهم نحو خمسة ملايين - وحقُّهم في العودة إلى ديارهم.

٣ - قضية الحدود، وأين تقف حدود إسرائيل.

٤ - قضية المستوطنات والمستوطنين اليهود.

كيف تؤجِّل هذه القضايا الكبرى!؟

ولهذا فإن اليهود ينفذون مخططاتهم، ولا يبالون باحتجاج محتج،
ولا بصراخ صارخ!
تَحَكَّم السَّيْفُ فَاسْكُتْ أَيُّهَا الْقَلَمُ تَكَلَّمِ الذُّبُّ فَاخْضَعْ أَيُّهَا الْحَمَلُ

هكذا، هذا هو الذي يجري الآن:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِحُجْرٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ^(١)

نحن نرى ما يحدث ولا نفعل شيئاً، حتى مجرد الصراخ لا نصرخ!
لا بد أن نعمل شيئاً.

لماذا لا تعقد قمة عربية مكبّرة مستوعبة؟

بل لماذا لا تعقد قمة إسلامية؟

الأمر جدُّ خطير ومهم:

حينما أحرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م تنادى المسلمون، وكان
المؤتمر الإسلامي الأوّل أيام الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ، وأقيمت منظمة
المؤتمر الإسلامي.

الآن المدينة كلّها ستضيع، اليهود يستولون على الأرض، وبينون
المستوطنات، ويحفرون تحت المسجد، وقد صنعوا النفق وقتل من
قتل فيه.

لماذا لا تعقد هذه القمة؟

لماذا لا يتنادى الناس في كلّ مكان؟

(١) ديوان المتنبي ص١٦٤، نشر دار بيروت، ١٩٨٣م.

لا بدّ أن يتحدّث الخطباء، لا بدّ أن يكتب الكتّاب، لا بدّ أن يُبدع الشعراء، لا بدّ أن تسير المسيرات، لا بدّ أن تعقد الجمعيات اجتماعاتها، لا بدّ أن نعمل شيئاً، كيف نسكت على ما يجري؟! إنّ ما يجري والله لأمرٌ خطير.

المسجد الأقصى يضيع بين أيدينا ونحن صامتون متفرجون!

أين هذه الأمة؟ أمة المسلمين!

أمة اليهود تقول وتفعل وتنفّذ، ويقول «نتياهو»: نحن نقرّر والفلسطينيون ينفّذون!

بل وصل التبجح بهم إلى أن هدّدوا رئيس السلطة الفلسطينية نفسه بالطرد من فلسطين؛ ليعيش هائماً كما قالوا بين تونس وبغداد! بل هدّدوه بالاغتيال، وقالوا: إنّ عرفات ليس دمه مضموناً، كما أنّ المهندس ليس دمه مضموناً، أي: كما قُتل يحيى عياش رَحِمَهُ اللهُ، يمكن أن يُقتل ياسر عرفات.

إنهم يهدّدون ولا أحد يهدّدهم بشيء!

أين أمة الإسلام؟

نحن نُحيي كلّ الصامدين في وجه هذا العدوان: نحيا سوريا على موقفها الصامد، ورفضها أن ترقع لإسرائيل، نُحيي لبنان، ونحيا تأييده للمقاومة، نحيا شباب «حماس» في داخل فلسطين المحتلة، نحيا شباب «الجهاد»، نحيا كلّ من يصمد ويقول: لا.

بعض الناس يقول لك: ليس أمامنا شيء ولا في أيدينا شيء؛

فماذا نفعل؟

نحن نستطيع أن نقول: لا (بملاء فينا)^(١). يكفي أن نقف رافضين
مقاومين معاندين، لا نستسلم، ولا ندعو إلى السلم، كما قال الله تعالى:
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

جزى الله «دولة قطر» خيرًا حيث أقامت أسبوعًا للقدس، يبدأ في
الأسبوع القادم، نتنادى فيه، ويصرخ كلُّ منا على أخيه: أن هبوا للدفاع
عن قدسكم، عن مسجدكم الأقصى، عن حرمتكم.

لا بد أن نقف وقفة الرجال الذين لا يقبلون الهوان، ولا يرضون
الذلَّ لأنفسهم، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إنَّ الأمر خطير وخطير جدًّا، ولا يمكن أن نسكت على هذا، لا بد أن
نُعلن رأيًا، أن نُعلن موقفنا، أن نحدد «من نحن»؟

نحن لسنا قطيعًا من الأغنام يسوقنا اليهود كما يريدون.

لا، نحن خير أمة، نحن الأمة «الوسط» التي جعلها الله شهداء على
النَّاس، ولكننا نحتاج إلى القادة، الذين يستطيعون أن يتماسكوا، وأن
يقفوا على أرض صلبة.

نسأل الله تعالى أن يؤيِّد خطا المجاهدين، وأن يسدّد العاملين، وأن
يأخذ الظالمين المعتدين، إنَّ أخذه أليم شديد.

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ عليك باليهود الغادرين
المعتدين، اللهمَّ ردِّ عنا كيدهم، وفلِّ حدهم، وأدِّل دولتهم.

(١) وحينما قلنا: «نعم، الأرض مقابل السلام» ماذا أخذنا؟!



اللهمَّ إِنَّا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.
اللهمَّ نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل عليهم بأسك الذي
لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك، اللهمَّ أيدهم بملأ من
جندك، وأمدِّهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكأهم
في كنفك الذي لا يُضام.

اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكِلنا إلى أنفسنا طَرْفة عينٍ
ولا أقلَّ من ذلك، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر
بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



فوائد البنوك هي الربا الحرام (١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

جاء الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً كاملاً للحياة: حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة الجماعة وحياة الأمة؛ بل جاء ليهدي الإنسانية كلّها إلى التي هي أقوم ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

جاء الإسلام رسالة شاملة، وجاء منهاجاً متكاملًا للحياة، يقيم الحياة على أقوى الدعائم وأرسخ الركائز؛ حتّى ينتشر فيها الحقّ والعدل والرحمة والإحسان بين الناس، بل هذا هو هدف الرسالات السماوية كلّها، كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥]، والقسط هو العدل، والله يحبّ المقسطين، ولا يحبّ الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين.

(١) لي كتاب بهذا العنوان، صدر ردًا على فتوى الدكتور محمد سيد طنطاوي؛ بشأن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار، يوم كان مفتيًا للجمهورية.

جاء الإسلام بأحكام تنظّم الحياة الاقتصادية للنّاس:

في هذا الإطار جاء الإسلام بأصول وأحكام تنظّم الحياة الاقتصادية للنّاس، فالمال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، أي: أمين على هذا المال، ونائب عن الله تعالى في تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي الإنفاق منه، ليس حرّ التصرف يفعل ما يشاء، إنّه مقيّد بتوجيهات المالك الأصلي للمال، وهو «الله»؛ يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

أنت - أيّها الإنسان - في مالك، مستخلف في مال الله، هذا مال الله عندك، وأنت مستخلف فيه، أي: موظف عند صاحب المال الأصلي وهو الله تعالى.

جاء الإسلام بأحكام كثيرة تنظّم المال، ومن أهم هذه الأحكام حكمان أساسيان:

- حكم يتعلّق بجانب الأوامر.

- حكم يتعلّق بجانب النواهي.

أمّا الحكم الأوّل فهو إيتاء الزكاة، هذا في قمة الأوامر الإسلامية، ركن من أركان الإسلام، ودعامة من دعائمه الخمس، التي بُني الإسلام عليها، كما في الحديث الصحيح المشهور عن ابن عمر: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(١)، هي الدعامة الثالثة، بعد الشهادتين وبعد إقام الصلاة: إيتاء الزكاة.

هذا في جانب الأوامر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان.

أكل الربا من السبع الموبقات:

وفي جانب النواهي والمحرمات جاء تحريم الربا، فهو من الموبقات السبع، كما سماها النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»^(١).

وعدّ منها: أكل الربا، وأكل مال اليتيم. فهذا من المهلكات: هي مهلكات للفرد، ومهلكات للجماعة، مهلكات في الدنيا، ومهلكات في الآخرة.

وقد لعن النبي ﷺ أكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه^(٢).

فلسفة الإسلام أنه إذا حرم شيئاً حرم كل ما يفضي إليه وكل ما يُعين عليه؛ ليحاصر المنكر والمحرم في أضيق دائرة ممكنة.

من أجل هذا لعن في الخمر عشرة^(٣)، ومن أجل هذا لعن أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه.

أكل الربا: هو الذي يأخذ الفائدة، المرابي. ومؤكله: هو الذي يعطي الفائدة.

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذا الأمر أبلغ التأكيد في آيات من سورة البقرة تعتبر من أواخر ما نزل من القرآن، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.
 (٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.
 (٣) رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقال: غريب. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١)، وصححه الألباني في غاية المرام (٦٠)، عن أنس.

هكذا قال الممارون والمجادلون بالباطل من أهل الجاهليّة، سواء أكانوا من المشركين أم من اليهود الذين كانوا يتعاملون بالربا، وهم أساتذة الربا في العالم من قديم، حرّموا الربا فيما بين بعضهم وبعض، لا يجوز للإسرائيلي أن يعطي جاره الإسرائيلي ربا، ولكن لغير الإسرائيلي يحلّ له أخذ الربا.

هؤلاء أثاروا تلك الشبهة وقالوا: ما الفرق بين البيع والربا؟

أنت بالبيع تأخذ وتعطي، وتكسب ربحاً، وفي الربا تأخذ وتعطي وتكسب فائدة، ما الفرق بين هذا وذاك؟

حتى أنّهم جعلوا الربا أصلاً، لم يقولوا: الربا مثل البيع بل قالوا: إنّما البيع مثل الربا!

وجاء الردّ الإلهي القرآني حاسماً قاطعاً كحدّ السيف، قال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والله لا يحلّ إلا طيباً، ولا يحرم إلا خبيثاً. فلا كلام لمتكلم، ولا تأويل لمتأول، ولا تمحلّ لمتمحلّ ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

الربا لا يزيد في المال:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦] يمحو البركة منه، حتّى وإنّ كثر: «الربا وإنّ كثر فإنّ عاقبته تصير إلى قُلٍّ»^(١).

(١) رواه أحمد (٣٧٥٤)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٩)، والحاكم في البيوع (٣٧/٢)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود. والمراد من قوله «إلى قُلٍّ»: أنّه يؤول إلى نقص ومحقّ آجلاً، بما يفتح على المرابي من المغارم والمهالك.

وكم رأينا من المرابين والمتعاملين بالربا من زاد ماله وزاد، ثم أخذه الله تعالى.

الربا في ظاهره زيادة، ولكنها زيادة محوقة لا بركة فيها، كثيرا ما تؤثر عليك في نفسك، في صحتك، في أهلِكَ، في أولادك الذين يتربون من مال الربا، فلا يبارك الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْرِبْوَىٰ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٩].

الربا زيادة في الظاهر، ونقص في الباطن، والزكاة والصدقة نقص في الظاهر وزيادة في الباطن ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ يضاعف الله أموالهم، ويضاعف لهم أجرهم بعد ذلك.

﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الْرِبْوَىٰ وَيَرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وهذا إشارة إلى المرابي، فهو مبالغ في الكفر، مبالغ في الإثم.

ثم يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبْوَىٰ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، كل ما بقي من الربا من عهد الجاهلية، قل أو كثر.

الوعيد على أكل الربا:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] هي حرب قدرية وحرب شرعية، ولا يمكن أن ينتصر من يحارب الله ورسوله، إن الله سيغلبه، من حارب الله ورسوله هو المغلوب، وهو المهزوم.

﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لم يجئ في معصية من المعاصي ولا في كبيرة من الكبائر ما جاء في الربا، لم يجئ في الزنى ولا في شرب الخمر ما جاء في هذا الأمر.

﴿وَأِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]،
وهذا إشارة على أن ما زاد على رأس المال بغير عوض مقابل الأجل وحده
- لا بيع ولا شراء ولا تجارة - فهو ظلم، وهو ربا.

يقول بعض الناس: كيف يكون الربا ظلماً، وأنا آخذه برضاي؟!
أنا متفق مع البنك أن آخذ المائة وأردّها إليه مائة وعشرة، آخذ الألف
وأردّها إليه ألفاً ومائة. فلماذا يكون هذا ظلماً؟!

ونقول لهؤلاء: وهل يتصور في الربا إلا أن يكون بالتراضي؟!!

هل كان الربا في وقت من الأوقات بالقهر؟

النّاس كانوا يذهبون إلى المُرّابي، ويكادون يُقبّلون يده أو رجله
ليعطيه، وكان كثيراً ما يتدلل المُرّابي عليهم، يريدون منه ألفاً ويعطيهم
خمسائة أو سبعمائة.

الربا دائماً بالتراضي، ولكن التراضي لا يُحلّ الحرام.

إذا زنى رجل بامرأة بتراضيهما، أيكون ذلك حلالاً؟!

التراضي لا يُحلّ الحرام، ولا يجعل المنكر معروفاً، إنّه تراضٍ على الباطل.

الحكمة من تحريم الربا:

إنّ الإسلام حرّم الربا لحكم كثيرة، من هذه الحكّم التي أكتفي
بالنصّ عليها الآن:

أنّ المال في نظر الإسلام لا يزيد ولا ينمو وحده، النقود لا تلد
نقوداً، والمال بطبيعته لا يلد المال، إنّما المال يزيد بالعمل، الألف

وحدها لا تصبح ألفاً ومائتين، والمائة لا تصبح مائة وعشرين، ما الذي يجعل المائة مائة وعشرين، والألف ألفاً ومائتين؟
العمل، أن تعمل فيزيد المال.

ولكن ليس كلُّ النَّاسِ قادرًا على العمل، أنا مدرس وأعمل بالتدريس وقد أدخر شيئًا من المال، فماذا أفعل في هذا المال؟

إذا لم تستطع أن تعمل فما الحل؟ هنا يجوز لك أن تعطي غيرك المال ليتجر لك به، أو ليعمل به مشروعًا، وبذلك تكونان شريكين: أنت بمالك وهو بجهدته وخبرته، وبهذا يتعاون رأس المال والعمل معًا.

ولكن هنا يقول الإسلام لك: ما دمت قد شاركت هذا الآخر الذي نسميه «المضارب» وأنت «ربُّ المال»؛ فكن شجاعًا، وكن على خلق، وتحمل مسؤولية المشاركة، لقد صرتما شريكين، ومقتضى المشاركة أن تتحملا المسؤولية معًا، فإذا ربحتما ربحتما معًا، وإذا خسرتما خسرتما معًا.

الربح حسب الاتفاق:

إذا ربحتما كثيرًا نال كلُّ واحد منكما من هذا الكثير بالنسبة المتفق عليها حسب ما تتفقان: أنت (٤) وهو (٣)، أنت النصف وهو النصف، أنت (٩٠٪) وهو (١٠٪)، فالربح بينكما على ما اتفقتما عليه.

والخسارة على رأس المال، إذا خسرت الشركة بدون تقصير ولا تعدد من المضارب، إذا ثبت أنه قصر أو تعدى فهو الذي يتحمل الخسارة، أما إذا كانت هناك أقدار قاهرة، وأشياء لم تكن في الحسبان، وأدت إلى خسارة رأس المال.. فهنا يخسر صاحب المال ماله أو جزءًا من ماله،

ويخسر الآخر جهده، ما بذل من جهد طوال العام قد خسره، وليس المال أهم من جهد الإنسان.

هذا هو مقتضى العدل المحكم الذي جاء به الإسلام.

مقتضى ما جاء به الإسلام، أن تتحملاً الغرم والغنم معاً، أن تتحملاً الربح والخسارة معاً.

أمّا أن تُحدّد الربح من الأصل وتقول: أنا آخذ المال منك، وأعطيك في كل سنة عن المائة «عشرة» أو عن المائة «عشرين» فهذا لا يجوز.

ما يدريك أنّك ستكسب؟

قد تظن أنّك تكسب، ولكنك تخسر، هذه ليست العدالة المنشودة.

العدالة المحكمة التي جاء بها الإسلام: أن تتحملاً الغرم والغنم معاً، وهذا بإجماع العلماء.

لا يجوز تحديد شيءٍ لأحد الطرفين:

في المضاربة: «لا يجوز تحديد شيءٍ لأحد الطرفين دون الآخر»، لا بدّ أن يدخل على نسبة مشاعة، هذا بالإجماع.

وهذا الإجماع له سند من النصوص، ففي مزارعة الأرض نهى النبي ﷺ أن يشترط لأحد الطرفين ثمرة أرض معينة، أو قطعة أرض معينة، قنطار أو إردب معين أو نحو ذلك^(١) ما يدريه قد يسلم هذا أو

(١) عن رافع بن خديج قال: «كنا أكثر الأنصار حقلاً، فكنا نكري الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه؛ فربما أخرجت هذه، ولم تخرج هذه، فنهانا عن ذلك». متفق عليه: رواه البخاري في الشروط (٢٧٢٢)، ومسلم في البيوع (١٥٤٧). وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (٣/٣٣٠ - ٣٣٥)، =

يتلف ذلك، وقد تُثمر تلك القطعة من الأرض دون غيرها، وقد يحدث عكس هذا، فيكون لأحد الطرفين غنم لا يشاركه فيه الآخر، أو يكون عليه غرم لا يشاركه فيه الآخر.

فهذا هو الأصل النصي لمنع اشتراط شيء لأحدهما في المزارعة. والمزارعة كما قال الإمام ابن قدامة: مضاربة في المعنى^(١).

نعم المزارعة مضاربة في الأرض، والمضاربة مزارعة في المال، اللذين يريدون للمال أن يكسب ولا يخسر، وأن يزيد ولا ينقص، هؤلاء يريدون الخروج على سنة الله في الكون كله.

ليس هناك شيء في هذا العالم غير قابل للنقص، كل شيء، كلُّ نعمة قابلة لأن تنقص وأن تذهب، الصحة قابلة للمرض، الصحيح قد يمرض، الشاب تعتريه الشيخوخة، القوي تطراً عليه ظروف الضعف، الحي قد يأتيه الموت في أي لحظة. فهل المال أهمُّ وأغلى من الحياة، من الصحة، من الشباب، من القوّة؟

لماذا يُراد للمال أن يظلّ كما هو ولا ينقص أبداً؟ لماذا يُراد للمائة ألا تنقص؟ تصبح مائة وعشرة أو مائة وخمس عشرة، أمّا أن تكون أقل، فلا، لم هذا؟

هذا خروج عن سنة الحياة، عن فطرة الكون.

فهؤلاء المرابون خارجون عن الفطرة، خارجون عن الدين.

= باب فساد العقد إذا شرط أحدهما لنفسه البقعة أو بقعة بعينها ونحوه، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، مصر، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
(١) المغني (٣٢/٥)، نشر مكتبة القاهرة.

ولهذا فإنَّ الرِّبَا أمر لا شكَّ في تحريمه، وهذا ما سار عليه المسلمون طوال ثلاثة عشر قرناً، منذ بعث الله محمداً ﷺ، وأقر في النَّاسِ الحقَّ، وأقام العدل، وجاء بعده الراشدون، وجاءت بعدهم الدول المختلفة، منهم من استقام على الإسلام، ومنهم من انحرف عنه، ولكن بقيت هناك أشياء قطعية لا مجال لجدال فيها، من هذه الأشياء: تحريم الربا.

لم تجئ دولة من دول الإسلام طوال التاريخ: لا في العهد الأموي، ولا في العهد العباسي، ولا في عصر المماليك، ولا في العهد العثماني، ولا في أي عصر من العصور، لتقول بإباحة الرِّبَا، أو إباحة شرب الخمر، أو إباحة الزنى، لم يحدث هذا، هذه أمور مقطوع بها في دين الله.

لم يعرف المسلمون إباحة الرِّبَا إلا في عصر الاستعمار؛ عندما جاءنا الاستعمار الغربي وأجلب علينا بخيله ورجله، واحتل ديارنا، وأصبح هو المتحكِّم في رقابنا، وهو الذي يسوس تعليمنا، ويسوس اقتصادنا، ويسوس كلَّ أمورنا، وأصبح التشريع في يده، وأصبح القانون في يده، وأصبح الاقتصاد في يده، وأصبحت الثقافة في يده، فأصبح كيف حياتنا وفقاً لفلسفته هو، لا لفلسفتنا نحن، فأحلَّ ما حرَّم الله، وحرَّم ما أحلَّ، وأسقط ما أوجب الله، وشرَّع ما لم يأذن به الله.

ومن أجل هذا عرفت المجتمعات الإسلاميَّة لأول مرَّة حلَّ «الربا»، وقامت البنوك الحديثة هذه، وهي جزء من أجزاء المجتمع الرأسمالي، الرأسمالية الغربيَّة لها أدوات، ومن أهم هذه الأدوات: البنوك.

إنَّ الرأسمالية تقوم على ساقين: الاحتكار، والربا. والربا يتمثل في هذه البنوك.



ما هي مُهَمَّة البنوك؟

مُهَمَّة البنوك أن تستقرض بالربا، وتُقرض بالربا، يعني: أنت عندك فائض من الأموال، فتذهب وتعطي البنك وديعة ربوية، تعطيه «المائة» فيعطيك «عشرة» على المائة، فإذا ذهبت وأنت محتاج لتستقرض من البنك يعطيك بخمسة عشر أو بثلاثة عشر، والفرق بين النسبتين، هو ربح هذا البنك.

هذا هو البنك، عمله الأساسي المتاجرة في الربا، ليس عمله الأساسي أن يصنع ويزرع ويستثمر، وليس هذا هو عمل البنك التجاري التقليدي.

الذين يقولون: إنَّ البنك يستثمر أموال النَّاس، يضللون النَّاس.

هذا ليس عمل البنك، البنك عمله «دائن ومدين».

حتى الكشف الذي يأتي الإنسان من البنك قائم على هذا الأساس «دائن ومدين»، ليس هناك عمل لهذا البنك في أمور استثمارية.

لا، فهذا البنك هو المرابي الأكبر، هو سمسار الربا الأعظم، يأخذ الأموال بفوائد، ويعطيها بفوائد أكثر، ويربح من هذا الفرق.

إجماع المعاصرين على تحريم فوائد البنوك:

هذه الفوائد التي تأخذها البنوك، أجمع المسلمون أنها هي الربا المحرّم شرعاً، لم يقل بذلك عالم أو اثنان أو ثلاثة، وإنّما قالت ذلك مجامع فقهيّة، قائمة على الاجتهاد الجماعي، وأوّل مجمع صرح بذلك وقوّره بوضوح هو «مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر»، وذلك في سنة (١٩٦٥م).

كان مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الشيخ حسن مأمون العالم الكبير المعروف رَحِمَهُ اللهُ، وكان فيه ممثلون لخمس وثلاثين دولة إسلامية، وفيه من فطاحل العلماء المعروفين أمثال: الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة، الشيخ فرج السنهوري، الشيخ علي الخفيف، الشيخ مُحَمَّد السائس، الدكتور مُحَمَّد البهي، الشيخ نديم الجسر، وغيرهم من علماء العالم الإسلامي.

أجمع هؤلاء بصريح العبارة: أن فوائد البنوك هي الربا الحرام، وعلى البلاد الإسلامية أن تحاول إقامة بدائل عن هذه البنوك.

ثم جاء المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، وأكد ما قرّره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

ثم جاء مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وأكد ما قرّره المجمعان السابقان.

وجاء المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي عُقد في مكة المكرمة سنة (١٩٧٦م)، وكان فيه أكثر من ثلاثمائة عالم جاؤوا من أنحاء العالم ما بين علماء شريعة، وعلماء اقتصاد، وعلماء محاسبة، وقرّروا بالإجماع أن الفوائد هي «الربا الحرام».

وأشهد أنني حضرت هذا المؤتمر، وكان رجال الاقتصاد أشدّ حماساً لتحريم الربا من رجال الفقه.

وجاء المؤتمر العالمي الأول للفقه الإسلامي المنعقد في الرياض ومؤتمر الدعوة المنعقد بالمدينة المنورة، ومؤتمرات المصارف الإسلامية التي انعقدت في دبي، وفي الكويت، وفي القاهرة، وفي إستانبول، وفي غيرها من البلاد، كلّها تؤكّد أن الفوائد هي «الربا الحرام».

هذا أمر لم يُعد هناك خلاف فيه.

وقلنا: الحمد لله استراح المسلمون، وأغلقوا هذا الملف، ملف الفوائد والربا.

كنا في أوائل هذا القرن، حينما ابتلينا بالهجمة الاستعمارية الغربية، التي أحلت الحرام، وجعلت المنكر معروفاً، حدث هناك خلاف بين بعض العلماء:

في فترة من الفترات قال من قال: يجب أن نسير وراء المجتمع الغربي، نأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرّها، وحلوها ومرّها، ما يُحِبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب، ودعوا إلى ذلك بصراحة.

ثم جاء آخرون - وكانوا أهون من هؤلاء - وحاولوا أن يبرّروا الواقع، وقالوا: نحن نحاول أن نبرّر ما نستطيع تبريره من الحضارة الغربية.

كان مهمهم تبرير الواقع لا محاولة التحرّر من الواقع الدخيل عليهم. حاولوا أن يستسلموا للواقع وأن يبرّروه، بماذا يبرّرونه؟

بتأويلات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، يحاولون بها أن يسندوا هذا الواقع الدخيل على الأمة، أرادوا أن يلبسوا الخواجة الأوربي عمامة شيخ مسلم؟

قالوا: إن ربا الجاهليّة غير الربا الحاضر.

وربا الجاهليّة هو نفسه «الربا الحاضر»؛ إنك تأخذ المال في مقابل الأجل، وليس هناك أي عمل ولا أي جهد، وهو الربا الموجود في العالم كلّ، هذا هو الربا.

قال بعضهم: إِنَّ الرِّبَا المحرَّم هو ربا الاستهلاك وليس ربا الإنتاج.
 ربا الاستهلاك: من يستدين منك أو يستقرض منك ليأكل أو يشرب
 أو يلبس.

أمَّا ربا الإنتاج: فهو الذي يريد أن يتاجر ويستثمر. قالوا: هذا لا دخل
 له بالربا!
 وهذا ليس بصحيح.

الإسلام حينما جاء حرَّم الرِّبَا كلَّه، سواء كان للتجارة أم كان
 للاستهلاك، وهل كان العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ - وهو ممن
 كان يرابي في الجاهليَّة - إذا أتاه رجل يريد أن يأكل يقول له: لا أعطيك
 إلا إذا دفعت لي كذا؟! وهو الذي كان يسقي الحجيج كلَّ الحجيج
 على حسابه.

وقال بعضهم: إِنَّ الرِّبَا المحرَّم هو ربا الأضعاف المضاعفة، الله تعالى
 يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

سقطت كلُّ شبهات تبرير الربا:

وجميع المفسرين من جميع المدارس والمذاهب اتفقوا على أن هذا
 القيد لبيان الواقع، يعني: أنهم كانوا يأكلون الرِّبَا حتَّى يبلغ أضعافاً
 مضاعفة (الربا المركَّب) فهذا هو الذي نهى عنه، لكن ليس معنى هذا أنه
 لا يحزُّم إلا الأضعاف المضاعفة؛ لأنه لو صحَّ هذا لكان الرِّبَا لا يحزُّم
 إلا إذا كان ستمائة في المائة (٦٠٠٪)! لأنَّ كلمة «أضعاف» جمع، وأقلُّه
 ثلاثة، فإذا ضاعفناها - ولو مرَّة واحدة - تصبح ستَّة أضعاف. فهل الرِّبَا
 لا يحزُّم إلا إذا كان ستَّة أضعاف؟ هل هذا معقول؟

فهؤلاء الذين حاولوا أن يبرّروا الربا في أوائل هذا القرن، سقطت كلُّ شبهاتهم، ولم يبقَ منها شيء، واستطاع المسلمون أن يتحرّروا من هذه العُقد، وأن يُجمِعوا على تحريم الربا، سواء كان للاستهلاك أم للإنتاج، قليلاً كان أم كثيراً.

الربا هو الربا، الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم قليله وكثيره كما في الخمر.

يريد أن يفطم النَّاس عن الحرام، وأن يسدَّ الباب إلى الحرام بالكلية. فهذا ما جاء به الإسلام.

في أوّل الأمر كانت هناك هذه التبريرات، ثمَّ جاءت بعد ذلك صحوة، وقام وعي إسلامي، وعاد كثيرون إلى الإسلام، وإلى كنوزه يكتشفونها، ويعرفون أسرار هذه الشريعة.

من هؤلاء من هم من رجال الفقه، ومنهم من هم من رجال الاقتصاد، ورجال القانون والمالية، فوقفوا وبيّنوا أخطار الربا وما وراءه من أزمات. حتى الغربيون أنفسهم قالوا: إنّ الربا وراء أزمات الكساد، وأزمات الاقتصاد في العالم، ولا يمكن أن يتخلص العالم من هذا إلا إذا أصبحت الفائدة صفراً، ومعنى أن تصير «صفراً»: تلغى.

جاء رجال من رجالات المسلمين، وكتبوا في ذلك كتابات رائعة: الدكتور مُحمّد عبد الله العربي أستاذ الماليّة بجامعة القاهرة، الدكتور عيسى عبده إبراهيم أستاذ المحاسبة، الدكتور محمود أبو السعود أستاذ الاقتصاد، الدكتور أحمد النجار، وكثيرون من رجال الاقتصاد.

ثم رجال الشريعة بعد ذلك كتبوا في هذا الأمر وبيّنوا: لماذا حرّم الله الربا؟ وأنّه لا بدّ للأُمَّة أن ترفض الربا؛ حتّى لا تأذن بحرب من الله ورسوله، ولا تُصاب في أنفسها وأبنائها وأموالها وحياتها كلّها؛ فالنبي ﷺ يقول: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله»^(١).

ظهور الزنى دلالة على فساد الناحية الاجتماعية، وظهور الربا دلالة على فساد الناحية الاقتصادية، فإذا اجتمعت العلتان ضاعت الأُمَّة «فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله».

مرحلة إيجاد البدائل:

وجاءت بعد ذلك مرحلة أخرى: هي مرحلة إيجاد البدائل.

النّاس قالوا: حرّمتم علينا الربا؛ ولكن ماذا نفعل؟ ألا يوجد بديل لهذا الأمر؟

وقال لهم أهل العلم: لا يوجد شيء حرّمه الله إلّا وفي الحلال ما يغني عنه، لا يمكن أن يحرم الله على النّاس شيئاً يضطرون إليه، نستطيع أن نقيم بنوكاً لا تتعامل بالفائدة.

قالوا: هذا مستحيل؛ الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفائدة الربويّة عصب البنوك، فلا تحلموا ببنوك بلا فائدة.

ولكن هذا الحلم تحقّق، وقامت البنوك الإسلاميّة، قام أوّل بنك في العالم الإسلامي في «دبي»: بنك دبي الإسلامي.

(١) رواه أحمد (٣٨٠٩)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو يعلى (٤٩٨١)، وابن حبان في الحدود (٤٤١٠)، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٥٦)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٦٥٨١): لأبي يعلى فقط، وجوّداً إسناداً. عن ابن مسعود.

وقام بعد ذلك: بنك فيصل الإسلامي المصري، بنك فيصل الإسلامي السوداني، بيت التمويل الكويتي، البنك الإسلامي الأردني إلخ. واتسعت البنوك الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي، وهنا في قطر بنكان إسلاميان، وكان هذا أثرًا من آثار الصحوة الإسلامية المعاصرة. الصحوة المعاصرة كان لها آثارها في الحياة كلّها: آثارها في التعليم، آثارها في الفكر والثقافة، آثارها في التشريع، آثارها في الناحية الاقتصادية.

وكان من أهم هذه الآثار في الناحية الاقتصادية: ظهور البنوك الإسلامية التي لا تتعامل بالفائدة، وظهور بيوت الزكاة وصناديق الزكاة، وظهرت مؤسسات مالية وشركات لا تتعامل بالربا.

وقلنا: الحمد لله، أصبح أمام المسلم فرصة ليجد البديل عن الحرام؛ حتى لا يطعم لقمة من حرام، ولا يدخل جيبه ولا رصيده في البنك درهم من حرام، ولا يُطعم أولاده من حرام، ولا يربيهم من حرام. كان هذا من فضل الله تعالى.

ثم وجدنا للأسف من يفتح هذا الملف الذي أغلق، ويعود فيشير الشبهات القديمة التي فرغ العلماء منها ومن الردّ عليها، ليقول: الفوائد حلال، بل أكثر من ذلك يهاجم البنوك الإسلامية، البنوك التي تقوم على أساس من شريعة الإسلام، وهي نعمة من الله تعالى.

كيف تهاجم بنوكًا قامت على أساس من أحكام الإسلام، واستقبلها المسلمون في أنحاء العالم بالترحاب، ويشرف عليها علماء من أجلّة العلماء في العالم الإسلامي كلّهُ؟!!

لا أدعي أن البنوك الإسلامية معصومة من الخطأ.

لا، ليس هناك عصمة، هناك أخطاء في البنوك الإسلامية، تقلُّ في بنك وتكثر في بنك آخر، ومن أحسن البنوك الإسلامية: البنوك التي في «قطر»؛ لأنَّ فيها رقابة شرعية وتدقيقًا شرعيًا داخليًا إلى حدِّ كبير، وهناك بنوك أشدَّ التزامًا مثل: بنك «التقوى» في «سويسرا».

هذه البنوك قامت على أساس من الإسلام، فكيف يأتي عالم مهما بلغ منصبه: يهاجم هذه البنوك الإسلامية، ويطالب بإلغائها؟!

لقد خطونا خطوة إلى الأمام، وهو يريد منا أن نتأخَّر إلى الوراء؟! البنوك الربويَّة نفسها أرادت أن تجاري هذه البنوك الإسلامية، وفتحت فروعًا للمعاملات سموها «فرع المعاملات الإسلامية» في البنوك الربويَّة.

هم أنفسهم يعرفون أن بنوكهم ليست إسلاميَّة، وهو يقول: لا، بنوككم إسلاميَّة، رغماً عنكم يا معشر البنكيين، ويا معشر المصْرَفِيِّين! ويقول: إنَّ من لا يحدِّد الربح أنا ضده! لا يجوز ألاَّ نُحدِّد الربح! يجب أن نُحدِّد الربح! على خلاف ما أجمع عليه علماء الأُمَّة طَوَّال تاريخهم، أجمعوا على أن تحديد الربح لأحد الطرفين لا يجوز.

هذه فتنة أيُّها الإخوة، نسأل الله السلامة منها.

ولكنَّ الذي أقولُه: إنَّه ليس عندنا «بابوات»، ليس عندنا «بابا» معصوم: ما يحلُّه في الأرض فهو محلول في السماء، وما يعقده في الأرض فهو معقود في السماء، كلُّ عالم عندنا قابل للخطأ، كلُّ أحد

يؤخذ من كلامه ويُترك إلا النبي ﷺ ، وخصوصًا إذا جاء هذا العالم معارضًا لعلماء الأمة كافة.

هل يستطيع شيخ الأزهر أن يجمع مجمع البحوث الإسلامية بعلمائه من مختلف البلاد، وينظر في هذه القضية، ويصدر رأيًا باسم المجمع يلغي ما أصدره سنة (١٩٦٥م) من أكثر من ثلاثين عامًا؟

هل يستطيع أن يلغي القرار السابق لمجمع البحوث بقرار جديد يقول فيه: إن فوائد البنوك حلال، وليست كما قرّر المجمع القديم؟

هل يستطيع هذا؟

نحن نقول: إن كل عالم يؤخذ من كلامه ويُترك إلا رسول الله ﷺ ؛ فهو الذي لا ينطق عن الهوى، وهو المعصوم من كل خطأ.

إننا نأسف أشدّ الأسف أن يقع بعض علماء الأمة في مثل هذا الأمر، في مثل هذا الخطأ الجلل، فيجمل مثل هذا الحرام الصريح، وهذا المنكر الخبيث.

ونسأل الله تعالى أن يتوب على كل من انحرف عن الطريق القويم، وأن يهدي الضالين، وأن يردّهم إلى الصراط المستقيم، إنه سميع قريب. أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

من أعظم ما يتقرّب به المسلمون إلى الله: «تعليم القرآن وتعلّمه»، كما قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه»^(١).

ومن هنا ينبغي أن نحصر على تعليم أولادنا القرآن الكريم، أو ما تيسر منه على الأقلّ، وقد أحسنت وزارة الأوقاف في أن فتحت كثيرًا من المساجد لتعليم القرآن، وأقامت مراكز لتحفيظ القرآن الكريم، ومنها هذا المسجد^(٢).

فشجعوا أبناءكم على هذا الأمر؛ عسى أن يكون القرآن شفيعًا لكم ولهم - إن شاء الله - يوم القيامة.

وهناك بعد الصلاة توزيع جوائز على الفائزين في مسابقة القرآن الكريم.

اللهمّ أكرمنا ولا تُهّننا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمّ هيئ لنا من أمرنا رشداً.

اللهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقلّ من ذلك.

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧).

(٢) مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة.



اللهمَّ إنا نسألك العفو والعافية، في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ اسْتُرْ عوراتنا، وآمِن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

* * *





توضيح الحق في فوائد البنوك^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:
من أكره الأشياء إلى نفسي ثلاثة أمور:
الأمر الأوّل: أني أكره التكرار، لا أحبُّ أن أكرّر نفسي، ولا أن أكرّر
غيري، ولا أن أضيّع الأوقات في توضيح الواضحات، وتحصيل
الحاصلات، ونشر النشارة، كما يقولون.

وقديماً قالوا: توضيح الواضحات من المشكلات.

الأمر الثاني: أني أكره الجدل العقيم الذي لا يأتي بنتيجة، والذي
يظلُّ كلُّ امرئ بعده متمسكاً برأيه، متعصباً لما ذهب إليه، فهذا لا فائدة
فيه، وقد قال النبي ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا
الجدل». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الرّخرف: ٥٨]^(٢)، أي:
شديدو المجادلة، وهذا وصف لقريش في جاهليتهم.

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب، بالدوحة ٤ ذو الحجة ١٤١٧هـ، الموافق ١١ إبريل ١٩٩٧م.

(٢) رواه أحمد (٢٢١٦٤)، وقال مخرّجوه: حسن بطرقه وشواهده. والترمذي في التفسير (٣٢٥٣)،

وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٨)، والحاكم في التفسير (٤٤٧/٢)، وصحّ

إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي أمامة.

الأمر الثالث: أنني أكره تتبّع المخالفين لي والردّ عليهم؛ فإنّ الأعمار أضيّق وأنفس من أن تضيع في مثل هذا، ولو أنّ الإنسان تتبّع كلّ كلمة تُقال عنه، أو كلّ رأي يُقال في حقّه، لقضى عمره في تتبّع هذه الأمور، ولكنني أشغل نفسي أبداً ببيان الحقائق، أكثر ما أشغلها بالردّ على الأباطيل.

ومن أجل هذا استكرهت نفسي على موضوع اليوم الذي أحدثكم فيه، وهو ما يتعلّق بفوائد البنوك؛ لأنني سبق أن ألقيت خطبة في هذا الموضوع.

ولا أحبُّ أن أكرّر هذه الخطبة. وأنا ألّفت كتاباً في هذا الموضوع تحت عنوان: «فوائد البنوك هي الرّبا الحرام»^(١)، وطبع منه عشرات الآلاف والحمد لله.

ولكنّ الأمر إذا أصبح ظاهرة للتشكيك في المسلّمات وتحويل القطعيّات إلى احتمالات، أصبح الأمر يقتضي الردّ، ويقتضي الوقوف بحزم أمام هذه الظاهرة المرضية الخطيرة والفتنة الفكرية الجسيمة، التي تريد تحويل المحكّمات إلى متشابهات، والقطعيّات إلى ظنيّات، والإجماعيّات إلى خلافيّات، فأصبحنا نشكّك في الأمور البدهية في أحكام الدين، ليس هذا في أمر ولا في أمرين، ولا في حكم ولا في حكمين.

(١) وقد طبعته دار الصحوة بالقاهرة، ودار الوفاء بالمنصورة، عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ومكتبة وهبة بالقاهرة، وطبعه أكثر من مصرف إسلامي؛ ليوزع مجاناً، ثم طبعه المكتب الإسلامي طبعة خاصة على نفقة مصرف قطر الإسلامي عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. وقد لاقى الكتاب قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً، وكان له صداه القوي في إبلاغ هداية الله، وإسماع صوت الحقّ، وكشف الزيف، والردّ على الشبهات والأباطيل، والحمد لله ربّ العالمين.

رأينا من يشكك في ميراث الذكر والأنثى من الأولاد، وهو قطعي في كتاب الله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

رأينا من يشكك في إباحة تعدد الزوجات.

رأينا من يشكك في وجوب قوامية الرجل على الأسرة ومسؤوليته عنها.

رأينا من يشكك في تحريم الخمر، ويقول: إنَّ الله لم يحرمها، ولكن قال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾! [المائدة: ٩٠].

رأينا من يشكك في حرمة الخنزير، ويقول: إنَّ الخنزير الذي حُرِّم لم يكن مثل خنزير زماننا، إنَّها كانت خنازير تأكل القاذورات، أمَّا خنازير اليوم فهي خنازير حديثة «مودرن» تربى تحت إشراف صحي! رأينا هذا، ورأينا هذا كله.

وأبرز ما تجلت فيه هذه الظاهرة مسألة: الربا، الفوائد الربويّة.

كلام خطير يضلُّ النَّاسَ ويموّه الحقائق:

هناك من يشككون في تحريم الفوائد الربويّة!

والمدهش أنَّهم يدخلون عليك مدخلاً عجيباً، يقولون: لا، نحن لا نشكك في تحريم الربا، الربا حرام، وكبيرة من الكبائر، وملعون على لسان مُحَمَّد ﷺ^(١)، ومن أنكر حرمة الربا فهو كافر مرتدُّ مارق من دينه، ولكن نقول: إنَّ الفوائد ليست من الربا!

(١) كما في حديث ابن مسعود: لعن النبي ﷺ أكل الربا، ومؤكله، وكتابه، وشاهديه. سبق

تخريجه ص ١١١.

كمن يقول لك: أنا لا أشكك في حُرمة الخمر، الخمر حرام، الخمر أم الخبائث، الخمر إحدى الكبائر، ولكنني أقول: الشمبانيا ليست من الخمر، والكونياك ليس من الخمر، والويسكي ليس من الخمر!

ما قيمة هذا الكلام؟

إنه كلام خطير، يضلّل النَّاس، ويموّه الحقائق.

وهذا ما أنكرته على برنامج «قضايا وآراء»^(١)، وهو من أحبّ البرامج إلى نفسي، وقد شاركت فيه أكثر من مرّة في قضايا عدّة؛ لأنّه يطرح الرأي وضده، وأنا من أنصار الحوار، ومن أنصار حُرّيّة الرأي، ولست مستبدًا بشيء.

ولكن هناك أشياء يبدو فيها القصد إلى التميع.

قبلت من الإخوة مرّة ومرتين أن يناقشوا هذا الأمر، وقلت لهم على رأس هذا المنبر: يكفي هذا، ولكنهم لم ينتصحووا، وجاؤوا بحلقة ثالثة، فما المقصود من هذا كلّه؟

وماذا يقول هؤلاء الذين أتوا بهم؟ لم أسمع شيئًا ذا بال.

أنا أعيب على هذا البرنامج أمرين أساسيين يتعلّقان بالمنهج:

الأمر الأوّل: أنّهم يناقشون قضايا علميّة فقهيّة دقيقة على الرأي العام، كلٌّ من هبّ وذبّ يشارك فيها، وهذا خطأ منهجي. مثل هذه الأمور تناقش في حلقات علميّة فقهيّة بين أهل العلم والفقهاء.

حينما طلبوني في أوّل حلقة لأناقش هذا الأمر اعتذرت لهم، وكان اعتذاري؛ لأنني ذاهب إلى مصر بدعوة من صديق لي ولشيخ الأزهر؛

(١) الذي كانت تقدّمه إذاعة قطر ظهر كل يوم خميس، مدة من الزمن.

لنناقش هذا الموضوع في حلقة ضيقة يحضرها عدد محدود من أهل الفقه، وأهل الاقتصاد، وأهل البنوك الربويّة والإسلاميّة.

وعلى الرغم منّي وأنيّ قلت له: ما أظن أنّ هذا سيفيد. قال: علينا أن نعذر إلى الله ونؤدّي واجبنا، وذهبت إلى مصر في اليوم الأوّل للحلقة الأولى في برنامج «قضايا وآراء»، وانتظرنا أن يحضر الشيخ الأكبر، ولكنّه اعتذر لأسبابٍ عنده^(١).

المهمُّ أنّ معالجة هذه الأمور يجب أن تكون في حلقات علميّة وفقهيّة واقتصاديّة للخبراء والعارفين بهذه الأمور، ولا يطرح هذا على الملاء.

هذا هو الخطأ المنهجي الأوّل.

والخطأ المنهجي الثاني: هو انتقاء أناس مُعيّنين، عُرفوا بالشذوذ عن إجماع فقهاء الأُمَّة، والبرنامج يبحث عن هؤلاء بإبرة حتّى يأتي بهم، ويعطيهم الوقت الطويل، ويأتي ببعض النكرات ويقول: الأستاذ الكبير، والفقير العظيم، إلى آخره، ثمّ إذا جاءه من يردُّ عليه يقول له: أمامك ثلاث دقائق، خمس دقائق!

سبحان الله، أين العدل؟! هذا خطأ منهجي.

إذا أردت أن تناقش هذا الأمر على الملاء ولا بدّ، فهات من أهل العلم والفقه في أنحاء العالم الإسلامي، ممن شاركوا في المجمع

(١) كان الذي أعدّ ورثب لهذا اللقاء هو صديقنا الشيخ صالح كامل، وكان في بيته في القاهرة، ودعي إليه عدد محدود أذكر منهم: د. عبد العزيز حجازي، ود. حسين حامد حسان، ود. عبد الرحمن يسري، والفقير إليه تعالى، وبعض رجال البنوك التقليدية، ولما حضرنا عند الشيخ صالح أبلغنا باعتذار الإمام الأكبر.

الفقهية، التي أجمعت على أنّ فوائد البنوك هي الربا المحرّم شرعاً، وهذا قلته من قبل.

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ سنة ١٩٦٥م، والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمرات الاقتصاد الإسلامي، ومؤتمرات الفقه الإسلامي، ومؤتمرات الدعوة الإسلامية، كلُّ هذه أجمعت - بعلمائها وفقهائها واقتصاديّاتها ومحاسبيها - على أنّ فوائد البنوك هي الربا الحرام. بل قلت: إنّنا كنّا في مؤتمر اقتصادي عالمي، وقد شارك فيه نحو ثلاثمائة من رجال الاقتصاد في العالم، ومعظمهم جاؤوا من أمريكا ومن أوروبا، وكان رجال الاقتصاد أشدّ حماساً لتحريم الربا من رجال الفقه والشريعة!

ماذا قال هؤلاء الذين جاء بهم البرنامج؟

قالوا كلاماً عجيباً.

لا أريد أن أتعرّض لكلام شيخ الأزهر؛ فهو لم يقل شيئاً جديداً، وطلب أن يُعرض الأمر على لجنة تبحث فيه، وهذا أمر طيب يحمد له. ولكن هو زعم أنّ البنوك التجارية التقليدية التي نسميها «ربويّة» تستثمر أموال الناس!

وهذا ليس بصحيح.

البنوك التقليدية التجارية هذه لا تستثمر الأموال، وهذا يعرفه الذين يعملون فيها، ونعرفه من قراءة قوانينها وأنظمتها الأساسية؛ فهي لا تعمل في التجارة، ولا في الاستثمار، هي تأخذ المال من زيد وتعطيه لعمرو!

أنت تودع مالك لها أو تقرضها - بالتعبير الصحيح؛ لأنه إقراض - بعشرة، ويأتي عمرو ليأخذ منها هذا المال في مشروع له بثلاثة عشر، وتكسب هي من الفرق ما بين الإقراض والاقتراض.

هذا هو المعروف في هذه البنوك، وهذا هو مقتضى قوانينها، ولا أجد أحدًا ينكر هذا من الذين يعملون في البنوك، وهذا هو الربا.

ما هو الربا؟

الربا ليس شيئاً جديداً، الربا كان موجوداً قبل الإسلام، كان موجوداً في الجاهلية العربية، وكان موجوداً في الجاهلية الرومانية، وكان موجوداً في الجاهلية اليونانية، كان موجوداً عند أمم شتى، ولا زال موجوداً إلى اليوم.

الربا: أن تعطي المال لآخر ليستخدمه مدة من الزمن، على شرط أن يعود لك بفائدة عليه محددة، متناسبة مع الزمن، مع ضمان رأس المال، عمل فيه أو لم يعمل، كسب فيه أم خسر، كسب قليلاً أو كثيراً، خسر قليلاً أو خسره كله.

هذا هو الربا، هو ربا الجاهلية، وهو ربا البنوك الحالية، «الإنترست» كما يسمونه.

لا أدري كيف يجادل الناس في البدهيات، في الأمور الواضحة؟! وكيف يشكك الناس في هذه المسلّمات؟! هذا أمر عجب.

هناك من الناس الذين استضافهم البرنامج من قال: الربا في الذهب والفضة، وهذا ليس ذهباً ولا فضة؛ بل هو نقود ورقية.

وهذا أمر ناقشته من قديم في كتابي «فقه الزكاة»^(١)، وقلت: إنَّ هذه التُّقود الورقية هي التي يدفعها الإنسان المسلم مهرًا فيتزوج به المرأة، ويدفعها ثمنًا فيستحلَّ به السلعة، ويدفعها أجرًا فيستحلَّ به عرق العامل، ويدفعها ديةً في القتل الخطأ، وعلى قدر ما يكون عنده من هذه التُّقود يكون غناه، وعلى قدر قلَّتْها يكون فقره.

وهل يسمح أحد بأن تؤخذ منه هذه التُّقود الورقية أو يقاتل عنها؟ هذا كلام ما عاد له قيمة.

ثم وجدنا من يصفه البرنامج بأنه فقيه عظيم يقول: إنَّ البنك لا يصحُّ منه ربا، ولا يقع منه ربا؛ لأنَّ البنك ليس شخصًا مكلفًا - المكلف مثل: زيد وعمرو فلان وعلان - إنَّما البنك شخصيَّة معنويَّة!

هذا ما شمَّ رائحة العلم، ما عرف أنَّ الشخصيات المعنويَّة أيضًا عليها تكليف.

بيت المال شخصيَّة معنويَّة، المسجد شخصيَّة معنويَّة توقف الأوقاف عليه، الدولة شخصيَّة معنويَّة، مجلس الثواب شخصيَّة معنويَّة. يمكن أن يقول: إنَّ الدولة يُمثِّلها الحاكم.

نقول له: البنك يُمثِّله المدير، أو المحافظ، أو يُمثِّله مجلس الإدارة. هذه الشخصيات المعنويَّة لها اعتبارها.

وفي الفقه: نجد الخلطة في زكاة الأنعام؛ فالنبي ﷺ اعتبر من يخلط أنعامه بأنعام شخص آخر، أصبحت كأنها ملك لرجل واحد^(٢)، بتعبيرنا: أصبحت شخصيَّة معنويَّة.

(١) انظر: فقه الزكاة (٢٩٠/١، ٢٩١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه: «ما كان من خليطين، فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية». رواه البخاري في الزكاة (١٤٥١).

وجعل الإمام الشافعي ذلك مطردًا في جميع الأموال، وأخذ بذلك مؤتمر الزكاة الأول بالكويت: أن نعتبر الشركة التي اختلقت فيها رؤوس الأموال بمثابة شخص واحد، كما هو مذهب الشافعي وبعض الفقهاء.

فكيف يُقال هذا؟!!

هل معنى هذا أن نقول: إنَّ للدولة أن تفعل ما تشاء، تحكم بغير ما أنزل الله، تُحلُّ الحرام، وتُحرِّم الحلال وتُسقط الفرائض، وليس عليها مسؤولية؛ لأنها شخصية معنوية.

وإنَّ للشركات أن تبيع الخمر، وتبيع الخنزير، وترتكب المحرّمات، ولا شيء عليها؛ لأنها شخصية معنوية، وليست شخصًا مفردًا مجسّمًا مكلفًا؟!!

هذا كلام لا يقوله إنسان عرف الفقه.

والمشكلة أنَّ البرنامج لا يعرف الفقيه من غير الفقيه؛ بل هي مشكلة كثير من المسلمين، الذين يحسبون كلَّ واعظ أو خطيب جيد فقيهًا جيدًا!

الفقيه من كان له إنتاج فقهي معتبر: كتب، رسائل، فتاوى.

ومن شهد له العلماء بأنه من أهل الفقه، بغضِّ النظر من أي كلية ومن أي جامعة هو، قد لا يكون من جامعة قُط.. بعض الفقهاء ما تخرَّجوا في جامعات، وليس معهم دكتوراه.

لكن المسألة ليست دكتوراه، ولا ماجستير، ولا بكالوريوس.

المسألة أنَّ الفقه علم ودراسة، وممارسة ومعايشة، الفقه بحر عميق لا يستطيع أن يغوص فيه إلا غواصون.

فهؤلاء لا يعرفون من هم أهل الفقه ولا من هو غيرهم، ويأتون بإنسان ويقولون بأنه اقتصادي كبير، وهو ليس اقتصاديًا، هو قانوني إلخ. على كل حال، الذي يهمنا هو «الأدلة»، من يقول الرأي بدليله القوي الحجة المقنع - والله - نرحب به أيًا كان موقعه.

ولكنني لم أر للأسف من الذين جاء بهم هذا البرنامج من قال شيئًا مقنعًا.

هناك من قال: إنَّ النبي ﷺ مات ولم يبيِّن ما هو الرِّبَا؟!!

وروى أثرًا عن عمر رضي الله عنه ^(١) - وهو أثر لم تثبت صحته - وحتى ولو ثبتت صحته؛ فإن عمر قال: «كنت أودُّ أن النبي ﷺ عهد إلينا في أمور ثلاثة: الجَد، والكلالة، وأبواب من أبواب الرِّبَا» ^(٢)، وهو لو صحَّ هذا عنه يقصد «ربا البيوع» وليس «ربا النسيئة»؛ لأنَّ ربا النسيئة أمر مقطوع به ^(٣).

كيف يمكن أن نتصور أن رسول الله ﷺ مات ولم يبيِّن كبيرة من الكبائر؟! كيف قال للصحابة: «اجتنبوا السبع الموبقات» ^(٤) وعدَّ منها «الرِّبَا»؟!!

(١) رواه أحمد (٢٤٦)، وقال مخرَّجوه: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٦)، وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ٦٠٣: وهو من رواية ابن المسيب عنه. والجمهور أنه لم يسمع منه. وقال الشيخ شاکر في تعليقه على المسند: إسناده ضعيف، لانقطاعه، سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٥٨٨)، ومسلم في التفسير (٣٠٣٢).

(٣) المشهور أن الذي كان يقول بإباحة ربا الفضل «أو ربا البيوع» من الصحابة إنما هو ابن عباس، ثم رجع عن رأيه حين سمع عمر وابنه عبد الله يحدثان عن رسول الله ﷺ بما يدل على تحريمه، وقال: حفظتما من رسول الله ما لم أحفظ. «نيل الأوطار» للشوكاني (٢٩٩/٥). وهذا يؤكد لنا تهافت القول المنسوب إلى عمر وعدم صحته.

(٤) سبق تخريجه ص ١١١.

كيف لعن النبي ﷺ أكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء»^(١)، ولم يسأله أحد ما هو الربا يا رسول الله؟!

كيف أنزل الله تلك الآيات التي تهتزُّ لها القلوب، وتقشعُرُّ لها الأبدان:
 ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٩].

كيف قرأ المسلمون هذه الآيات ولم يعرفوها؟

ولماذا لم يسألوا رسولهم، الذي أنزل إليه الذكر ليبين للناس ما نزل عليهم؟

وقبل ذلك نزلت في سورة آل عمران، بعد غزوة أحد بعد السنة الثالثة من الهجرة: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وكذلك نزل في سورة النساء عن اليهود: ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدِّحُوا عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١].

بل في سورة الروم في العهد المكي: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الرِّبَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

(١) سبق تخريجه ص ١١١.

كيف لم يفهم الصحابة هذه الآيات، ولم يسألوا عنها؟!

أهذا معقول؟!

ما معنى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؟

ما معنى: «تركتم على المحجّة البيضاء، ليؤها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١)؟

نقول له: لا يا رسول الله، ما تركتنا على المحجّة البيضاء، تركتنا على طريق مظلمة، التبس فيها الحق بالباطل، واختلط فيها الحابل بالنابل، والحلال بالحرام، حتّى إنّ هذه الكبيرة الموبقة لا نعرف ما هي!

أهذا معقول يا عباد الله؟!

ولكن وجدنا من يقول هذا الكلام الغريب.

وجدنا من يقول: إنّ الفقهاء اختلفوا في علّة الرّبا، وقال ابن عَقِيل: إنّ كلام الفقهاء فيها كلام ضعيف^(٢).

موضوع البحث هو ربا النسيئة وليس ربا البيوع:

وهؤلاء النّاس يتكلمون في أمرٍ ليس هو موضع النزاع، الكلام هذا في علّة ربا البيوع.. في الأصناف الستة: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرّ بالبُرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح: مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وابن ماجه في المقدمة

(٤٣)، والحاكم في العلم (٩٦/١)، وصحّحه ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

(٢) انظر: تفسير آيات أشكلت لابن تيمية (٦١٠/٢ - ٦١١)، تحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣) رواه مسلم في المساقاة (١٥٨٤)، وأحمد (١١٦٣٥)، عن أبي سعيد الخدري.

هذا الكلام في العلة في هذه الأصناف الستة، ونحن لا نبحت في ربا البيوع، نبحت في ربا النسيئة، وهذا لا كلام فيه، لا يدخل في مسألة التعليل، هذا موجود بالنص: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة». لا يحتاج إلى تعليل ولا إلى قياس.

الربا في «التقود» هذا أمر منصوص عليه. لسنا في حاجة إلى علة، حتى نقيس الفرع على الأصل، وغير المنصوص على المنصوص، وقد أصبحت التقود الآن هي التقود الورقية، فهذا كلام لا معنى له.

وقال من قال من هؤلاء: إن تحديد الربح أمر جاء به الفقهاء، وليس عليه نص ولا دليل.

وأنا أقول: إن ما يجري في البنوك ليس من باب المضاربة، حتى تدخل مسألة الربح.

ما يجري في البنوك التقليدية «إقراض»، ليس مضاربة بينك وبين البنك حتى نقول: إنه يمكن تحديد الربح، الربح شيء آخر.

حتى علماء الاقتصاد أنفسهم يقولون: إن عوائد المشروع هي إما أجرة، أو فائدة، أو ريع، أو ربح.

النظام الرأسمالي:

الفائدة لمن مدك برأس المال حسب النظام الرأسمالي، إنه يعطيك رأس المال أو جزءاً منه ويأخذ الفائدة المشروطة، سواء كسب المشروع أم خسر، والريع لأصحاب العقار أو المعدات، والأجرة للعمال الذين اشتغلوا، والربح لصاحب المشروع أو المُنظّم، قد يبقى له ربح وقد لا يبقى، وقد يكون قليلاً، وقد يكون كثيراً، وقد يخسر بالمرّة.

هذا هو النظام الرأسمالي.

الربح لا يمكن أن يتحقق إلا بعد انتهاء العملية، لا يمكن أن يُحدّد مقدّمًا، الربح المُتَوَقَّع شيء، والربح المُحَقَّق شيء، والمُتَوَقَّع أمر قد يحدث وقد لا يحدث، وقد يحدث عكسه تمامًا، حتّى الذين يقولون بالتضخم وتعويض التضخم، لا نستطيع أن نعرف حقيقة التضخم إلا بعد مضي المدة، أمّا قبلها فهذا لا يمكن؛ لأنّه قد يحدث تضخم وقد لا يحدث، وقد يحدث قليلاً وقد يحدث كثيرًا، وقد يحدث العكس.

لو أنّ النُّقود هبطت قيمتها وتغيّرت الأسعار إلى الانخفاض، هل يتغير الأمر؟ من الذي يدفع في هذه الحالة: الدائن أم المدين؟ البنك أم الذي أقرض البنك؟

لا يتغير الأمر.

فنحن نؤكّد أنّ الرِّبَا المحرّم شرعًا، والذي لا شكّ فيه هو: الزيادة المشروطة المسبقة على رأس المال بغير مقابلة عوض؛ إلاّ التأخير فقط.. إلاّ تأخير المُبلَغ.. إلاّ الزمن، بغير مقابلة أي شيء، لا بيع ولا شراء، ولا شيء من هذا.

معنى كلمة «الربا»:

بعض الإخوة العاملين في البنوك هنا كتب في صحف قطر، وأطال وأعاد، وكرّر وكرّر، وبعث إليّ، وهو يقول كلامًا مضحكًا في الحقيقة، يقول: الرِّبَا ليس معناه «الزيادة»!

ما معناه؟ يقول: معناه «المضاعفة»! من أين أخذت هذا؟

قال: إنّ الإنسان إذا عمل حسنة يضاعفها الله! أهذا منهج علمي؟!

من أراد أن يعرف معاني الألفاظ، فليرجع إلى معاجم اللغة.. إلى «لسان العرب».. إلى «القاموس المحيط».. إلى شرح القاموس «تاج العروس»، ارجع إلى «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني، ارجع إلى «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي أصدره مجمع اللغة العربية في مجلدين، بل ارجع إلى «مختار الصحاح»، ستجد أن «الربا» معناه: الزيادة.

يقول لك: «ربا»، أي: زاد، ونما، وعلا، هذا ما تدل عليه مادة «ربا»، ومنه «الربوة»؛ لأنها مرتفعة زائدة على ما يحيط بها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠]، أي: زائدة في الشدة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢]، أي: أكثر في الزيادة والقوة، ومنه «ربا فلان في حجر فلان»، يعني: زاد ونما، وهكذا، المادة كلها تدل على النمو والزيادة.

لكن هذا جاء بكلام عجيب، وخالف كل الناس، وأتى بما لم تأت به الأوائل، بل اكتشف ما غاب عن الفقهاء والشراح والمفسرين واللغويين، وجاء بكلام من عنده، ليس عليه إثارة من علم ولا هدى، ولا كتاب منير.

يقولون: إنَّ الفوائد أصبحت ضرورة للأمة أو مصلحة لها.

والله إن كانت هناك ضرورة فهذا أمر يقدره أهل الرأي، والضرورات تقدر بقدرها.

إذا كانت مصلحة فلا عبرة بالمصالح إذا صادمت النصوص القواطع. المصلحة إنما تعتبر إذا كانت مصلحة مرسلة، أي: لم يأت من الشرع دليل على اعتبارها، ولا دليل خاص على إلغائها.

واشترطوا في هذه المصلحة ألا تصادم نصًّا شرعيًّا ولا قاعدة شرعية، فكيف بما يصادم التُّصوص والقواعد والمقاصد؟! إنِّي أهيب بالمسلمين جميعًا أن يقفوا عند حدود الله تعالى.

لقد أحقَّ الله الحقَّ، وأبطل الباطل، والحلال بيِّن والحرام بيِّن.

وإلا فإن معنى كلام هؤلاء: أنه لا يوجد في العالم الآن «ربا»؛ لأنَّ الرِّبا الذي يقولونه: أن يذهب شخص إلى شخص آخر - على الطريقة القديمة - يريد أن يأكل أو يشرب، فيقول: أعطني، فيقول: لا أعطيك إلاَّ إذا دفعت لي كذا - بل بعضهم يقول لك: حتَّى هذا ليس حرامًا؛ لأنَّه يريد أنَّ الحرام هو «ربا المضاعفة» يعني: الرِّبا (١٠٠٪)، وبعضهم يقول: الحرام ما كان «أضعافًا مضاعفة» يعني: (٦٠٠٪) - هذه الصورة من صور المعاملات الربويَّة لم تعد موجودة، لم يعد هناك شخص يذهب إلى شخص مرابٍ يقول له: أعطني.

أصبح الرِّبا في صورة منظِّمة، أصبح البنك هو المرابي الأكبر، هو الذي يمثل المرابين القدامى.

وبنوكتنا صورة من البنوك الغربيَّة، الموجودة في العالم الرأسمالي كُله، فإذا لم يكن عندنا ربا فليس عندهم ربا!

مقتضى ما يقوله هؤلاء: إنَّه لا يوجد ربا في العالم، لا تقولوا عن اليهود: أنَّهُم أكلة ربا، ولا أنَّهُم وراء المصارف الربويَّة، لا تقولوا هذا، اليهود مبرؤون من هذا كُله، لا تصدِّقوا النبي ﷺ فيما رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة، أنه قال:

«يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»^(١).

هؤلاء يقولون: لا، هذا كذب، الربا انتهى! لأنه لم يعد هناك من صور الربا القديم الذي يذكرونه، هذا هو الربا كما يفهمه الناس الآن، وهم يعتبرون التعامل مع البنوك من الربا المحرم.

ماذا أقول لهؤلاء؟

قالوا: تحديد الربح لم يرد عليه دليل.

الأدلة على عدم جواز تحديد الربح:

وأنا رددت على هذا من نحو أربعين سنة في كتابي «الحلال والحرام في الإسلام»، وقلت: هناك دليان أساسيان على هذا الأمر:

الدليل الأول: الإجماع: قال الإمام ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض الذي يشترط أحدهما - أو كلاهما - لنفسه دراهم معلومة^(٢).

وذكر طوائف من العلماء حرّموا هذا الأمر، ونقل هذا عنه ابن قدامة، ونقل عنه ذلك النووي، ونقل عنه ذلك آخرون.

(١) رواه أحمد (١٠٤١٠)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣٣٣١)، والنسائي (٤٤٥٥)، كلاهما في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٨)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وقال: قد اختلف أئمتنا في سماع الحسن عن أبي هريرة؛ فإن صح سماعه منه فهذا حديث صحيح. وقال الذهبي: سماع الحسن من أبي هريرة بهذا صحيح. ورجح الشيخ شاکر سماع الحسن من أبي هريرة في تخريجه للحديث (٧١٣٨) من المسند، وأطال في ذلك فليراجع.

(٢) الإشراف على مذاهب العلماء مسألة (١١٢)، نشر مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، ط١،

فهذا هو الإجماع، والإجماع حجّة، ولم يُعرف خلاف هذا في خلال القرون كلّها، ما عُرف عالم خرج عن هذا الأمر.

الدليل الثاني: وهناك دليل آخر يعتبر سند هذا الإجماع. هذا الدليل هو أنّ النبي ﷺ نهاهم في المزارعة أن يشترط لأحد الطرفين شيء معين. كانوا يزارعون على أراضيهم، فيشترط صاحب الأرض قطعة معينة - على الجداول النهرية أو على المكان الفلاني - يقول: هذه القطعة تكون ثمرتها لي، فجاء النبي ﷺ ونهاهم عن ذلك، في أكثر من حديث نهاهم عن هذا الأمر، وقال: «فربما أخرجت ذه، ولم تخرج ذه»^(١).

ومعنى هذا أن يكون لأحد الطرفين غنم مؤكد والآخر عليه غرم محتمل، والعدالة تقتضي أن يشترك الشريكان في الغرم والغنم، هذه هي عدالة الإسلام المُحكّمة.

هذا هو ما جاء به الإسلام في المزارعة، وقد قال العلامة ابن قدامة: المضاربة مزارعة في المعنى^(٢). وهذا صحيح.

وأنا أقول: المزارعة أخت المضاربة، أو المضاربة أخت المزارعة.

المزارعة مضاربة في الأرض، والمضاربة مزارعة في المال. كلٌّ منهما نوع من الاشتراك؛ في المزارعة يشترك صاحب الأرض والزارع، وفي المضاربة يشترك ربُّ المال والعامل، يتعاون صاحب المال مع صاحب الخبرة والجهد، ومن خلال هذا التعاون تقسم الثمرة بينهما، ربحاً أو خسارة، قليلاً أو كثيراً،

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: عن رافع رضي الله عنه قال: «كنا أكثر أهل المدينة حقلاً، وكان أحدنا يكري أرضه، فيقول: هذه القطعة لي وهذه لك، فربما أخرجت ذه ولم تخرج ذه، «فنهاهم النبي ﷺ». رواه البخاري في المزارعة (٢٣٣٢)، ومسلم في البيوع (١٥٤٧).

(٢) المغني لابن قدامة (٣٢/٥).

في الغرم والغنم، هذه هي العدالة، هذه مقتضى المشاركة، التضامن من المسؤولية، لا أن يكون لك الغنم أبداً، وأن يكون عليّ الغرم وحدي. هذا ما جاء به الإسلام: «المضارب أمين».. أمين على هذا المال، يعمل فيه لحساب الطرفين؛ فلا يمكن أن يكون الأمين ضامناً، إلا إذا قصر أو تعدّى.

فإذا ثبت عليه التقصير أو التعدي والخيانة، يتحمل المسؤولية، وما عدا ذلك فهو أمين على هذا المال، ولذلك لا يضمن هذا المال. فهذا هو الذي جاء به هذا الدين، الذي أقام الموازين القسط بين الناس. يا أيها الإخوة، لا أستطيع أن أترسل أكثر من ذلك، كل ما أقوله: أنني لم أجد شيئاً ممّا قاله هؤلاء الناس يستحقُّ الردّ العلمي الصحيح، كلّها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشرع ولا من العقل برهان.

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يوفّقنا لما يحبُّ ويرضى، وأن يجعل لنا من عسرنا يسراً، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً.

اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمّن سواك.

اللهمّ أمين.

ادعوا الله يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة:

نحن الآن في العشر الأوائل من ذي الحجة، وهي أيام مباركات، كما جاء عن ابن عباس: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام». يعني: العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلاّ رجل خرج بنفسه وماله، ثمّ لم يرجع من ذلك بشيء»^(١). يبذل نفسه لله وماله لله.

ولذلك سُنَّ في هذه الأيام التحميد والتهليل والتكبير، والذكر والاستغفار، والصدقة والصيام.

وأؤكد أيام الصيام فيها: اليوم التاسع من ذي الحجة «يوم عرفة»، فصيامه مؤكّد - لغير الواقفين بعرفة - وقد قال النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة، أني أحسب على الله أن يكفّر السنة التي بعده، والسنة التي قبله»^(٢).

فاحرصوا على صيام هذه الأيام، وابدؤوا تكبير العيد عقب كلّ صلاة من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق (٢٣ صلاة)، واستعدوا لهذا العيد بالأضحية لمن قدر عليها، ويستطيع الإنسان أن يضحي في بلد آخر خصوصاً في البلاد الفقيرة، والأضاحي هناك أقلّ ثمنًا من هنا.

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩٦٩).

(٢) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصوم، عن أبي قتادة.

تستطيع بثمن الأضحية هنا أن تضحي بثلاث أو أربع في بلد آخر،
وتعين إخوانك المسلمين الفقراء.

وأنصحكم أيُّها الإخوة ألا تنسوا في هذه الأيام إخوانكم الذين
يعانون ما يعانون، من جرّاء الظلم والبطش، والاضطهاد في فلسطين في
أرض النُّبوت، الذين يلاقون ما يلاقون، ويسقط منهم الشهداء والجرحى
في كلِّ يوم، نتيجة العنجهية الإسرائيلية، والتجبر الإسرائيلي، وهذا
السكوت أو الصمت العربي، أو العجز العربي، والغياب الإسلامي.

ينبغي ألا ننسى إخواننا هؤلاء، ما استطعنا أن نعينهم فلنفعل،
ولا ننسى إخواننا في السودان، وإخواننا في كشمير، وإخواننا في
سائر البلاد.

أقلُّ ما يجب أن ندعو الله تعالى لهم، نهتم بأموالهم، نشغل أنفسنا
بهمومهم وأحزانهم.

نحن الآن في فترة عصبية، في زمن رهيب، زمن يهجم فيه على
الإسلام من يمين وشمال، تهاجم فيه الصحوة الإسلامية، والأُمَّة
الإسلامية من كلِّ جانب، فليس أماناً إلا الله، نلجأ إليه، ونلوذ
بجانبه، ونعتصم بحبله، ونتضرّع إليه، أن يكشف الغمة، ويفرّج الكربة
عن هذه الأمة، وأن يلتف بعضنا ببعض، ونقف متلاحمين، كما قال
الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ
مَرَضُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

اللهمَّ ولِّ أمرنا خيارنا، ولا تولِّ أمرنا شرارنا، وارفع مقتك
وغضبك عَنَّا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا،

ولا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



القرآن قُدس الأقداس الردُّ على المُشكِّكين في القرآن

الخطبة الأولى

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كانت هناك موضوعات عدَّة تتنازعي لأحدِّثكم عنها: هناك قضية المسلمين الأوَّلى: قضية فلسطين، قضية القدس، قضية المسجد الأقصى، وما يُبيِّت له وما يُدبَّر في شأنه، كانت تستحقُّ الحديث.

وهناك قضية اقتصادية كُنَّا بدأنها: البنوك وفوائد البنوك، والرِّبَا الَّذِي أذن الله فاعليه بحرب من الله ورسوله، ومحاولات بعض النَّاس أن يستحلُّوا ما حرَّم الله، وأن يُطلِّوا ما شرع الله، بجهل أو غباء، أو اتِّباع هوى، أو تقليد أعمى.

هناك أكثر من قضية كانت تستحقُّ الحديث.

ولكنِّي أرجأت الحديث عن هذه الموضوعات؛ لأحدِّثكم في قضية خطيرة غاية الخطورة:

ذلك أن لكلِّ أُمَّة مقدساتها التي يجب أن تحفظها وترعاها، وتحميها من كلِّ معتد عليها.

ونحن عندنا مقدساتنا التي لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها أو يعيث بها. قدس الأقداس عندنا هو القرآن الكريم، عمدة الملة، وأساس العقيدة، ومصدر الشريعة، وروح الوجود الإسلامي كله. فلا يجوز لمدع أو مغرور أن يتناول على هذا القرآن، هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بحديث مثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وغلبوا وانقطعوا.

ولا زال الزمن يكشف لنا كل يوم عن معان جديدة في إعجاز هذا القرآن، تزيدنا إيماناً به، وبسرّ الله فيه.

هذا القرآن الذي حفظه الله تعالى وتكفل بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

هذا القرآن وجدنا في عصرنا هذا من يتناولون عليه من رجال ونساء، أصبح القرآن كلاً مباحاً لكل من هبّ ودبّ من الناس، يريد أن يتناول على هذا الكتاب الكريم.

من قال: القرآن منتج ثقافي:

هناك من قال عن هذا القرآن، كلام الله تعالى، كتاب الله المبين، الحكيم، العظيم: إنه مجرد منتج ثقافي، أنتجه الواقع وثقافة الواقع!

فالواقع فاعل، والقرآن منفعل، هذا الواقع - أي: واقع الجاهلية الذي بعث محمد ﷺ ليخرج الناس منها - كان مؤثراً في القرآن، والقرآن كان متأثراً به، القرآن مجرد منتج ثقافي، كأنما هو قصيدة من الشعر، أو قصة من النثر، أو مقالة لكاتب من الكتاب!

هذا ما قاله بعض الناس.

ورأينا هؤلاء وشاهدناهم وسمعناهم في القنوات الفضائية، وقيل لبعضهم: هل عندك خطوط حمراء؟

قال: لا، ليس عندي أية خطوط حمراء، كلُّ شيء قابل للنقاش، الألوهية، النبوة، قدسية القرآن، إلهية القرآن، كلُّ هذا عنده قابل للنقاش!

من ترفض شرع الله في الميراث:

والعجيب أنَّ القنوات الفضائية أصبحت تفتح صدورها وأبوابها لهؤلاء الناس، المتطاولين على كتاب الله، ووجدنا من النساء - في إحدى القنوات الفضائية - امرأة، دكتورة ترفض آيات الميراث، ترفض حكم الله في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وتقول: هذا حكم انتهى وقته، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أمَّا المرأة الآن وقد تعلّمت وعملت؛ فما عاد هذا الحكم قائمًا.

الله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، ويقول في آخر الآية: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ولذلك يُسمّى علم الميراث: علم الفرائض.

ويقول في الآية الثانية: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

ويقول في الآية الثالثة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿ [النساء: ١٣، ١٤].

ولكن تلك المرأة تقول: هذا حُكْمٌ انتهى!

يجب إذن أن نغيّر أحكام الشريعة، فليس الأمر كما قال الله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]!

الرجل مطالب أن ينفق على الأسرة، وأن يدفع مهرًا للمرأة ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] ليس الرجل إذن مطالبًا أن يدفع صداقًا أو مهرًا للمرأة، وليس مطالبًا أن يؤسس بيت الزوجية، وليس مطالبًا أن ينفق على الأسرة، وليس مطالبًا أن يكون مسؤولاً عن الأسرة، يجب أن نلغي هذه الأحكام كلها!

تذويب الثوابت:

هؤلاء النَّاس يريدون ألا يبقى شيء ثابتًا، ولا تكون هناك «ثوابت» تستقرُّ عليها الأمة، وتتحرك في إطارها.

أُمَّة بلا ثوابت معناها: «أن لا أُمَّة»: كلُّ مجموعة لها أحكامها ولها أفهامها، كلُّ بلد له أفهامه، كلُّ عصر له أفهامه، كلُّ فرد له فهمه!

لم يعد الدين جامعًا إذن، وإنما أصبح لكلِّ عصر دينه، ولكلِّ بلد دينه، ولكلِّ بيئة دينها، بل أصبح لكلِّ فرد دينه!

هذا ما يريده هؤلاء.

لا توجد أُمَّة بهذه الطريقة وبهذه الصورة.

إنهم يريدون التشكيك في ثوابت الأمة، في القطعيّات التي استقرَّ عليها إجماع الأمة، وعُلمت من الدين بالضرورة، وتوارثها الأبناء عن الآباء،

والأحفاد عن الأجداد، والخلف عن السلف، جيلاً بعد جيل، وأصبحت تُجسّد الوحدة العقديّة والفكرية والشعورية والسلوكية والعملية للأمة.

هؤلاء يريدون أن يشكّوا في هذا كلّه، وهذه قضية في غاية الخطورة: أن تصبح القطعيّات ظنيّات، أن تتحول المُحكّمات إلى متشابهات.. أن تتحول مواضع الإجماع اليقيني إلى أشياء تناقش في قنوات الفضاء وفي الإذاعات، وفي الصحف والمجلات.

إذاعة قطر لها حلقتان تناقش فيهما قضية الرّبا: هل هو حرام أو ليس حراماً؟!!

وفوائد البنوك قضية انتهت منها المجمع، ومع هذا يريدون الكلام فيها مرّة ومرّة ومرّة، ما المراد من هذا كلّه؟

تشكيك النّاس في المسلّمات، وزعزعة الثقة بالقطعيّات.. المسلّمات القطعية يُراد لها أن تكون موضع نقاش وجدال، وقيل وقال.

وإلا فما معنى هذا؟ ما معنى أن تناقش فوائد البنوك وقد اتفقت مجامع الأمة على أنّها حرام؟! ما معنى أن تناقش تعدّد الزوجات؟

ادعاء أن ما شرعه القرآن حكمٌ بطلَ زمانه:

ما معنى أن تدّعي امرأة سليطة اللسان، جريئة على أحكام الله وحرّمات الله، وتقول في قناة الجزيرة الفضائية القطرية: هذا حكمٌ بطلَ زمانه؟!!

الله تعالى يقول: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنَّ خِفْتُمْ ۖ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] تقول: هذا حكمٌ بطلَ زمانه؟

من أنت - أيتها الإنسانية - حتى تحكمي على القرآن بأنه قد بطل زمانه؟!!

أجاء القرآن لزمان دون زمن، ولعصر دون عصر؟!!

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]؟

إذا كان هوى الإنسان هو الذي يحكم على الله وعلى كتابه، انتهت الشريعة، وانتهت العقيدة، وانتهى الدين.

الدين جاء حاكمًا لا محكومًا، جاء يقودنا لتبعه لا ليتبعنا هو.

إذا أصبح الدين تابعًا لنا.. لأهوائنا.. لأرائنا، معناه أن الدين لم يعد حكمًا نرجع إليه إذا اختلفنا، ونعود إليه إذا انحرفنا.

الله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وهؤلاء لا يريدون أن يردوا الأمر إلى كتاب الله.

إذا رددتهم إلى كتاب الله يقولون لك: هذا حكم مضي زمانه!

الخنزير الذي حرّمه القرآن وقال: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥] يقولون: هذا خنزير الزمن الماضي، أمّا خنازير زماننا فهي خنازير حديثة «مودرن» لا تدخل تحت هذا الكلام!

وهكذا يقولون في كل شيء.

كيف نقول في قول الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]: إن هذا حكم بطل زمانه؟!!

لقد جاء الإسلام بالحكم العدل.

التعدد بين الإسلام وغيره:

كانت هذه القضية موجودة في الأمم: عند العرب في الجاهلية، وعند الرومان، وعند سائر الأمم، حتى قالوا: إن داود عليه السلام كان عنده مائة امرأة ومائتا سُرِّيَّة، وأن سليمان عليه السلام كان عنده ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سُرِّيَّة، وكان العرب يعدّون بغير قيد ولا شرط، فجاء القرآن ووضع قيّدًا وشرطًا: القيد أنه لا زيادة على الأربع ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾.

والشرط هو العدل، أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ مجرد الخوف ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

والعجيب أن هؤلاء يقولون: إن القرآن قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، ثم قال في الآية الأخرى في نفس السورة: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. فكأن القرآن حلّل في الآية الأولى وحرّم في الآية الأخرى!

أهذا يفعله عاقل؟ أيهدم القرآن ما بناه في سورة واحدة؟ هذا لا يفعله العاقل من الناس؛ فكيف بأحكام الحاكمين؟!

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، أي: أن العدل الكامل غير مستطاع، ولو أكملوا الآية لوجدوا تفسير هذا؛ لأن الآية تقول: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] لن تستطيعوا، الإنسان لا يكلف بما لا يستطيع؛ لأنّ العدل الكامل أن تعدل في كل شيء: في الظاهر والباطن، في النفقة والكسوة والمبيت والسكن «وهذه هي الأشياء الظاهرة».

وأن تعدل في الميول والعواطف؛ فتحبّ هذه مثل ما تحبّ تلك
«وهذه هي الأشياء الباطنة»، وهذا لا يملكه الإنسان.

ولذلك كان النبي ﷺ يقسم بين نساءه في الأمور الظاهرة: النفقة
والكسوة، والمبيت، ولكنه يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك،
فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(١)، يعني: بما لا يملكه: أمر القلب وأمور
العواطف؛ فهذه لا يملكها الإنسان.

ولذلك نرى الآية تقول: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]. والمُعَلَّقَةُ: التي لا هي مُزَوَّجَةٌ ولا مُطَلَّقة.

ومعنى الآية ومفهومها: أن بعض الميل متسامح فيه، بعض الميل
مغتفر؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيعه ولو حرص، ولا يكلف الإنسان بما
لا يستطيع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا
أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فهذا معنى الآية الكريمة.

أمّا أن يقول هؤلاء: إنَّ القرآن اشترط شرطًا وقال: إنّه مستحيل! فكيف
يفعل هذا أحكم الحاكمين تعالى؟! وكيف عدّد النبي ﷺ؟ وكيف عدّد
الصحابة؟ وكيف عدّد التابعون؟ وكيف عدّد المسلمون طوال أربعة عشر قرنًا؟!
عجيب أن تقول هذه المرأة: هذا حكمٌ بطل زمانه! كيف بطل زمانه
والعالم يعدّد إلى اليوم؟! كلُّ العالم يعدّد، ولكن هناك من يعدّدون في
الحلال، ومن يعدّدون في الحرام!

(١) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرّجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي
(١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا وهو أصح. والنسائي في عشرة النسائي (٣٩٤٣)، وصحّحه ابن
الملقن في البدر المنير (٣٨/٨)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢٩٥/٣): وأعلّه النسائي
والترمذي والدارقطني بالإرسال. وقال أبو زُرعة: لا أعلم أحدا تابع حماد بن سلمة على
وصله عن عائشة.

الغرب كلُّه يعدُّد، هذا أمر لا شكَّ فيه، ولكنَّه تعدُّد لا إنساني، ولا ديني، ولا أخلاقي، هذه حقيقة معروفة؛ الإنسان الغربي يعاشر امرأة خليلة له.. رفيقة.. عشيقة، ولا يتزوجها، أمَّا في الإسلام فلا، الإسلام يعالج الأمور بصراحة، ويقول: إذا كنت محتاجًا إليها فتزوجها، والتزم بما توجبه عليك الحقوق الزوجية، وإذا جاء منكما نسل فهو منكما، له حقُّ الأبوة والأمومة.

هذا ما جاء به الإسلام.

الغرب كلُّه يعدُّد، ولكن تعدُّد الخليلات لا تعدُّد الحليلات، وهؤلاء يريدون أن نكون كالغربيين.

وعندما قال المذيع لهذه الإنسانية: ماذا تقولين في ثمانية ملايين من النساء في أمريكا أزيد من عدد الرجال؟

لم تُجِب عن هذا السؤال، وقالت: وإذا زاد عدد الرجال ماذا نفعل؟ ولكنها لم تجب عن الملايين الثمانية من النساء.

ماذا نفعل إذا زاد عدد النساء على الرجال؟

وكثيرًا ما يحدث هذا.

ثم هناك قضية أخرى: كلُّ امرأة بلغت قابلة لأن تتزوج، وعدد الصالحات للزواج من النساء دائمًا أكثر من عدد القادرين على أعباء الزواج من الرجال.

هذه قضية متفق عليها؛ لأنه ليس كلُّ رجل قادرًا على أن يتزوج، ستظلُّ هناك أعداد من النساء فائضة، فماذا نفعل في العدد الفائض؟



أماننا واحدة من ثلاث:

- إمّا أن نترك هذه الأنثى مكبوتة ولا تحقّق وجودها، ولا تحقّق أنوثتها، ولا تحقّق الغريزة الفطرية في الإشباع، ولا الغريزة الفطرية في الأمومة، ولا تتمتع بحياة زوجيّة ولا بأمومة، ونحكم عليها بالكبت والحرمان، وهذا ليس عدلاً.

- إمّا أن ندع حبلها على غاربها في التسول الجنسي، والتسكع، تفعل ما تشاء، وهذا ما فعله الغرب، وهو ما يرفضه الإسلام.

- إمّا أن نبيح لها أن تتزوّج برجلٍ مُتزوّج، قادر على أن ينفق عليها، وقادر على أن يعدل بينها وبين ضررتها، وهذا هو العدل.

التعدّد لصالح المرأة والمجتمع:

يقولون: إنّ التعدّد ضدّ المرأة! أيّ المرأتين؟ المرأة الأولى، أو المرأة الثانية؟ المرأة الثانية هي امرأة أيضاً، وقد رأت من الخير لها والنفع لها أن تتزوج برجل متزوج، وأن تكون نصف زوجة، فذلك خير لها من الحرمان.. خير لها من العنوسة.

هذه أمور شرعها الله تعالى؛ ليحلّ بها عُقدًا في الحياة، ومشاكل في الحياة.

هؤلاء الذين يتعاملون على الله، ويستدركون على الله، ويزعمون أنّهم أعلم من الله بمصالح خلقه، نقول لهم: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟
أأنتم أعلم من الله بخلقته؟ أأنتم أرحم من الله بعباده؟ والله تعالى يقول:
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

قالت هذه المرأة: إذا زاد عدد النساء وعرفنا أن هذه أنثى عن طريق الأشعة التي تصور الأجنة في بطون أمهاتها - نتخلص منها! أباحنا إجهاض الأنثى، وهذه جريمة.

في مؤتمر السكان الذي عُقد بالقاهرة^(١): وقف الأزهر والكنيسة، وقف شيخ الأزهر^(٢) وبابا الفاتيكان، ووقفت الأديان كلها ضد الإجهاض، وضد الاعتداء على الحياة.

هؤلاء يريدون أن يُعيدوها جاهليّة ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

كان أخونا وصديقنا الدكتور حسان حتوت - الطبيب والعالم الشهير - يسميها: «موءودة القرن العشرين».

«حينما يُعرف أن الجنين أنثى يُتخلص منها!»!

كيف يُسمح لامرأة أن تقول هذا الكلام الخطير؟

وهي تكرر وتكرر: أن هذا الأمر قد بطل زمانه، وتقول أيضاً: هذا بطل زمانه مثلما أبطلنا قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]!

الإسلام استحدث العتق ولم يستحدث الرق:

نحن لم نبطل هذا، القرآن لم يستحدث «الرق» إنما استحدث «العتق» لم يقل: استرقوا، وما جاء في القرآن «استرقوا»، كل ما في الأمر

(١) أقيم بتاريخ (٥ - ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م)، ولي خطبة كاملة حول هذا المؤتمر.

(٢) هو الشيخ «جاد الحق علي جاد الحق» رَحِمَهُ اللهُ، الذي وقف موقفاً صلباً من محاولات «مؤتمر السكان»؛ فقد رفض باسم الأزهر ما فيه من اتجاه إلى شرعية الإجهاض، وإباحة الشذوذ للرجال والنساء، والإباحية الجنسية، وانتزاع حق الآباء في الإشراف على تربية أولادهم إلخ، فجزاه الله عن الأزهر والإسلام خير ما يجزي العلماء العاملين والرجال المصلحين.

أنَّ العالم كان يتعامل بهذه القضية، وكان هناك عبيد وجوار، فجاء القرآن فقرر لهؤلاء حقوقهم، وأبطل كلَّ ما كان عليه أهل الجاهليَّة.. سدَّ الأبواب كلَّها، إلَّا بابًا واحدًا هو «الأسير» في حرب شرعيَّة، وهذا الأسير لنا معه عدَّة تصرفات، منها تصرفان ذكرهما القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمًا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ﴾ أن نمنَّ عليه لوجه الله ونطلق سراحه؛ لنحبِّب إليه الإسلام. ﴿وَإِمًا فِدَاءً﴾ أن نفدي أسيرًا بأسير، أو أسيرًا بأسيرين، أو أسيرًا بمال، أو أسيرًا بأي تعويض. هذا ما نصَّ عليه القرآن، وجاء في السنة.

واسترقَّ النبي ﷺ بعض السبايا من النساء والأطفال، ولم يسترقَّ ذكرًا بالغًا قط، كما قال الإمام ابن القيم^(١).

هؤلاء السبايا أصبحوا ضمن الأسرة المسلمة، تدخل المرأة ضمن الأسرة، والأطفال ضمن الأسرة المسلمة، وكما جاء في الحديث: «إخوانكم خولكم»^(٢).

الاسترقاق أمر لم يُرغَّب الإسلام فيه، بالعكس، جاء الإسلام بأشياء كثيرة جدًّا لتحرير الرقيق، منها الكفَّارات: كفارة القتل الخطأ، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة الجِماع في نهار رمضان، وكفارة من ضرب عبده إلخ.

فإذا جاء العالم وقالوا: لا عبيد ولا جوار، فإنَّ الإسلام يرحِّب بهذا، ولكن العالم لم يقل: لا تعدد.

(١) زاد المعاد (٦٠/٥)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٠)، ومسلم في الإيمان (١٦٦١)، عن أبي ذر.



إباحة الزنى وتحريم التعدد:

كما قلت لكم: التعدد موجود، ولكن الإسلام - لأنه دين واقعي - يعترف بالتعدد ويضبطه بشرائعه وقيمه وأخلاقه وقوانينه.

أمّا أن نبيح للناس الزنى ونحرّم عليهم التعدد، فهذه هي المصيبة، وهذا ما فعلته للأسف بعض البلاد الإسلامية العلمانية: تركيا، وتونس في شمال إفريقيا، حيث حرّمت التعدد وأباحت الزنى!

سمعت شيخنا الشيخ عبد الحلیم محمود «شيخ الأزهر» يحكي - هنا في قطر - أنّ رجلاً في إحدى البلاد العربية والإفريقية التي تحرّم تعدد الزوجات: تزوّج من امرأة زواجاً عرفياً؛ لأنّه لا يستطيع أن يوثق هذا الزواج رسمياً، فتزوجها بشهود ومهر، وكان يتردد عليها.

وقدمت شكوى في حقّه، فتربصت به المباحث، حتّى قبضوا عليه عند هذه المرأة، وأخذ الرجل ليُحقّق معه، وقالوا له: ألا تعلم أن تعدد الزوجات ممنوع بالقانون؟ قال: بلى أعلم. قالوا: فكيف تزوجت هذه المرأة وهذا لا يبيحه لك القانون؟ قال لهم: ومن قال لكم: إنّها زوجتي؟ إنّها عشيقتي.. رفيقتي.

فقالوا له: آسفون كئنا نحسبها زوجة لك!

وأمروا بتخليه سبيله، وإطلاق سراحه!

أن تكون زوجة فهذا أمر يمنعه القانون، أمّا أن تكون رفيقة وعشيقة؛

فهذا لا يمنعه القانون!

هذا ما يريده هؤلاء: أن يبيحوا ما حرّم الله، ويحرّموا ما أحلّ الله، هذا

أمر عجيب جداً.

عمر لم يبطل نصًا قرآنياً وحاشاه:

إنَّ هؤلاء الذين يزعمون أنَّ في القرآن أحكاماً بطل زمانها يتكئون على أمر يُردَّد باستمرار، يقولون: إنَّ عمر بن الخطَّاب عطلَّ بعض نصوص القرآن لمصلحة رآها في زمنه: عطلَّ نصَّ المؤلفة قلوبهم، ولم يعطهم من الزكاة، وعطلَّ نصَّ حدِّ السرقة في عام المجاعة.

فإذا كان عمر وهو من الخلفاء الراشدين المهديين - الذين جاء فيهم حديث: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»^(١) - فعل هذا، فنحن أولى به! قالوا: ودلنا هذا على أنَّ هناك أحكاماً مؤقتة في القرآن.

وهؤلاء ظلموا عمر رضي الله عنه، ما ألغى عمر نصًّا في كتاب الله، ولا يملك عمر ولا غير عمر أن يُبدل نصًّا في كتاب الله أو يُجمِّده.

الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه لا يملك هذا، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِرُءُوفٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

ولذلك ذهب الإمام الشافعي وعدد من الأئمة إلى أنَّ القرآن لا يُنسخ بسنة^(٢)، وإنما يُنسخ القرآن بالقرآن، اعتماداً على قول الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والسنة ليست خيراً من القرآن، ولا مثل القرآن.

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرَّجه: صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٣٧)، عن العرباض بن سارية.

(٢) الرسالة (١٠٦/١)، تحقيق أحمد شاكر، نشر مكتبة الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

فكيف يستطيع عمر أن ينسخ كتاب الله برأيه هو؟ وكيف يسكت عليه الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم؟
ما فعل عمر شيئاً من هذا.

كلُّ ما فعله عمر أنه منع قومًا كانوا يأخذون من سهم المؤلّفة قلوبهم في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر.

ومن قال: إنَّ إنسانًا إذا كان مُستَحِقًّا للزكاة يظلُّ مستحقًّا أبد الدهر؟ قد يأخذ الإنسان من الزكاة لأنَّه فقير في هذه السنة، ويغنيه الله فلا يأخذ في العام القادم؛ بل يصبح في العام القادم معطيًّا للزكاة، لا آخذًا لها.

هناك أناس من زعماء القبائل العربيَّة: الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري وأمثالهما، كان النبي ﷺ يتألّفهم بلعاعة من الدُّنيا، يعطيهم إيّاها حتّى يرسخ إسلامهم، وتثبت أقدامهم فيه، وتتبعهم قبائلهم.

ظلَّ أبو بكر يفعل هذا معهم، وكذلك ظلَّ عمر، حتّى حسن إسلامهم، وحسن إسلام قبائلهم معهم، فلم يعد الإمام في حاجة إلى أن يتألّف قلوبهم، ولذلك قال عمر بصريح العبارة: إنَّ الله أعزَّ الإسلام وأغنى عنكم^(١).

الإسلام الذي انتصر على الفرس والروم يتألّف مثل هؤلاء الزعماء الأعراب؟!!

ما عاد الإسلام في حاجة إلى أن يتألّف هؤلاء، هناك مصارف للزكاة أولى بحصيلتها من هؤلاء.

(١) رواه البيهقي في قسم الصدقات (٢٠/٧)، عن عبدة السلماني.



فعمر لم يُسقط السهم؛ لكن لم يوجد المستحقُّ.

نحن في عصرنا لا يوجد سهم «في الرقاب»؛ لأنَّه لا يوجد عبید ولا إماء، هل نقول: إنَّنا عطَّلنا هذا النَصَّ؟

لم نعطلُّه، بل لم يوجد المستحقُّ.

إذا كان هناك في بلد لا تجمع الزكاة بواسطة «العاملين عليها» وإنَّما الأفراد هم الذين يعطون الزكاة، يكون سهم العاملين عليها موقوفًا وليس معطلًّا؛ لأنَّه ليس موجودًا.

جائزة الملك فيصل العالميَّة فيها خمس جوائز: منها جائزة الطب، وجائزة العلوم، وجائزة الدراسات الإسلاميَّة، وجائزة الأدب.. إلخ في بعض السنوات يقولون: حُجبت الجائزة؛ إذ لم يوجد من يستحقُّها.

لا يُقال هنا: أُلغيت الجائزة.

الجائزة موجودة، ولكن لم يوجد بحث يرقى بصاحبه إلى أن يستحقَّ هذه الجائزة، صفة الاستحقاق هي التي امتنعت وانتهت.

فهنا ماذا فعل عمر؟

لقد رأى أنَّه لم يعد هناك من يستحقُّ أن يكون مؤلِّفًا قلبه، ولكن لم يُلغِ النَصَّ، ولذلك القول الصحيح الَّذي ذهب إليه المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم: إن سهم المؤلِّفة باقٍ أبد الدهر، وهذا ما فصلته وأيدته بالأدلة في كتابي «فقه الزكاة»^(١).

(١) انظر: فقه الزكاة (٢/٦٠٦ - ٦٢٢).

سهم المؤلف باقٍ، ونحن في حاجة إليه في عصرنا لتتألف الناس على الإسلام.

الذين يدخلون في الإسلام، ويحاربون من أهلهم وذويهم ومن الجماعات التنصيرية: في حاجة إلى أن نتألف قلوبهم؛ حتى يرسخ إيمانهم.

نحن في حاجة إلى أن نتألف بعض الزعماء في بعض البلاد، وزعماء القبائل؛ ليدخلوا في الإسلام، ويدخل معهم من وراءهم، أو على الأقل لا يحاربون من دخل في الإسلام من أتباعهم. هذه سياسة شرعية.

فكيف يُقال: إنَّ عمر أوقف نصًّا في كتاب الله، وعطلَّ حدًّا من حدود الله؟!!

عمر كان وقافًا عند كتاب الله:

عمر كان من أوصافه: أنه كان وقافًا عند كتاب الله، لو ذكّر له أحد آية أو حديثًا، سرعان ما يرجع عن رأيه إلى النصّ، حتّى إنَّ امرأة ردّته وهو على المنبر حينما أراد أن يضع حدًّا أعلى للمهور؛ فقالت له: كيف تفعل هذا يا أمير المؤمنين، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]؟

فأشارت الآية إلى أن المهر قد يبلغ قنطارًا، فرجع عمر عن رأيه إلى رأيها وقال: «أصابت المرأة وأخطأ عمر»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٤٥.

مع أنّ ما استدلت به المرأة يمكن أن يناقش ويقال: القرآن ذكر هذا على سبيل المبالغة، ولكن عمر عاد عن رأيه إلى رأي المرأة. لا يمكن لعمر ولا لغير عمر أن يُعطل نصًّا من كتاب الله.

إسقاط حد السرقة عام الرمادة:

وما فعله في عام الرمادة من إسقاط حد السرقة، كان ذلك لأنَّ شُبْهة قامت: أنّ النَّاسَ إذا اشتدَّت المجاعة وعمَّت لا يسرقون إلَّا من حاجة.. لا يسرق السارق إلَّا لأنَّه جائع يريد أن يشبع بطنه، وأن يملأ معدته، (والجوع كافر)، والجوع لا يرحم!

من أجل ذلك رأى عمر هذه شبهة عامة توجب إيقاف الحد.

لم يجب الحدُّ ثمَّ أسقطه عمر!

لا، الحدُّ لم يجب أساسًا، لم يستوفِ شروطه، لم تنتفِ الشبهة، وقد جاء في الحديث: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»^(١)، «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلُّوا سبيله؛ فإنَّ الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»^(٢).

وهذا كان في الحجاز فقط، ولكن في مصر أو في الشام أو العراق: لم يرد أنّ الحدَّ أوقف، فحيث وُجدت المجاعة وجدت الشبهة.

فعمر لم يوقف حدًّا وجب.

(١) رواه ابن حزم في الإيصال، كما في التلخيص الحبير (١٠٥/٤)، وصحَّحه ابن حجر.
(٢) رواه الترمذي في الحدود (١٤٢٤)، قال: وقد روي عنها ولم يرفع، وهو أصح. والحاكم في الحدود (٣٨٤/٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: يزيد بن زياد الأشجعي (أحد الرواة) قال النسائي: متروك. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢١٩٧)، عن عائشة.

لا، بل الحدُّ لم يجب ولم يَقُمْ؛ لأنَّه لم يستوفِ شروطه، ولم تنتفِ موانعه.

هذا ما فعله عمر رضي الله عنه.

فكيف يأتينا هؤلاء في آخر الزمان، ويقولون: إنَّ في القرآن أحكامًا مؤقتة، قد بطل زمانها؟ أين هذا الكلام أيُّها القوم؟

القرآن جاء حجة الله على النَّاس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أحكامه ثابتة، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تخاطب النَّاس وتخطب المؤمنين في عهد النَّبوة، وفي عهد الصحابة، وفي عهد الدولة الأموية، وفي الدولة العباسية، وفي الدولة العثمانية، وفي العصر الحاضر، وبعد العصر الحاضر، وبعد عشرين قرنًا، وإلى أن يشاء الله.

أحكام القرآن ثابتة؛ لأنَّها تمثِّل أمر الله تعالى ونهيه، ولا يستطيع أحد أن يردَّ أمر الله تعالى ونهيه.

كيف يستطيع المخلوق الضعيف: أن يجعل نفسه ندًّا للخالق القوي القادر العليم الحكيم؟!؟

كيف يستطيع الإنسان الضعيف المحدود الإدراك أن يقول لله: أنا أعلم منك بمصالحه ومصالح عبادك؟!؟

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

قدس الأقداس هو القرآن الكريم، ولا يجوز أبدًا أن نسمح لأحد أن يتناول على كتاب الله تعالى، نحن نقول: إنَّ علينا أن نطبِّق أحكام القرآن بضوابطها وشروطها.



لا شكَّ أنّ هناك أناسًا من المسلمين أساءوا استخدام هذه الأحكام، ووضعوها في غير موضعها، وهؤلاء لا شكَّ أنّ الإسلام حُجة عليهم، وليسوا هم حُجة على الإسلام.

يجب أن ندعو النَّاسَ إلى أن يلتزموا أحكام الله بشروطها.

إذا وجد من يظلم زوجته الأولى أو الثانية، ولا يرعى حقَّ الله فيها، ولا يقيم العدل، ولا ينفق عليها بالمعروف، فهذا قد خرج على حدود الله، وخرج على أحكام كتاب الله، وكتاب الله حُجة عليه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأنَّ يعلمنا ما ينفعنا، وأنَّ ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

سلام اليهود لا يقوم على أسس متينة:

لا زالت الأيام تثبت ما قلناه: إنّ هذا السلام المزعوم سلام هشّ، سلام لا يقوم على أسس متينة، ولا على ركائز ركيّنة، إنّما يقوم على ما تريده إسرائيل.

ما تريده إسرائيل هو الذي ينفذ وهو الذي يمضي، وما تريده لا نعطي منه إلّا من ثقب الإبرة.

هكذا يقول «نتنياهو»: نحن نقرّر والفلسطينيون يُنفذون!

يقول هذا بكلّ استعلاء ولا يبالي بأحد، لا يبالي بأمريكا، ولا بأوروبا، ولا بروسيا، ولا بالصين، ولا بالعرب، ولا بالعجم.

إنّه يُقرّر ويُنفذ ما يُقرّره، بل يريد من الفلسطينيين أن يُنفذوا ما يُقرّره هو.

ولذلك قرّر أن يقيم مستوطنة في القدس الشرقية في جبل «أبو غنيم»، وبعد أيام قليلة سيبدأ التنفيذ؛ لأننا لا نملك إلّا الصراخ، إلّا الاحتجاج، وهذا لا يغيّر من الواقع شيئاً.

لا يمكن أن تخضع إسرائيل إلّا لمنطق القوّة، لا لقوة المنطق، منطق القوّة هو الذي يجبرها على أن تتراجع.

الجهاد في سبيل الله، الانتفاضة الجديدة، انتفاضة الشباب والأطفال

والرجال والنساء، حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، كل هؤلاء هم الذين يجبرون إسرائيل على أن تتراجع.

وقد لا تتراجع اليوم، ولكن على الأقل تبقى الشعلة متقدة لا تنطفئ أبداً، حتى نستردّ حقوقنا، وحتى لا نُسلم في قدسنا ومسجدنا الأقصى.

هؤلاء لا يريدون أن يبقى لنا شيء، عشرات الآلاف يُراد لهم أن يستوطنوا القدس الشرقية، وتبقى هذه الأقلية العربية المسلمة والمسيحية لا تساوي قطرة في هذا البحر من الإسرائيليين، هذا ما يريده هؤلاء المستكبرون.

ماذا نستطيع أن نقول إلا أننا نرفض هذا، ولا نسلّم به، ونقول: نحن أصحاب الحقّ، وسنظلّ ندافع عنه ونقاتل في سبيله، ما دام فينا عرق ينبض، ونفس يتردّد.

ونحن نعتقد أنّ الحقّ منتصر في النهاية، قد يكون لليهود جولة أو جولتان أو ثلاث، ولكن دولة الباطل ساعة، ودولة الحقّ إلى قيام الساعة، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

اللهمّ انصرنا وانصر بنا، اللهمّ أعزنا وأعز بنا.

اللهمّ أعز الإسلام وأيد المسلمين.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهمّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهمّ

انصُرْنَا عَلَى الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ الْغَادِرِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، اللَّهُمَّ رَدِّ عَنَّا كَيْدَهُمْ، وَفَلِّ حُدَّهْمَ، وَأَدِلْ دَوْلَتَهُمْ، وَأَذْهَبْ عَن أَرْضِكَ سُلْطَانَهُمْ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ. اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

اللَّهُمَّ وَلِّ أُمُورَنَا خِيَارَنَا، وَلَا تَوَلِّ أُمُورَنَا شَرَارَنَا، وَارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا، وَلَا تُهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا. واجعلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا سَخَاءَ رِخَاءٍ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



القمر الصناعي الإسرائيلي

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قرأنا في هذا الأسبوع نبأ أثار المواجه، وأحزن القلوب.

ذلك النبأ الذي لا يزال صده في العالم كُله، فاجأتنا إسرائيل وفاجأت العالم كُله، بأنْ أطلقت قمراً صناعياً، دخلت عالم الفضاء، وأصبحت ضمن دول ثمانية في العالم تملك هذا النوع من التكنولوجيا المُتطوّرة.

وإسرائيل حينما تملك قمراً من هذا النوع، لا يمكن إلا أن يكون قمراً للتجسس علينا، سيكشف أرضنا شبراً شبراً، وفتراً فتراً، سيصوّر مواقعنا وسيصوّر أوضاعنا - دون أن تعتمد على أمريكا ولا على غيرها - وجهًا لوجه، هذا ما صنعته إسرائيل.

تذكّرت هذا الذي فعلته إسرائيل، وتذكّرت أننا كنّا في ذلك الوقت قبل أن نقرأ هذا الخبر، في الليلة السابقة، في نقاش طويل وجدل حاد حول التصوير: أهو حلال أم حرام؟!!



إسرائيل تصنع قمراً يصوّر أرضنا وديارنا وكلّ شيء عندنا، ونحن لا زلنا نتجادل: هل التصوير جائز أم ممنوع؟!

وذكرني هذا بأمر آخر: العالم الآن انتقل من مرحلة صناعية إلى مرحلة أخرى، نحن في أواخر عصر الصناعة الثاني.

عصر الصناعة الأوّل هو الذي كانت الآلة فيه توفّر الجهد البدني للإنسان، بدل أن يعمل الإنسان بجسمه وبدنه، الآلة توفّر عليه ذلك، بدل أن يمشي على رجليه، يركب السيارة، بدل أن ينسخ بيديه يجد المطبعة توفّر له ذلك أضعاف الأضعاف وآلاف الأضعاف.

هذا عصر الصناعة الأوّل، الثورة الصناعية الأولى كانت مهمتها أن توفّر الآلة طاقة الإنسان البدنيّة.

أمّا عصر الصناعة الثاني، فمهمة الآلة فيه أن توفّر الجهد الذهني للإنسان، عصر الكمبيوتر، الشيء الذي يمكن أن تعمله في شهر أو في سنة يمكن أن يفعله الكمبيوتر في لحظة؛ بل إنّ قدرة هذا الجهاز العجيب (الكمبيوتر) تتضاعف يوماً بعد يوم.

هكذا وصل القوم، ونحن ما دورنا؟

نحن مختلفون: ماذا نسمي هذا الشيء الذي صنعه القوم؟ أهو العقل الإلكتروني أم هو الدماغ الإلكتروني؟ أهو الحاسب الآلي؟ أم نسميه الحاسوب؟ أم نسميه المحساب؟ أم الحسابة؟ أم نسميه الكمبيوتر؟ أم إلخ.

هكذا نتجادل!

العالم صار شيئاً آخر، ونحن لا زلنا «محلّك سير» كالثور في الساقية، أو الحمار في الطاحون، يدور ويدور، ويسير ويسير، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي بدأ منه، حلقة مفرغة، دائرة لا نخرج منها، لا زلنا في سجن التخلف، لا زالوا يسموننا «البلاد النامية»، والبلاد النامية كلمة مهذبة، تعبير ملطف، بدل أن يقولوا: «البلاد المتخلفة» يقولون: «النامية»؛ مراعاة لمشاعرنا، أو لعلّه إيهام لنا أننا في طريق النمو.

ونحن لا ننمو بالقدر الكافي؛ لأننا نحاول أن نلحق بالقوم فنلهث ونلهث، ونركض ونركض، ولكن نجد أنّ المسافة لا تضيق بمرور الزمن، بل تتسع وتتسع.

إننا نركب حماراً، وهم يركبون حصاناً، فإذا ركبنا حصاناً ركبوا قطاراً أو سيارة، فإذا ركبنا السيارة وجدناهم ركبوا طائرة، فإذا ركبنا الطائرة وجدناهم ركبوا الصاروخ، وركبوا مراكب الفضاء، ووصلوا إلى القمر، ثمّ نحن نقول: هل وصلوا إلى القمر؟

فيما من المشايخ من يقول: لا تصدّقوا أنّهم وصلوا إلى القمر، هذه خرافات!

هذا ما لا زلنا فيه.

ثم ماذا نصنع نحن؟

إذا ركبنا السيارة، هل نحن صنعنا السيارة؟ وإذا ركبنا الطائرة من أحدث طراز، فهل نحن الذين صنعناها؟

نحن لم نصنع محرّكاً قط، أي: «موتور» نستورده.

أعظم صناعة عندنا إذا ارتقت هي صناعة «التجميع»، نجمع في ديارنا، ولكن نبعث كلَّ البعد عن «المحركات»، وعن هذه الأشياء الأساسية في الصناعة.

أنحن متقدّمون؟

ليس المتقدّم هو الذي يركب سيارة من أحدث طراز، إنّما هو الذي يُصنّعها.

أنت حينما تركب «المرسيدس» الخمسمائة أو الألف، وتفتخر وتزهو بها وهي تقطع الأرض قطعاً، ما قيمتك يا راكب الخمسمائة والألف، وأنت لم تصنع فيها ترساً واحداً؟!!

يمكن لمصانع ألمانيا أن تنتج لك ما تريد، وتخرجها باسمك خاصّة، وتضع فيها من الكماليات ما لم يُوضع لغيرك؛ لأنّها تأخذ نقودك، وتروّج بضاعتها.

لسنا متقدّمين إذن!

إذا كان غيرنا هو الذي يصنع لنا، لا تظنوا أنّنا دخلنا أبواب الحضارة؛ ما دام هذا المكبّر «الميكرفون» الذي أمامي ليس من صناعتنا، وما دامت هذه «الكاميرا» التي تصورني أمامكم للتلفزيون ليست من صنع أيدينا، والتلفزيون الذي ينقل هذا من المسجد ليس من صناعتنا، فنحن لسنا متقدّمين، نحن مستهلكون لا منتجون، ومستوردون لا منشئون، ومقلّدون لا مبتكرون.

فعلينا أن نحزن على أنفسنا، وأن نبكي على أنفسنا؛ إذ استطاعت إسرائيل أن تطلق قمرًا صناعيًا، ونحن لا زلنا نتغنى بالقمر غناء الشعراء،



ولا زلنا نختلف في حكم التصوير: هل يجوز لنا أن نطلق قمرًا يصوّر،
أو طائرة استطلاع تصوّر، والتصوير حرام؟!
هذه هي حالنا.

لا زلنا في دائرة التخلّف:

لا زلنا في دائرة التخلّف، ما دمنا لا نصنع بأيدينا ما نحتاج إليه، إنّما
يصنع ذلك غيرنا، هذا هو التخلّف حقًّا، إذا كنّا لا نزرع ما نأكله،
ولا نصنع ما نستعمله، فهذا هو التخلّف!

للأسف، بلاد المسلمين بلاد زراعية ولكنها تستورد نصف أقواتها من
غير المسلمين! لو كفّوا أيديهم عنا لمتنا جوعًا في كثير من بلاد المسلمين.
ثم «الماكينات» والأجهزة من صنع غيرنا، والسلاح الذي ندافع به
عن أنفسنا من الذي يصنعه لنا؟!!

استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تصنّع بعض الأشياء، ولكن
لا زالت الصناعات الثقيلة في أيدي غيرنا.

كيف استطاعت إسرائيل أن تفعل هذا كلّها، ونحن لم نفعل شيئًا؟
لسنا مستقلّين حقيقة، ولا سادة أنفسنا حقيقة، إذا لم يكن سلاحنا من
صنع أيدينا.

حكوا أنّ أحد ملوك المسلمين في الهند من ملوك المغول، حينما
ولي الملك بعد أن نصره الله على المشركين، أرادوا أن يحتفلوا بتتويجه،
فكان من مراسم الحفل أن يركب فيلاً ضخماً مزيناً، فجيء له بالفيل
وقيل له: اركب هذا الفيل لتمر بالمدينة ويراك الناس.

فقال لهم: هذا الفيل من الذي يقوده؟

قالوا له: له سائس هو الذي يقوده، هو الذي يدرّبه، هو الذي يأمره.

قال: إذن لا أستطيع أن أركبه، لا أركب مطية زمامها بيد رجل غيري، هاتوا جوادي.

وركب جواده؛ لأنه هو الذي يستطيع أن يسوسه، وأن يقوده، وأن يحركه، أمّا أن يركب دابة لا يستطيع أن يوقفها فتقف، ولا أن يحركها فتتحرك، فلا.

هذا مثال لوضعنا. نحن نستخدم التكنولوجيا التي يصنعها غيرنا، ولذلك لو خربت أو تعطلت ما استطعنا أن نفعل شيئاً.

نحن بقينا عالة على غيرنا:

في بعض بلاد الخليج تعطلت محطة كهربائية كبيرة، وكان خللاً غير عادي، فتوقفت الحياة في نصف المدينة، لماذا؟

لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أمام هذا الخلل شيئاً، لا بدّ من خبير أجنبي من المصنع الذي صنعها.

تصوروا إذا توقفت الكهرباء في بلد من بلاد الخليج ماذا يصنع الناس؟ لا تستطيع أن تشغل مكيفاً، ولا مروحة، ولا أن تشرب شربة من ماء بارد، ولا أن تجد في الليل ما يضيء غرفتك.. ولكن لا بدّ من «الخواجة»، لا بدّ من الخبير، نحن إذن عالة على غيرنا!

ومع هذا أقول لكم شيئاً: كنتُ من عدّة أشهر ألقى محاضرة دعيت إليها في جامعة الملك فيصل بالدمام، وكان من الأسئلة

العجبية التي وجّهت إليّ بعد المحاضرة - وكان موضوعها عن «موقفنا من الحضارة» - سؤال يقول: أنت تحدثنا عن الحضارة وعن التقدم، على حين سمعنا خطبة لأحد الدعاة الدينيين يقول فيها: الحمد لله الذي سخر لنا الإفرنج الكفرة ليشغلوا بالعلم، وفرغنا نحن لعبادة الله!

انظروا غباء هذا الذي زعموه داعية للدين، يحمّد الله على أن ملّك الإفرنج العلم، وفرّغنا نحن للتعبّد!

اعتبر هذه نعمة، وهي مصيبة، الله يُحمّد، ولا يُحمّد على مكروهه سواه، ولكن هذه بليّة: أن نصبح عالة على غيرنا.

العلوم والصناعات من فروض الكفايات:

ربنا ﷻ يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ»^(١). ومنبله: الذي يضعه في القوس أو النبل.

الصانع مُثاب؛ لأنّه يوفّر للأمة ما تحتاج إليه، ولهذا قال فقهاء المسلمين: إنّ على المسلمين أن يكون لهم من العلوم والصناعات ما يغنيهم عن غيرهم.

(١) رواه أحمد (١٧٣٠٠)، وقال مخرّجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣١٤٦)، وابن ماجه (٢٨١١)، كلهم في الجهاد، عن عقبة بن عامر. قلت: وفي هذا ترغيب للمسلمين في إتقان الصناعات الحربية التي تمدّهم بالسلاح والذخيرة؛ حتى لا يكونوا عالة على غيرهم، وأن فعل هذا بنية الخير لول من العبادة والجهاد، يستحقُّ صاحبه الجنة.

وهذا يعتبره العلماء من فروض الكفايات؛ لا بدّ أن يكون في الأمة من الأطباء والمهندسين، والكيمائيين والفلكيين، والجيولوجيين والفيزيائيين، وجميع أصناف العلوم، وجميع أصناف الصناعات الدنيوية: المدنية والعسكرية، ما يسدُّ الثغرات، ويغطي كلّ الحاجات، ولا يحوج المسلمين إلى أن يمدوا أيديهم لغيرهم، هذا فرض كفاية على الأمة.

ومعنى «فرض الكفاية»: أنّه إذا وُجد عدد كاف من العلماء والخبراء في الأمة الإسلاميّة سقط الإثم عنهم، وإذا لم يوجد هذا العدد أثم المسلمون عامة، باؤوا بالإثم، بالمعصية، بالذنب؛ لأنّهم فرّطوا في واجب عليهم بالتضامن، أثم المسلمون عامة وأولو الأمر فيهم خاصة؛ لأنّهم مسؤولون، وكلُّ راع مسؤول عن رعيته، «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته»^(١).

نحن المسلمين علينا أن نحاول استدراك ما فاتنا، وأن نلحق بالركب، لا ندع إسرائيل تتفوّق علينا.

ولماذا تتفوّق إسرائيل علينا؟

نحن نمتلك المقدرات والمقومات:

نحن أكثر من مائتي مليون من العرب، وألف مليون من المسلمين جميعاً. عندنا قدرة بشريّة هائلة نستطيع أن نفعل بها الكثير.

وعندنا القدرة الماديّة والاقتصاديّة، فبلادنا من أعظم بلاد الله من ناحية خصوبة التربة، ومن ناحية وجود البحار والأنهار، ومن ناحية وجود المعادن.

(١) سبق تخريجه ص ٩٩.

ونحن من الناحية الرُّوحِيَّة نملك الرسالة العظيمة، القادرة على أن تُسعد العالم، وهي رسالة الإسلام.

عندنا من مقوّمات السيادة والقدرة، ما يجعلنا نتبوأ مكانتنا تحت الشمس، لو استفدنا ممّا أهّلنا الله له، وممّا وهبنا الله إيّاه. ولكننا لم نستفد، لم نحاول أن نتقدم، لا زلنا ندور حول أنفسنا، لا نراجع أنفسنا ونحاسبها كما هو شأن المؤمن، الذي يحاسب نفسه وينقدها، قبل أن يحاسبه ربُّه، وهو شأن الجماعات المتحضرة أيضًا، وهو ما يسمونه «النقد الذاتي»: هل أثمر نظامنا التعليمي؟ هل آتى أكله؟ أو هو في حاجة إلى مراجعة.

أمريكا تنقد نظامها التعليمي، وكَتب أهل الفكر والإصلاح فيها كتابًا أو رسالة تقول: «أمريكا على حافة الخطر» إذا لم تدارك نظامها التعليمي، وجاءت بأناس من غيرها - من اليابانيين - وقالوا لهم: قولوا لنا رأيكم في التعليم عندنا - التعليم بعيون غيرنا - ماذا تجدون فيه؟ انظروا: إلى هذا الحدّ ينقد القوم أنفسهم، ويراجعون سياساتهم.

نحن نخرّج موظفين يجلسون على المكاتب، هل نخرّج علماء وباحثين؟

نحن في حاجة إلى مراجعة أنظمتنا التعليمية، وفلسفتنا التعليمية، نحن في حاجة إلى تربية حقيقية.

نحن في حاجة إلى تطوير أوضاعنا الاجتماعية والثقافية والأخلاقية، بحيث نتيح الفرصة في أقطارنا للمواهب الشابة، للنوابغ من أبنائنا.

للأسف في كثير من البلاد يقدّم المنافق، يقدّم الثرثار، يقدّم المحسوب، ولا يقدّم الكفاء القادر.

كثيرًا ما لا يُوضع الإنسان المناسب في المكان المناسب.

الإنسان إذا لم يجد حَقَّهُ ولم يجد مكانه، ولم يُوضع في موضعه، كثيرًا ما ييأس، ويترك قومه، ويهجر وطنه، أو ينكمش ويعتزل الحياة، وهو موهبة يمكن أن تنمو، وأن تنبت، وأن تُثمر.

قد حكوا في أدبنا العربي أنّ عنتره بن شداد العبسي، كان أسود اللون، وكان أبوه يحقر شأنه ولا يكاد يعترف به، فكان متروكًا لرعاية الإبل كأنه أحد العبيد، فلما أغارت بعض القبائل على بني عبس وقف عنتره يتفرج وهو يرعى الجمال، وقد كاد المغيرون يقتحمون الحمى، وينتهكون الحرمات، ويسبّون النساء، ويأخذون الأموال، فقال له أبوه: ما لك: كز.

قال له: يا أبت، العبد لا يُحسن الكر، وإنّما يُحسن الحلاب والصر (أي: العبد ليست مهمته أن يكرّ ويهجم ويقاتل؛ إنّما مهمته أن يحلب الإبل والغنم). قال: كز وأنت حر!

فحمل سيفه وركب جواده وتصدى للمغيرين، فردّهم، وأظهر بطولة أصبحت حديث القبيلة، ثمّ ظهرت بعد ذلك بطولاته فأصبح حديث العرب كلّهم، وحديث الأجيال بعد ذلك، أصبح أسطورة من الأساطير^(١).

ما الذي حدث؟

كان هذا الشاب مدفونًا حينما كان محقورًا، ولم يُوضع في مكانه، فلمّا اعترف له بحقّه - كز وأنت حر - فعل الأفاعيل، وأظهر الأعاجيب.

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (٢٤٦/٨)، تحقيق سمير جابر، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢.



أعطِ للإنسان حقَّه، وأعطِ للنوابغ حقوقهم، هيئ لهم المناخ العلمي، دع الزهرات تفتتح، افتح النوافذ لكي يستنشق النَّاس الهواء الطلق، هنا في مثل هذا المناخ تنمو العقول الذكية النابغة.

نحن للأسف في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة لا زلنا نقتل المواهب، ونندِّ النوابغ. ما أحوجنا إلى جوٍّ إيجابي صحيح يُعين على تنشئة العقول النابغة. ثم إننا لا يمكن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة فرادى، لا يستطيع بلد واحد من بلادنا أن يلحق بالقوم.

إسرائيل بمساعدة الغرب طبعًا استطاعت أن تصل، ولكن هي التي فرضت على الغرب أن يساعدها، هي التي استطاعت أن تؤثر في سياسة أمريكا.

ونحن ممَّا من له أصدقاء وحلفاء من الغرب وحلفاء من الشرق، ولم نستطع أن ننتفع بحلفاء الغرب ولا بحلفاء الشرق.

نستطيع أن نفعل شيئًا إذا تجمعنَّا، إذا تجمع العرب وتجمع المسلمون يستطيعون أن يفعلوا الكثير، إذا صمَّموا وأرادوا.

تستطيع باكستان أن تصنع قنبلة، كان الرئيس «ضياء الحق» رَحِمَهُ اللهُ يسميها: القنبلة الإسلاميَّة، يقول: نحن لا نريدها قنبلة باكستانية، ولكنها القنبلة الإسلاميَّة.

إذا كانت اليهودية قد ملكت القنبلة، والوثنية قد ملكت، فلماذا لا يملك الإسلام؟

تستطيع الدول الإسلاميَّة أن تصل إلى ما تريد بالتخطيط، والاتحاد، والترابط.

أمَّا إذا اختلفنا وأراد كلُّ ممَّا أن يدخل الميدان وحده، فهيهات أن يصنع شيئًا.

الأمّة لا يحركها إلا الإيمان:

ثم هناك أمر آخر: هذه الأمّة أمّة مؤمنة، أي: لا يحركها إلا الإيمان، الدين هو العنصر الأوّل المؤثر فيها، إذا قُدتها بـ«لا إله إلا الله والله أكبر» صنعت الروائع، صنعت المعجزات، أو ما يشبه المعجزات.

انظر إلى ما فعله من يُسمّونهم أطفال الحجارة، انظر إلى ما صنعه المجاهدون في أفغانستان، انظر إلى ما صنعه الذين اقتحموا خط «بارليف» في العاشر من رمضان (١٣٩٣هـ).

الإيمان هو المحرك الأوّل لهذه الأمّة، الإيمان يستطيع أن يجعل من الإنسان طاقة غير عادية، وأن يعمل بأضعاف أضعاف طاقته.

نحن لا نستطيع أن نلحق بالقوم، وبيننا وبينهم مسافات ومسافات، إلا من خلال رسالة يؤمن بها الأفراد، فتفجّر مكنون طاقاتهم.

نحن لسنا أقلّ من القوم، لقد بدأت مصر نهضتها مع «اليابان» أو قبل اليابان بقليل، فانظروا أين اليابان وأين نحن الآن؟!!

بل انظروا إلى «كوريا» التي بدأت بعد الحرب العالميّة الثانية، ومنتجاتها الآن تغزو أسواق العالم في أوروبا وأمريكا، وأصبحت المنافس الخطر لليابان.

انظروا إلى هذه المصنوعات التي تأتينا من «تايوان» و«هونج كونج» وغيرها.

ما بالنا نحن؟ أليس لنا عقول كعقول القوم؟

لنا والله، ولكن نحتاج إلى إيمان يحركنا للعمل، إننا أقل بلاد الدنيا عملاً، وما رأيت مثل أمتنا في تكاسلها عن العمل.

لو أدرك النَّاسُ أَنَّ العملَ للدنيا عبادةً وجهاداً، وأنَّ المرءَ مأجورٌ على كلِّ عملٍ يعملُه، لو نفخنا هذه الروحَ في النَّاسِ، لو قُذِنَاهُمْ في طريقِ الإيمانِ الحقِّ، لو رفعنا أمامهم المصحفَ وقلنا: اعملوا لله، واجعلوا حياتكم ومماتكم وصلاتكم ونسككم لله تعالى ربَّ العالمين، لا شريكَ له، لو فعلنا هذا لاستطعنا أن نعوضَ كثيراً ممَّا فاتنا.

ولكن بعض النَّاسِ يظنُّ أنَّ الدينَ شيءٌ والدنيا شيءٌ آخر، ولا علاقةٌ للدينِ بهذه الأمور.

كأننا ندعو النَّاسَ إلى الدروشة، أو البطالة، أو إلى أن يجلسوا في التكايا أو الزوايا متبطلين.

لا، نحن نريد الدينَ محرَّكاً، محرَّكاً يستطيع أن يصنع من الإنسان شيئاً جديداً، إذا هو انقاد باسم الله، وسار على طريق الله.

نحن قادرون على أن نعوضَ ما فاتنا لو أنَّ الأُمَّةَ سارت سيرَ المؤمنين الصادقين، إنَّ اللهَ تعالى علَّمنا شيئاً من ناحية القتال، من الناحية العسكرية: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

بالإيمان والصبر يمكن أن يكون الإنسان قدر غيره بعشر مرَّات، تتضاعف طاقته عشر مرَّات ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾، وكذلك في معركة البناء والتقدم، نستطيع أن نفعل الكثير لو أننا استفدنا من هذا.

واجبنا تجاه تقدم إسرائيل:

يا أيُّها الإخوة، إننا أمام ما فعلته إسرائيل يجب أن نفكر ونفكر، ونعيد النظر في حياتنا كلها.

إسرائيل تخدم هدفًا، وتقوم على أساس ديني، ولا بدَّ أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، إذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، إذا قالوا: الهيكل. قلنا: المسجد الأقصى. إذا قالوا: التلمود. قلنا: صحيح البخاري ومسلم. عندنا ما هو أقوى منهم، ولا يفِلُّ الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

اليهودية لن تقف أمام الإسلام إذا رُفِع شعارًا، وأصبح محورًا، وعاد محرِّكًا، كما كان للأُمَّة في عصورها السابقة.

إنَّ انتصار إسرائيل علينا ليس مجافاةً للسُّنن؛ لأنَّه انتصار للعلم على الجهل، وللعمل على الكسل، وللنظام على الفوضى، وللترباط على التفشخ، وللاتحاد على الاختلاف.

نحن إذا أردنا أن نتصر عليهم، فلا بدَّ أن نراعي سنن الله لترعانا سنن الله، لا بدَّ أن ننصر الله لينصرنا الله، ونصُر الله ليس بالكلام، ولا بمجرد التسبيح والتهليل والتكبير، وإنَّما نصره أن نعمل وفق أمر الله، ووفق سنن الله، وبذلك ننتظر النصر، وما ذلك على الله بعزيز: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٤ - ٦].

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد جاءني شابٌّ يخبرني عن مولود وجد في علبة (كارتونة)، ووضع أمام باب من أبواب أحد المساجد، ومعه خمسون ريالاً!
مولود غَضُّ طري خرج إلى الدُّنيا من وقت قريب، ثمّ وضع أمام أحد المساجد!

قال لي: من المسؤول؟ من المسؤول عن هذا الإنسان، الذي سيعيش ما شاء الله له أن يعيش في مرحلة الحياة، بدون أب ولا أم؟
مولود مجهول النسب، مقطوع الخيوط والروابط، لا أم، لا أب، لا إخوة، لا أعمام، لا عمات، لا خالات، لا أخوال.
إنسان يعيش بغير أهل ولا رحم، من المسؤول عن هذا الطفل البريء؟
الطفل لا ذنب له، والإسلام يحميه ويحمي حياته، ويقرّر له في بيت المال نفقة.

وفي كتب الفقه الإسلامي باب مشهور اسمه: باب «اللقيط»، الذي يلتقط ولا أب له ولا أم. الإسلام يرعاه ويرحمه؛ لأنّه لا ذنب له، بل يحفظ حياته بعد أن يُولد وقبل أن يُولد.

قد عرفنا المرأة التي زنت وهي حُبلى، وجاءت تسأل النبي ﷺ أن يقيم عليها الحدّ، فأجّلها؛ لأنّه إن كان له سبيل عليها؛ فليس له سبيل على ما في بطنها^(١).

(١) إشارة إلى حديث: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إنّي قد زنيت فطهرّني، وأنّه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لِمَ تردني؟ رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

ما ذنب ما في بطنها، وإن جاء من حرام؟
ولكنه مخلوق محترم.

الإسلام يرفع هذا الإنسان، لكن من المسؤول عن حياته؟

إنها مسؤولية الأبوين:

الأب الذي ألقى البذرة المحرمة، قضى شهوته في الحرام، ثم لم يبال ما حدث بعد ذلك.

والأم التي هان عليها أن تلقي وليدها وفلذة كبدها في عرض الطريق، ولا تدري ماذا يحدث له بعد ذلك؟ أين يذهب؟ وكيف يعيش؟ ولعلها من أسرة، ولعل لها مالا، ولعل عندها ثراء. ولكن خشية أن تُقتل قتلاً مادياً من أهلها، أو تُقتل قتلاً معنوياً من المجتمع بالفضيحة على رؤوس الأشهاد، تخلّصت من هذا.

إنها مسؤولية الرجل، ومسؤولية المرأة من غير شك.

ولكنها مسؤولية المجتمع كذلك، المجتمع الذي يعوق طريق الحلال، فلا بد أن ينحرف الناس إلى الحرام.

طريقة الإسلام أن نفتح للحلال ألف باب وباب، وأن نسد إلى الحرام كل باب.

تيسير الزواج، تيسير الارتباط بالحلال، التخلي عن المظاهر الكاذبة، غلاء المهور، الحفلات، التأثيث الفاخر، هذه الأشياء التي لا معنى لها، ولم يجرى بها الإسلام، وإنما يسّر الإسلام ولم يعسر، هذه كلها تنتهي إلى مثل هذه النتيجة.

نتيجة البعد عن منهج الإسلام في الزواج:

قرأتُ في بعض كتب التاريخ أنّ رجلاً وجد في الطريق غلاماً مثل هذا الذي حدّثني عنه الأخ، ومعه صُرة فيها ألف دينار، ومع الصُرة ورقة تقول: هذا جزاء من لا يعجل بزواج ابنته إذا جاءها من يرضى دينه وخلقه.

أبو البنت يبدو أنّه من الأثرياء؛ لأنّه وضع مع الطفل ألف دينار في ذلك الوقت، وكأنّ الرجل يخاطب نفسه.

لقد أراد أن يستر على ابنته، وتحمل المسؤولية، وذهب بهذا الطفل إلى باب المسجد كما يفعل الناس عادة.

هذه إحدى ثمرات البعد عن روح الإسلام، ومنهج الإسلام في الزواج. إذا عسّرنا طريق الزواج تكون النتيجة الانحراف، تكون النتيجة أن يعيش الشاب بغير زواج، أو تعيش الفتاة بغير زواج.

يعيش الفتيات عوانس في بيوتهن محرومات من الحياة الزوجية - وهي حقٌّ لهنّ - محرومات من عاطفة الأمومة - وهي حقٌّ لهن - وفطرة فطر الله الإناث عليها.

تكون النتيجة أن يذهب الإنسان ليتزوج امرأة أجنبية من غير دينه ومن غير قومه، وهذه آفة من الآفات أيضاً!

زواج المسلم بغير المسلمة:

أنا في عصرنا لا أجاز أن يتزوج المسلم بغير مسلمة؛ لأنّ الإسلام حينما أجاز زواج غير المسلمات إنّما أجاز المحصنات، المحصنات من

الَّذِينَ أوتُوا الكتاب، والمحصنات هن العفيفات الشريفات النظيفات،
وأين تجد هذه في غير بلاد المسلمين ومن غير المسلمات؟!!

شرط «الإحصان» قلّما تجده في بلاد تعيّر البنت بعذريتها إذا بقيت
عذراء، معناه: أنّه ليس لها صديق!

الزواج من أجنبيّة غير مسلمة اشترط له أن تكون محصنة وهيئات،
وأن تكون كتابية حقًا، ومعظم هؤلاء لا دين لهن.

إنهنّ يتسمين بأنهنّ نصرانيات - أو غير ذلك - وهنّ في الحقيقة ليس
لهنّ دين، وأهلهن ليس لهم دين إلّا ما ندر، فهي ليست كتابية على الحقيقة.
ثم يشترط ألا يكون في هذا الزواج ضرر على المسلمات.

سيدنا عمر بعث إلى حذيفة بن اليمان بالمداين وقد تزوج يهودية، قال
له: عزمت عليك إلّا طلقتها. فبعث إليه يقول: أهو حرام يا أمير المؤمنين؟
قال: لا، ولكن أخشى أن يكون في ذلك فتنة على نساء المسلمين^(١).

«أن تزوج من امرأة أخرى وتترك بنات المسلمين»، معناه: أنّك
حكمت على بنت مسلمة بالكساد. إذا كان لا بدّ أن تزوج، فتزوج
مسلمة، وما أكثر البنات المسلمات.

ثم من ناحية أخرى: زواج هذه يعرّض الشخص نفسه للخطر، لماذا؟
سينقص من دينه وهو لا يشعر؛ لأنّه لن يجد المرأة التي تقول له: قم
فصلّ الفجر، قم فاقرا كتاب الله، إيّاك وكسب الحرام.. ستكون خطرًا

(١) رواه سعيد بن منصور (٧١٦)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر الدار السلفية، الهند،
ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، والطبري في التفسير (٣٦٦/٤، ٣٦٧)، تحقيق محمود وأحمد شاكر،
نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة. وصحّح إسناده ابن كثير في تفسيره (٤٣٧/١).

على زوجها، خطرًا على أولادها لو أنجب منها؛ لأنَّ الأولاد - وخاصة البنات - يتأثرون بأهمهم، فإذا كانت من دين غير الدين، ولغة غير اللغة، وقوم غير القوم، أصبحت «ثالثة الأثافي»^(١)!

إِنَّ كَلَّ هَذَا نَاشِئٌ مِنْ بَعْدِنَا عَنْ مَنَهِجِ الْإِسْلَامِ، فَلنَرْجِعْ إِلَى مَنَهِجِ الْإِسْلَامِ، وَلنَتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَنَا.
اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا رَحْمَةً وَاسِعَةً.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْظِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٤٦٣ - ٤٧٦)، فتوى: زواج المسلم بغير المسلمة، وما ذكرته من شروط وضوابط، نشر دار القلم، الكويت، ط ٥، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.



العدوان على الكويت (١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لقد حدث ما لم يكن في الحسبان، ووقع ما لم يتصوره إنسان، وقعت الواقعة، وقع العدوان، على شعب آمن، نام مطمئنًا، ثمّ أصبح فإذا هو مغزوّ في عُقر داره، معتدى عليه في وطنه.

ظلم ذوي القربى:

وممن كان العدوان؟

لو كان من إسرائيل، من الصهاينة، لو كان من الشيوعيين الحمر، لكان الأمر هينًا؛ الاعتداء من الأعداء معقول وممكن، طالما اعتدت إسرائيل، وطالما اعتدى الشيوعيون، وطالما اعتدى الصليبيون، ولكن أن يقع العدوان من عربي على عربي، ومن مسلم على مسلم، وأن يعتدي عليك بالسلاح الذي اشتراه بمالك، أن يعتدي عليك من أخته في وقت الشدّة، ووقفت معه في ساعة العُسرة، فهذا هو الأمر الفظيع.

(١) وقع العدوان في ٢ أغسطس ١٩٩٠م.

الشاعر العربي الجاهلي قديماً (طرفة بن العبد) قال في معلّته:
 وَظَلَمْتُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاظَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ^(١)
 أن تُظلم من قريبك، ومن أخيك، ومن ابن عمك، وأن يعتدي عليك
 وأنت لم تقدم له إلا الخير والمعروف، هذه هي المصيبة.

قديماً قال الشعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ
 وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ - فَاعْلَمْ - جَنَاحُهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ^{(٢)؟!}

ولكن الذي يفترض أن يكون سلاحك، وأن يكون جناحك، هو
 الذي كان سلاحاً عليك، وكان سهماً في صدرك، وهو الذي جاء ليهيض
 جناحك، وينتف ريشك، ويكسر عظامك، كما قال الشاعر قديماً:

وَإِخْوَانٌ حَسَبْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُواهَا، وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي!
 وَخَلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا، وَلَكِنْ فِي فِؤَادِي^{(٣)!}

هذا هو الذي وقع!

حينما وقع هذا الأمر كنت في «لندن» قادماً من أمريكا لإجراء عملية
 جراحية، وما إن فتحت «التلفزيون» حتى لم أكد أصدق، أهذا يحدث؟!
 من قبلها في الليلة السابقة قال مندوب الجامعة العربية: إِنَّ مُجَرَّدَ

(١) شرح المعلقات السبع للزّوزني ص ١١٣، نشر دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) من شعر مسكين الدارمي. انظر: الأمثال لابن سلام ص ١٨١، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) من شعر ابن الرومي. انظر: تحرير التعبير ص ٣٣١، تحقيق حفني محمد شرف، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.

الاحتشاد هذا - أي: احتشاد القوّات العراقيّة على حدود الكويت - ليس معناه الاعتداء، هذا لم يحدث في تاريخ الجامعة العربيّة، ولم يحدث أن اعتدى بلد عربي على بلد عربي آخر، ومستحيل أن يقع!
ولكن المستحيل حدث ووقع.

لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلماً:

رُوّع الآمنون في بيوتهم، والنبي ﷺ يقول: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلماً»^(١).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في مسير، فخفق رجل على راحلته (أي: نعس)، فأخذ رجل سهمًا من كنانته (يمازحه)، فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلماً»^(٢)، أي: ولو كان ذلك على سبيل المداعبة والمزاح.

«لا يحلُّ لرجل أن يروّع مسلماً»، فكيف بالآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف، الذين رُوّعوا في بيوتهم، باتوا آمنين، وأصبحوا خائفين؟! وروى البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة، أن رجلاً فقد نعله - غيَّبها رجل عنه - فصار يبحث عنها، وارتاع لهذا الأمر الصغير، فقال النبي ﷺ: «لا تروّعوا المسلم؛ فإنّ روعة المسلم ظلم عظيم»^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٢١)، والأوسط (١٦٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٩): رواه ثقات.

(٣) رواه البزار (٣٨١٦)، والعقيلي في الضعفاء (١٨٣/٢)، وقال: في إسناده لين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٥): رواه الطبراني والبزار، وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. عن عامر بن ربيعة.



ماذا نقول عن هذا الذي حدث؟ والنساء في بيوتهن يخفن أن يأتي
آت فيعتدي على أعراضهن، والأطفال يختبئون، والناس لا تدري ماذا
يحدث لهم؟

ما الذي جرى؟ ما الذي وقع؟ ما سبب هذا كله؟

عدوان لا مبرر له:

ما السبب في أن يُعتدى على بلد آمن؟

خلافات؟ كل الخلافات يمكن أن تُسوى.

حدود؟ كم طلبت الكويت أن تسوي مسألة الحدود، ولكن الآخرين
هم الذين يسوفون.

أموال؟ ديون؟ لم تطالب الكويت بديونها قط.

وكل شيء قابل للحل.

أمّا أن تُبيّت العدوان على أخيك، ويبدو أن الأمر مبّيت بليل، من
أشهر طويلة، ومن مدد طويلة، كما تدلُّ على ذلك الشواهد والوقائع.

كنا نظن أن تتجه هذه القوّة - التي كان يعتبرها الكثيرون رصيّدًا
للعرب والمسلمين - إلى إسرائيل، وطالما سمعنا التهديدات
لإسرائيل، ولكن إسرائيل لم تُضرب إلا بالكلام، أمّا الكويت
فضُربت بالمدافع.

كنا نظن أن هذه القوّة تتجه إلى أعداء الإسلام، وأنّ البندقية العراقية
تتجه هناك إلى صدر إسرائيل، لا إلى صدور أبناء الكويت.

رجعة إلى الجاهلية:

ما الذي حدث؟

هذا شيء عجيب حقًا: أن يحدث بين أبناء العرب والمسلمين، هذه هي الجاهلية الأولى، حينما كان يغير بعضهم على بعض، وكما يقول الشاعر:

وأحيانًا على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانًا^(١)

ولكن النبي ﷺ حذر من فعل الجاهلية وقال:

«لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

«كفارًا»، لأن هذا من عمل الكفار، ومن عمل الجاهلية.

وقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣).

هذا ما حذر منه النبي ﷺ.

بل حذر ممّا هو أكثر من ذلك، حذر من مجرد أن تُشهر السلاح على أخيك، وقال: «من سلّ علينا السيف فليس منا»^(٤).

ويقول فيما رواه أبو هريرة: «لا يُشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعلّ الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»^(٥).

(١) من شعر عمير بن شسيم، يلقب بالقُطامي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (٥٥/١)، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٩٩)، وأحمد (١٦٥٠٠)، عن سلمة بن الأكوع.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٦١٧).

ومعنى ينزع، أي: يرمي ويفسد.

وفي رواية قال أبو هريرة: قال أبو القاسم عليه السلام: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإنَّ الملائكة تلعنه حتَّى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(١)، الملائكة تلعنك بمجرد الإشارة إلى أخيك بالسلاح، فكيف إذا دخلت عليه واحتلت أرضه، وغزوته في عقر داره؟!!

إنَّ هذا أمر يرفضه الإسلام، وترفضه الشرائع الدولية، وترفضه الأخلاق، وترفضه قيم العرب وأعرافهم من قديم، حتَّى في الجاهليَّة.

لقد كان العربي يتعفَّف عن قتل أخيه حتَّى ولو كان عنده ثأر، يقول شاعرهم:
 قومي همُ قتلوا أميمَ أخي فإذا رميتُ يُصيبني سهمي
 فلئن عفوتُ لأعفونَ جلاً ولئن رميتُ لأوهنَ عظمي^(٢)

هكذا كان العرب قديماً، رغم ما كانوا فيه من الجاهليَّة، ولكن كان فيهم مروءات وشيم، وكان فيهم مكارم يعرفونها ويتباهون بها.

نجيء نحن في عصر الإسلام ويعتدي بعضنا على بعض، وتتفرَّق الأُمَّة شيعاً، ويدوق بعضها بأس بعض، هذا شرُّ ما تُبلى به أُمَّة.

من المستفيد من هذه الكارثة؟

من المستفيد من هذه المحنة، الأزمة، المصيبة، الكارثة؟ سُمُّوها ما تسمونها، من المستفيد؟

والله لن يستفيد من وراء هذا إلاَّ إسرائيل، الصهاينة، اليهود، الصليبيون، الشيوعيون، كلُّ أعداء الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦١٦).

(٢) من شعر حارث بن وعله، انظر: أمالي القالي (٢٦٢/١)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

إسرائيل تُعربد هناك الآن في الضفة الغربيّة وفي لبنان، ولا أحد يرُدّها، تصول وتجول في إفريقيا، وليس هناك من يسأل عنها، الكلُّ مشغول عنها.

إسرائيل هي المستفيدة، والغرب هو المستفيد أيضًا، هو الذي جمّد الأرصدة (مئات المليارات) لحسابه، هو الذي يبيع لنا أسلحته القديمة، ويجرّب فينا أسلحته الجديدة، هم المستفيدون!

أمّا نحن، فنحن الخاسرون على كلّ صعيد، الخاسرون على كلّ مستوى، نتيجة هذا العدوان الأحمق، الفاجر، الذي مزّق الأمة إربًا إربًا.

خسائرنا كثيرة:

١ - التمزق:

تمزقت وحدتنا: كنّا نقول: أمّة العرب دخلت الآن في عصر التضامن، ودخلت في عصر التلاحم، بعد القمّة التي حدثت في بغداد، ودخول مصر الجامعة العربيّة، بعد أن جُمّدت عضويتها بعد كامب ديفيد، وقلنا: نحن في عصر جديد.

لم نكد نفرح حتّى انقلب العرس مآتمًا.

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نَوَاحٍ وَنُعَيْتِ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
كُنْتُ فِي يَوْمِ الزَّفَافِ بِثُوبِهِ وَدُفِنْتُ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ^(١)

كما قال شوقي يرثي الخلافة التي ألغها كمال أتاتورك.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ - ١٠٩).

كمال أتاتورك فعل مثل ذلك، بعد أن ظنَّ النَّاسَ في يوم من الأيام أنه خالد الترك، ولم يدروا أنَّ وراءه مؤامرة ملعونة خبيثة لضرب الإسلام والمسلمين، حتَّى إنَّ شوقي رَحِمَهُ اللهُ قال له في قصيدة:

الله أكبرُ كم في الفتحِ من عجبٍ يا خالدَ التركِ جدِّ خالدِ العربِ^(١)!

ظنَّ أنَّه خالد الترك، وهيئات هيئات!

وهذا في يوم من الأيام زعموا أنَّ له قادسية كقادسية سعد بن أبي وقاص!

يا سبحان الله! كم تُظلم الحقائق، وتُظلم الألفاظ، ويُظلم التاريخ؟!!

القادسية التي كان الهدف منها تحرير الفرس من نير الأكاسرة، ومن عبادة النَّار، وكما قال أحد الصحابة من المسلمين لقائد قوات الفرس «رستم»؛ وقد سأله: ماذا جاء بكم؟ ومن أنتم؟ فقال في عبارات وجيزة لخصَّ فيها أهدافهم، بل أهداف الإسلام الكبرى: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٢)!

هذه هي قاديَّة سعد، فأين القاديَّات المزعومة التي جاءت تُفرِّق الأُمَّة، ليحارب بعضها بعضًا، ويمزِّق بعضها بعضًا؟!!

ما معنى أن يحارب العربُ الفرسَ أو يحارب العراقُ إيران؟ زعموها أحيانًا حربًا قومية، فقالوا: إنَّها حرب العرب ضد الفرس، وأحيانًا زعموها حربًا مذهبية، فقالوا: إنَّها حرب السُّنة ضد الشيعة. وزعموها أحيانًا حربًا دينية، فقالوا: إنَّها حرب المسلمين ضد المجوس.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

(٢) قاله ربعي بن عامر. رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

تصوروا: جعلوا الإيرانيين المسلمين مجوسًا! وهم الآن يقولون لهم:
أنتم المسلمون، وأنتِ الجارة المسلمة، وأنت الأخ والشقيق.
أين كان هذا كله؟!!

وللأسف حطب الكثيرون في هذا الحبل، وساروا في هذا الركاب،
وأعانوا الظالم على ظلمه.

الحمد لله أنني لم أتورط في شيء من هذا قط، ولا بموقف واحد،
ولا بكلمة واحدة.

كنت أدعو من فوق هذا المنبر - طوال شهر رمضان - أن ينصر الله
المجاهدين في فلسطين، والمجاهدين في أفغانستان، والمجاهدين في
السودان، والمجاهدين في إريتريا، والمجاهدين في الفلبين، والمجاهدين
في كشمير، وقال لي سفير العراق هنا في الدوحة - وبينه وبينه مجاملة
ومودة -: تدعو للناس في كل مكان إلا العراق؟

قلت له: أنا أدعو أن ينصر الله الفلسطينيين على اليهود، وأدعو أن
ينصر الأفغان على الشيوعيين الملحدين الحمر، وأدعو أن ينصر الله
الفلبينيين والسودانيين والإريتريين على الصليبيين الحاقدين المتعصبين،
فكيف أدعو للعراق؟ أن ينصر الله المسلمين على المسلمين؟! ولماذا
كان العراق أحق من إيران؟

الذي كسبناه اليوم من هذا العدوان: تمزيق الأمة العربيّة، التي
انقسمت إلى محاور مختلفة؟ هذا يؤيد، وهذا يعارض، وهذا بين بين.
هناك من يفعل ذلك خوفًا، وهناك من يفعل ذلك طمعًا في الغنائم،
وهناك من التبس عليه الأمر. هناك من سكت عن الحق، وهناك من نطق

بالباطل، هناك الشياطين الخرس، وهناك الشياطين المتكلمون. اختلط الحابل بالنابل، هذا ما حدث.

الأُمَّة تَمَزَّقَتْ، وشرُّ ما تبلى به الأُمَّة أن تتمزَّق، إنَّ الله تعالى جعل ذلك عقوبة كالعقوبات السماوية، كالخسف والمسح: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ ﴿قَصْفَ بَحْجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾ ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيْعًا وَيَدِيْقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْنَا الْأَيْتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أول خسائرننا هذا التمزق، بعد أن كننا نقول: دخلنا عصر التضامن، والتلاحم.

٢ - الأحقاد:

وأكثر من هذا: الأحقاد التي غرست في النفوس الآن، ولا ندري إلى متى ستظلُّ في الجيل الحالي والأجيال القادمة؟ متى تُزال هذه الرواسب التي بُذرت بذورها وزُرعت؟

الشاعر العربي يقول:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ^(١)

الحقد «والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تَحْلِقِ الدِّينَ»^(٢).

(١) ديوان صالح بن عبد القدوس ص ١٢٣ - ١٢٧، تحقيق عبد الله الخطيب، نشر دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧م.

(٢) رواه أحمد (١٤٣٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف لجهالة مولى آل الزبير. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣) حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

٣ - تدمير الثروة:

الثروة التي كان ينبغي أن تتوجّه إلى تنمية هذه الأمة وتعمير خرابها، وإخراجها من دائرة التخلف.

المليارات وعشرات المليارات كان ينبغي أن توجّه لتنمية هذه المنطقة كلّها، وتنمية الأمة العربيّة والمسلمة؛ فالمال لها جميعًا، والثروة إليها، والناس مستخلفون في هذا المال، ولكن يبدو أنّ هناك مؤامرة مآكرة خبيثة، تريد لهذا المال ألاّ يُنفق إلّا فيما لا فائدة فيه، ولا نفع منه، بل فيما يضرّها يقينًا.

اخترعت حرب العراق وإيران، فالتهمت مئات المليارات، فوق ما التهمت من أجساد البشر.

ثم ها هي تخرع الآن هذه القصة الجديدة؛ لتدمّر ثروة هذه الأمة.

ماذا سينفق في هذه الحرب الخاسرة بكلّ المقاييس؟

نحن الخاسرون فيها، الأسلحة ستضرب بعضنا ببعض، سواء ضربت صواريخ أم أسلحة كيماوية، من هذا الطرف أم من ذاك، كلّها في الأرض العربيّة الإسلاميّة.

من المسؤول عن هذا كلّهُ؟

ثروتنا تدمّر، وكان الأولى بها أن تُنفق في الخير.

وأنا أشهد والله للكويت، أنّها لم تبخل على مشروع من مشروعات الخير: الهيئة الخيرية الإسلاميّة العالميّة أسسناها في الكويت، لجنة مسلمي إفريقيا التي أقامت إذاعة إسلاميّة في «سيراليون»، يسمّعها

عشرات ومئات الملايين في إفريقيا، وقامت بنشر الدعوة الإسلامية، ومقاومة حملات التنصير، لجنة الدعوة والإصلاح التي تدعم الجهاد الأفغاني، جمعية عبد الله النوري الخيرية، جمعية إحياء التراث الإسلامي التي بنت عشرات المساجد، جمعية الإصلاح الاجتماعي، بيت الزكاة، الهيئة العالمية لقضايا الزكاة، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي تجمع بين الفقهاء والأطباء، وأصدرت منشورات عديدة، وكتبًا ومجلدات في غاية من القيمة، وزارة الأوقاف وما أصدرته من الموسوعة الفقهية التي صدر منها أكثر من أربعة وعشرين مجلدًا، وأصدرت عددًا طيبًا من كتب التراث الأصيلة... أشياء كثيرة.

ماذا أقول وماذا أحكي؟

من ذهب إلى آسيا وإفريقيا وجد أثر الكويت هناك، ويمكن أن تبذل أكثر وأكثر، إضافة إلى ما تبذله أيضًا من سلاسل ثقافية وفكرية: مجلة العربي، ومجلة الوعي الإسلامي، وغير ذلك.

إذا نظرنا إلى الكويت من ناحية الشورى والحرية، فهي من أكثر بلاد العرب والمسلمين حرية، أقول لكم الحق في هذا، الصحافة الكويتية صحافة حرّة، البرلمان الكويتي، والديوانيات الكويتية تعتبر كأنها برلمانات صغيرة.

الكويت من أحسن البلاد في هذا، لم تصل إلى القمة كدول أوروبا الغربية، ولكن بالنسبة لما يجري في بلادنا العربية هي أفضل من غيرها بلا نزاع.

لماذا إذن العدوان على الكويت؟

إنّ نتيجة هذا كلّها: تدمير الثروة.

٤ - تدمير القيم:

وأشدُّ من تدمير الثروة: تدمير القيم، القيم المعنويّة، قيم الأخوة والرحم والجوار والوفاء.

ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا حينما نتكلم عن حقوق الرحم، أو حقوق الجوار، أو حقوق العروبة، أو حقوق الإسلام؟

ماذا نقول لهم، وهذا كلُّه قد مُسَخ؟

ماذا نحدّثهم عن الوفاء؟ أين الوفاء إذا غدرت بمن وفّى لك، واعتديت على من وقف معك ساعة الشدّة؟ أين الأخوة؟ وأين الرحم؟ وأين الجوار؟ وأين العروبة؟ وأين الإسلام؟ ما دام أخي هو الذي يقاتلني ويغير علي، وليس عدوي؟

٥ - اليأس:

اليأس وخيبة الأمل التي أصابت هذه الأمة، والكفر بالعرب والعروبة. أصبح السائد على كلِّ لسان: إنّ العرب لا يصلحون لشيء؛ أنّهم يضرب بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، والعرب مظلومون، والشعوب مظلومة، المسؤولية مسؤوليّة الحكام.

أنا لا أحمل الشعب العراقي كلّه مسؤوليّة ما حدث، وإن كان كثيرون منه قد غسّلت أمخاخهم، وضلّلت عقولهم، كما رأينا في بلاد أخرى من قبل، وعهود أخرى من قبل.

لا أحمل الشعب العراقي نتيجة ما فعل حكامه، ولا أحمل الشعب الفلسطيني نتيجة تصرفات بعض قادته، لا أحمل الشعوب نتيجة أخطاء

ساستها، الشعوب فيها خير كثير، ولهذا رأينا هذه الصحوة الإسلامية في كل مكان، وكأنَّ هذه العمليات يراد بها إجهاض هذه الصحوة وإيقافها. وقد حدّثني بعض الإخوة في أمريكا: أنّ واحداً من قادة الحزب الجمهوري - في جلسة خاصّة - قال له: إذا كان لهذا العدوان فضل، فإنّه أراحنا من الأصوليين الذين اتخذوا الكويت وكراً لهم! إنّها أحقاد صليبية، تظهر على صفحات الوجوه وفتلات الألسن، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

٦ - شماتة الأعداء:

الشاعر العربي يقول:

كُلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى وتَهونُ غير شماتةِ الأعداءِ^(١)
والنبي ﷺ ممّا أثر من أدعيته: «اللهمّ أني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»^(٢).

إنَّ إسرائيل تشفّى وتشمت بنا اليوم، لقد رأيت أحد المسؤولين الإسرائيليين في تلفزيون بريطانيا وهو يقول: هذا ما قلناه من قديم؛ إنّ مشكلة الشرق الأوسط ليست الصراع العربي الإسرائيلي، ولكن المشكلة تكمن في الصراع العربي العربي!

ليتشفّوا بنا، ليشمتوا بنا، نحن الذين مكّناهم!

(١) من شعر ابن أبي عيينة المهلبى. انظر: الشكوى والعتاب ص ٨٨، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٧)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٧)، عن أبي هريرة.

٧ - الانشغال عن قضايانا الكبرى:

كنا نتحدث عن الانتفاضة الفلسطينية، وعن ثورة المساجد، وعن أشبال الحجارة، وعن الأطفال الذين يقاتلون الصهيونية.

وكنا نتحدث عن الهجرة اليهودية، وعن هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين، وعن هذه المؤامرة المبيتة التي تريد أن تخرج الناس من ديارهم وتحتل غيرهم مكانهم. كنا نقيم الدنيا من أجل هذا.

انتهى هذا، وشغلنا عنه بهذه المصيبة، وغطت على قضايا الجهاد كلها.

٨ - وجود القوات الأجنبية:

من المتسبب في هذا؟

كانت المنطقة كلها ترفض أن تكون هناك قواعد للجنود الأجانب، طلب منها ذلك في بعض الأحيان، رفضت الكويت، ورفضت المملكة العربية السعودية، ورفضت قطر، ورفضت البحرين، ورفضت الإمارات.

والآن حانت الفرصة لذلك، ووجد المبرر، وجاءت هذه الأساطيل البرية والبحرية والجوية؛ لتحتل المنطقة وتتحكم فيها.

من المسؤول عن هذا الاحتلال الجديد، الذي أعاد القوات العسكرية الأجنبية إلى المنطقة بعد أن تحررت منها، والذي جعل حكام المنطقة يطلبونه بأنفسهم؟

من المسؤول عن هذا كله؟ من المسؤول عن هذه الخسائر؟

ماذا أعدد من خسائر، ومن كوارث، ومن مصائب، حلت بنا نتيجة هذا العدوان؟

إنَّها خسائر كثيرة وكبيرة، مادية ومعنويَّة، آنية ومستقبلية، وما خفي أعظم، وما ينتظرنا لا يعلمه إلاَّ الله.

لو انفجر الموقف، لو انطلقت الشرارة، لو استعرت النَّار، من سيصطلي بها؟

سنصطلي بها كلُّنا، وإسرائيل تتفرج علينا ضاحكة السن، تضحك ملء سنِّها، وتنام ملء جفنها، لا تبالي، مبسوطة مسرورة.

يقولون: إنَّ إسرائيل ستتدخل، وما الَّذي يدعوها لأنَّ تتدخل؟

لا، هي لن تتدخل، يكفيها أن تتفرج علينا. خسائرنا كبيرة، وكبيرة جدًّا.

مسؤوليَّة الساكتين عن الظلم:

يا أيُّها الإخوة، مصيبة حلَّت بهذه الأمة؛ نتيجة لسكوتنا عن ظلم سابق: ضُرب إخواننا الأكراد بالأسلحة الكيماوية، أبيدت - كما حدَّثني أحد علماء الأكراد - أكثر من عشرة آلاف قرية في منطقة حلبجة، قُتل من أهلها من قُتل، وهاجر منها من هاجر.

أكثر من عشرة آلاف قرية فيها أكثر من عشرين ألف مسجد دُمرت، وقتل خمسة وعشرون عالمًا رفضوا أن يتركوا المساجد، واستشهدوا في داخلها.

هذا ما حدث.

هل تحدَّث أحد؟

الأفلام تحدَّثت عنها، وتلفزيونات العالم، إلاَّ العرب لم يتحدَّثوا عنها.

لو أننا كنّا كما علّمنا النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». قيل: يا رسول الله، نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه»^(١).

ولكننا ركنّا إلى الذين ظلموا فمستنا النار، سكتنا عن الظلم وساندناه، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»^(٢)، ويقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ لأنّ الرحمة تخصّ والنقمة تعمّ، العقاب ينزل على من ظلم، وعلى من تغاضى عن الظلم وسكت عنه.

من المسؤول؟

من المسؤول عن كلّ هذا الذي أصاب هذه الأمة؟ من المسؤول عن الأمنين الذين رُوعوا؟ من المسؤول عن الأموال التي نُهبَت؟ من المسؤول عن النساء اللاتي اغتصبن؟ من المسؤول عن الحُرّمات التي انتهكت؟ من المسؤول عن الأعراض التي هُتكت؟ من المسؤول عن الشاردين التائهين الذين ماتوا في الصحراء، نفذ الوقود من سياراتهم، ونفذ الزاد من أيديهم ونفذ الماء من قريبتهم؟ من المسؤول عن الأطفال الصغار في تلك الطرق الصحراوية الذين كانوا يلهثون من العطش، سيكون أمام الآباء والأمهات، من أجل جرعة ترويههم فلا يجدونها؟ من المسؤول عن عشرات الآلاف، ومئات الآلاف الذين خرجوا من

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٣٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله». قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد». قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(١).

وروى سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»^(٢).

الإنسان مطالب أن يدافع عن عرضه وماله ودمه ودينه، ولا يستسلم للبغية والمعتدين، وإن أدى ذلك إلى قتالهم، فإن قُتل فهو شهيد، وإن قتلهم فهم في النار، ولكن بعد أن ينشد بالله، يقول: أنشدك الله.

ولا زلنا نقول لحاكم العراق ولنظام العراق ونكرر القول: نشدكم الله، ثم نشدكم الله! نشدكم الله في هذه الأمة، قبل أن تندلع الحرب المدمرة، فتأكل الأخضر واليابس، وما ذنب الآمنين؟ ما ذنب الشعوب؟ ما ذنب الناس؟ ماذا ستجني هذه الأمة من وراء ذلك؟

نشد الله حكام العراق أن يستجيبوا لصوت العروبة والإسلام، والخلق والدين، والرّحم والجوار، والقوانين الدولية، وينسحبوا من الكويت.

لقد كان حاكم العراق جريئاً حينما فجر الأزمة، فليكن شجاعاً فينهاها. لقد قدر على إشعال النار، فليكن قادراً على إطفائها، وسيسجل ذلك التاريخ له بإكبار. لقد وجد من الجرأة أن ينهي آثار حرب

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٥٢)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في السنّة (٤٧٧٢)، والترمذي في الدييات (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح.

استمرت ثماني سنوات، ثم تنازل فيها عن كل شيء، وأعلن أنّها لم تكن حرباً عادلة. إذا واتته الجرأة لذلك فليفعل ذلك بالنسبة لبلد عربي مسلم جار.

يقول: إنّ الكويت جزء منه، حتّى لو كانت جزءاً منه، هذه «تايوان» جزء من الصين - التي عددها أكثر من ألف مليون - ولا يعترف بها أحد، ومع هذا نرى الصين لم تفكر في أخذها بالقوة.

«هونج كونج» جزء من الصين، ومع هذا لم تفكر في أخذها بالقوة، وتحترم المعاهدات التي بينها وبين بريطانيا حتّى تنتهي.

القول بالضم بالقوة هذا يُعطي حجّة لإسرائيل، هي المستفيد الوحيد الذي يرى أنّ الضمّ بالقوة لما تزعمه حقاً لها من الحقوق التاريخية.

الشام كانت بلداً واحداً طوال التاريخ، لم يكن هناك سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، هل معنى هذا أن نمكّن سوريا لتأخذ لبنان وتأخذ الأردن؟ هل نتيح للقوي أن يتلعب الضعيف، ولكلّ بلد أن يأخذ الأصغر منه؟ مصر تأخذ ليبيا، والمغرب تأخذ موريتانيا، والجزائر تأخذ تونس، وهكذا، هل هذا منطق؟ هذا منطق الغاب، وقانون المخلب والنّاب.

نحن ناشد هؤلاء الحكّام أن يتقوا الله في هذه الأُمَّة، إنّنا نخاف من المصير الأسود الذي لا نكسب منه إلاّ الدمار والخراب.

ناشد هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم، وأن يكونوا شجعاناً ويعلنوها صريحة، هذه هي الشجاعة الحقّة، الرجوع إلى الحقّ خير من التمادي في الباطل. الشجاعة حقّاً أن يعترف الإنسان بخطئه، والاعتراف يهدم الاقتراف.

إِنَّ الَّذِي أَصَابْنَا أَثِيهَا إِخْوَةٌ إِنَّمَا كَانَ مِنْ جَزَاءِ شَيْءٍ وَاحِدٍ، هُوَ: بُعِدْنَا عَنِ الْإِسْلَامِ، بُعِدْنَا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَأَصَابْنَا مَا أَصَابْنَا. لَوْ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْ يَوْمِ أَنْ حَدَثَ هَذَا الْعَدْوَانِ رَجَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَى الْقُرْآنِ الَّذِي يَقُولُ: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. هذا في حالة اقتتال طائفتين نصلح بينهما، حَتَّى يَكْفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، وَيَعْمَدُ سَيْفَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسْفِكَ دَمَ مُسْلِمٍ آخَرَ، فَإِذَا حَدَثَ هَذَا لَا بَدَّ أَنْ نَحَاجِزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَنُصَلِّحَ بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى بَعْدَ هَذِهِ الْمَحَاجِزَةِ، وَهَذَا الْإِصْلَاحُ، نَقَاتِلُ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ الْمَعْتَدِيَةَ الظَّالِمَةَ.

ومن باب أولى إذا لم يحدث اقتتال، وحدث بغى من أوّل الأمر، بغت الطائفة القويّة على الضعيفة، فالمفروض في المسلمين أن يقاتلوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ.

لا بدّ أن يقف النَّاسُ بقوة أمام العدوان. لو أنّهم فعلوا ذلك، لو أنّ الشارع العربي المسلم قام عن بكرة أبيه من المحيط إلى الخليج، أو من المحيط إلى المحيط، ونادى بصوت واحد، وبصوت جهير يبلغ عنان السماء: ارجعوا أيّها المغيرون، أيّها المعتدون على إخوانكم، لو وقف النَّاسُ وقفة رجل واحد، لكانوا قد راجعوا أنفسهم، ولكن حدث ما حدث، حدث هذا الانقسام المريب، الانقسام المؤسف والمؤلم.



على كلِّ حال سيبقى الإسلام هو طوق النِّجاة، وسفينته لإنقاذ هذه الأمة، وقد قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كلمة ينبغي أن نعيها ونرويها للأجيال دائماً، قال: نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلَّنا الله^(١).

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

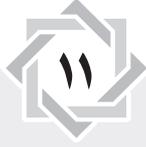
أمّا بعد، أيّها الإخوة:

من سنة رسول الله ﷺ أنّه كان يقنت في النوازل، ويدعو الله تعالى في صلواته للمسلمين المستضعفين في مكة أن ينقذهم الله من محنتهم، وكان يدعو على من ظلمهم وعلى من أذلّهم من المشركين. ولذلك ذهب الكثيرون من الفقهاء إلى استحباب القنوت في ساعة النوازل.

ونحن في نازلة كبيرة لم تر الأئمة مثلها، نحن في كارثة لم تُصَب أمّتنا بمثلها من عهد بعيد، ولهذا نقنت إن شاء الله بعد القيام من الركوع في الركعة الثانية، وندعو الله، عسى أن يكون فينا رجل صالح يستجيب الله تعالى له.

إننا في محنة، نسأل الله تعالى أن يُخرج المسلمين منها، ومن هذا المأزق الصعب، ومن هذه الكارثة التي حلّت بهم، وأن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التّقى، والعزائم على عمل الخير وخير العمل. إنني أطلب من المسلمين أن يدعوا الله بأن يفرّج الكربة، وأن يكشف الغمة، وأطلب من الأئمة والخطباء أن يقنوتوا قنوت النوازل؛ فإن الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

أسأل الله تعالى أن يجعل لنا من همّنا فرجاً، ومن ضيقنا مخرجاً، ومن عسرنا يسراً، ومن محنتنا منحة، وأن يجزي الذين تسببوا في هذا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً.



حقائق حول أزمة الخليج

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فتن يرقق بعضها بعضاً:

نعيش هذه الأيام مأسٍ في حياة المسلمين، مأسٍ وفتناً تدع الحلّيم حيران، إنّها فتن - كما ذكر النبي ﷺ - يرقق بعضها بعضاً^(١)، أي: أنّ الفتنة تأتي ويقول المؤمن: هذه مهلكتي، فتأتي فتنة أشد منها، بحيث تبدو السابقة رقيقة وهيئة بالنسبة لما بعدها.

نحن في عصر فتن تذر الحلّيم حيران، هذه الفتن جعلتنا اليوم ننظر إلى هذه المآسي وقلوبنا تتقطع حشرات، وأعيننا تذرّف العبرات.

المسجد الأقصى يُعتدى عليه وتقوم فيه مذبحه تُراق فيها الدماء، وتنتهك فيها الحرمات، ويمنع المصلون المسلمون من أداء الصلوات داخل المسجد.

ومع هذا لا يتحرّك المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

(١) رواه مسلم في الإمامة (١٨٤٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

اليهود يعملون لهدم المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث
المسجدين العظيمين، يعملون لهدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه،
فأين المسلمون؟ وأين العرب؟

إنهم مشغولون بأنفسهم، بأسهم بينهم شديد!

لم أعجب إذا كان هناك من يريد أن يهدم مسجداً في الهند؛ ليبنى
على أنقاضه معبداً للإله عندهم. إذا كان المسجد الأقصى نفسه مهدداً،
فكيف لا تُهدد بقية مساجد المسلمين؟!

عشرات الآلاف من المسلمين في «سريلانكا» يغادرون بيوتهم
مهاجرين؛ لأنّ هناك من المتعصبين «التاميل» من يريدون أن تخلو
المنطقة لهم، ولا يبقى فيها مسلم.

هل احتجّ على هذا أحد؟

أرخص دم في الأرض هو الدم المسلم!

أهون المعابد هي المعابد المسلمة؟

ذاق بعضنا بأس بعض! لماذا؟

لأننا مشغولون بأنفسنا؛ بدل أن كنّا نتجه بمدافعنا وبنادقنا وأسلحتنا إلى
عدونا الحقيقي، وجّهناها بعضنا إلى بعض، أصبح البأس بيننا شديداً، الله
تعالى جعل من العقوبات القدرية للأمة أن يكون بأسها بينها: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ
عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ كما بعث على قوم لوط حجارة من سجيل
﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، أي: يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون وغيره
﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، يجعلكم شيعاً متفرقة،
يكيد بعضها لبعض، ويذوق بعضها بأس بعض، وهذا ما نعيش فيه.

صَلَّى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها، قالوا: يا رسول الله! صليت صلاة لم تكن تصليتها! قال: «أجل؛ إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته ألا يهلك أمتي بسنة - أي: بالمجاعات - فأعطانيها، وسألته ألا يسُلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يُذيق بعضهم بأس بعضٍ فمنعنيها»^(١).

وفي رواية: «وإنَّ ربِّي قال: يا مُحَمَّد، إنِّي إذا قضيت قضاءً فإنَّه لا يردُّ، وإنِّي أعطيتك لأمتك: ألا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين أقطارها، حتَّى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»^(٢)، هكذا تُسلِّط الأُمَّة على أنفسها. وهذا ما نراه: أُمَّة يُسلِّط بعضها على بعض، الأسلحة التي ظنَّها بعض النَّاس أنَّها رصيْد للأُمَّة أصبحت موجَّهة إلى صدور بعض أبنائها.

عدم معاونة الظالم:

الحقيقة الأولى: لن أكون عونًا لظالم. قال لي واحد من النَّاس: لقد خطبتَ خطبة منذ شهرين، وتحيزتَ فيها للخليج ضد العراق.

قلت: معاذ الله، ما كنت متحيزًا ولن أكون متحيزًا. أنا لا أعرف خليجًا ولا عراقًا، إنَّما أعرف ظالمًا ومظلومًا، أعرف معتديًا ومعتدى عليه. أنا ضد الظالم أيًّا كان هذا الظالم، وأنا مع المظلوم أيًّا كان هذا المظلوم. علَّمني ذلك الإسلام، وعلَّمتني الحياة، اكتويت بنار الطغاة

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في قيام الليل (١٦٣٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٧). عن خباب بن الأرت.

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشرط الساعة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

والظالمين، ولذلك أقول ما قال كلیم الله موسى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

لن أكون يوماً ظالماً ولا عوناً لظالم؛ فإن أعوان الظلمة كلاب النار، لا ينبغي للمسلم أن يظلم، ولا ينبغي له أن يكون سوطاً في يد ظالم، أو أداة لخدمة ظالم.

حملة الإسلام على الظلم والظالمين:

إن الله حرّم الظلم على نفسه وحرّمه على عباده، وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١).

إن الله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْضَحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥، يوسف: ٢٣]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

ليس هناك دين كالإسلام حمل على الظالم والظالمين، كما حمل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته». هكذا قال النبي ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(٢).

الظلم مرتعه وخيم:

بعض المعاصي تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك الظلم والبغي؛ فإن البغي مرتعه وخيم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(١) رواه مسلم في البرّ والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر الغفاري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.



الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نقف مع الظالم يوماً.
 شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إنَّ الله يبقي الدولة العادلة وإن كانت
 كافرة، ويزيل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة^(١)!
 فالعدل إن دام عمّر، والظلم إن دام دمّر.

الظلم سبب خراب البيوت العامرة، وسبب سقوط الدول الشامخة،
 اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]،
 واقرأوا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ
 مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ
 طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ
 رَبَّكَ لِبِالْمُرْسَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤]. يمهل ولا يهمل، لا يغفل ولا ينام.

الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نظلم، ولا ينبغي أن نعين ظالماً.
 يؤثم الإسلام الظالم ويؤثم من أعانه، أو سكت عليه، أو رضي
 عنه، أو مال أو ركن إليه.. مجرد الميل أو الركون؛ فالله تعالى يقول:
 ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ
 ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لا تعينوا الظالمين، بل لا تميلوا إليهم
 مجرد الميل.

الظلم مرتعه وخيم مهما يكن قليلاً، فكيف بظلم شعب بأكمله. إنَّ
 القرآن الكريم يقرّر في قتل نفس واحدة: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ
 أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٦/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع
 الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

والنبي ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»^(١)،
ويقول: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن؛ لأكبَّهم
الله في النار»^(٢).

لا يجوز التهاون في عرضٍ يُهتك أو دم يُسفك أو مال يُنهب، بل
لا يجوز التهاون في ظلم حيوان أعجم، وإن كان كلبًا أو هرّة.
«عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي
أطعمتها ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش
الأرض»^(٣).

الظلم ينبغي أن يُقاوم، ولا ينبغي أن يُسكت عليه، والنبي ﷺ يقول:
«إذا رأيت أمّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودّع منهم»^(٤).
أمّة تفقد مبرر بقائها إذا لم تأخذ على يد الظالم ولم تمنعه من الظلم.
ويقول ﷺ: «إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك
أن يعمّمهم الله بعقاب من عنده»^(٥).

- (١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.
- (٢) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٨)، وقال: حديث غريب. وصحّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٢)، عن أبي سعيد وأبي هريرة.
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٤٨٢)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر. ومعنى «خشاش الأرض»: حشرات الأرض ونحوها.
- (٤) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبخاري (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبخاري بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البخاري رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.
- (٥) سبق تخريجه ص ٢١٠.

انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا:

الأخوة الإسلامية تفرض على كل مسلم أن ينصر أخاه، ظالمًا أو مظلومًا، هكذا قال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفأرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه - أو تمنعه - عن الظلم؛ فإن ذلك نصره»^(١)، نصرته على نفسه، نصرته على شيطانه، منعه من الوبال الذي ينزل عليه في الدنيا والآخرة.

كان أهل الجاهلية يقولون هذه الكلمة على معنى: انصر ابن قبيلتك سواء كان على الحق أم على الباطل، ولكن حينما قالها النبي ﷺ استغرب الصحابة أن ينطق بها النبي ﷺ، وأن يكون هذا هو المراد عند أهل الجاهلية!

لو أن المسلمين في أزمة الخليج نصروا الظالم بأن منعه من الظلم، ونصروا المظلوم بأن وقفوا إلى جانبه، ما تطورت الأزمة إلى ما تطورت إليه.

نحن ينبغي أن نقف ضد الظلم وضد الطغيان.

كنا ونحن طلاب نعيب على الاستعمار الذي يستنكر بعض الجرائم الفردية، ولكنه يسحق شعوبًا بكاملها، وكنا نتمثل بقول الشاعر:

قَتْلُ امْرِئٍ فِي غَابَةٍ جَرِيمَةٌ لَا تُغْتَفَرُ
وَسَخْقُ شَعْبٍ كَامِلٍ مَسْأَلَةٌ فِيهَا نَظْرٌ^(٢)!

(١) سبق تخريجه ص ٢١٠.

(٢) من شعر الأديب إسحاق، كما في رواد النهضة الحديثة لمارون عبود ص ١٩٥، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢م.

هكذا كُنَّا نعيب على الاستعمار، فإذا بنا نجد من العرب من يفعل فعل الاستعمار، ويسحق شعبًا بكامله، يسحق إرادته وكرامته، ويفرض عليه ما يريد.

يجب أن نقف ضدَّ الظلم والطغيان والاستبداد، أيًا كان مصدره.

هذه حقيقة لا لبس فيها.

الكويت وعمل الخير:

الحقيقة الثانية التي أريد أن أذكرها وأذكر بها هي: ليس معنى هذا أن أهل الكويت المَغزُويين المعتدى عليهم ملائكة مُقَرَّبون، أو أنبياء معصومون، أو أنهم من أولياء الله الصالحين، وليس لديهم معصية ارتكبت.. لا!

إنَّ أهل الكويت كغيرهم، فيهم الصالح والطالح، فيهم الطَّيِّب والخبيث، ولكن نشهد أن في الكويت - كما رأينا - تيارًا إسلاميًا قويًا عالي الصوت، يدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجمع الشباب على الإسلام، ويربي الشباب على الإسلام.

رأينا آلاف الشباب الذين يعملون في جبهات مُتعدِّدة في سبيل الخيرات، يناصرون فلسطين، ويجاهدون مع الأفغان، ويجمعون التبرعات للبلاد الإسلاميَّة، وللمنكوبين في الزلازل والمجاعات.

رأينا العمل الخيري هنا وهناك، رأينا جمعيات إسلاميَّة تعمل: الهيئة الخيرية الإسلاميَّة العالميَّة، لجنة مسلمي أفريقيا، بيت الزكاة، وغيرها.

الكويت كان فيها خير، وكان فيها عمل إسلامي، ولا زال مستمرًا.

مما يُذكر لأهل الكويت بالخير أنّهم حتّى اليوم يحاولون أن يستمر عملهم الخيري، وطلبت الجمعيات الخيرية الإسلاميّة من البنك الإسلامي للتنمية: أن يمنحهم سلفاً، حتّى يهيئ الله لهم أسباب العودة؛ ليعملوا في مشروعاتهم التي توقفت - بعد الغزو - في آسيا وأفريقيا، فكم من مستشفيات توقّفت، وكم من مدارس وكم من مراكز وكم... وكم...؟ لا زالت هذه الهيئات تعمل، ولا زالت الهيئة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة - التي ساهم فيها كثير منكم بجهدته وماله - تعمل، ولها مكتب هناك في رابطة العالم الإسلامي، ولا زال حسابها مفتوحاً، ويستطيع أي منكم أن يدفع لها من زكاته ومن غير زكاته.

هذا الخير يجب أن يُذكر لأهله.

فإذا كان هناك شرٌّ، فهناك خير وأظنّه أكثر منه، وأعلى صوتاً.

فلماذا نذكر الشرّ وننسى الخير؟

وهل دخل العراق الكويت ليقول لأهلها: توبوا إلى الله من المعاصي؟ هل دخل ليطهرهم من شرهم؟

ما فعل هذا قط.

مصيبة القوات الأجنبية:

هناك حقيقة ثالثة ينبغي أن نذكرها هنا، وهي ما يتشبث به الكثيرون، من وجود القوات الأجنبية على أرض الخليج.

وهذه لا شكّ مصيبة كلنا ننكرها، ولا نرحّب بوجودها ولا ببقائها، وقد أصدرتُ بياناً منذ الأيام الأولى - مع إخوة لي في مصر - نستنكر

فيها الأمرين جميعًا: العدوان على الكويت، ووجود القوات الأجنبية في أرض المسلمين.

ولكن من الإنصاف أن نقول: من الذي يتحمل وزر هذه القوات التي جددت احتلال المنطقة بعد أن كانت قد خرجت منها؟ من الذي أعطاها المبرر للعودة؟

الذي يتحمل وزر هذه القوات البغيضة من كان السبب في وجودها.

ينبغي أن نفرّق بين السبب والنتيجة، بين الفرع والأصل!

هذا فرع من أصل، فإذا أردنا أن نعالج الفرع فلا بدّ أن نعالج أصله، لا بدّ أن نعالج السبب، أي مرض يعالج لا بدّ أن يعرف سببه.

السبب ينبغي أن نعرفه، إنّه الغزو العراقي للكويت.

ولهذا نقول للنظام العراقي وللرئيس العراقي: لكيلا يكون لهذه القوات مبرر ولا حجّة لوجودها على أرض المسلمين، ينبغي أن تنسحب؛ لتسقط حجتهم، وفي هذه الحالة لن نرضى ببقائها.

وقد قلت هناك في رابطة العالم الإسلامي بأعلى صوتي: يوم ينسحب العراق فلا بدّ أن تنسحب هذه القوات في اليوم التالي، وإلا قاتلناها ودعونا الشعوب المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها إلى قتالها، وقمنا نحن العلماء بحمل السلاح في المقدمة لنقاتل هذه القوات.

فلا ينبغي أن نترك لها فرصة، أو ندع لها مبررًا، حتّى تبقى على أرض المسلمين.

مَنْ الْمُسْتَفِيدُ مِنَ الْحَرْبِ غَيْرِ إِسْرَائِيلَ وَالغَرْبِ؟

حقيقة رابعة: من المستفيد من الحرب إذا وقعت ومن الخاسر؟
الحرب إذا وقعت فسيقع فيها الدمار والخراب للمنطقة كلها،
ولا نريد أن تخرب هذه المنطقة، نحن أحرص ما نكون على الشعب
العراقي، والوطن العراقي، والجيش العراقي؛ لأننا نعتبره قوة ورصيداً
لأمة العرب والإسلام، لا نريد أن يذهب هذا كله سدى.

ومن هنا لا نريد الحرب؛ لأنها ستدمر هذا كله، لمصلحة مَنْ؟
لمصلحة الغرب، ولمصلحة أمريكا، ولمصلحة إسرائيل، إسرائيل هي
المستفيدة الأولى بلا ريب.

ومن هنا ينبغي أن نجنب المنطقة ويلات الحرب ما استطعنا.

فرصة السلام لا تُضَيِّعُ:

النَّبِيُّ ﷺ وهو الذي عاش مجاهدًا في سبيل الله ويتمنى ألا يتخلف
عن غزوة ويقول: «والذي نفسي بيده لو ددت أني أغزو في سبيل الله
فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»^(١)، ومع هذا كان يكره الحرب،
وإذا وجد فرصة للسلام لم يضيّعها، ولذلك صالح صلح الحديبية
على ما كان فيه من شروط، ظنّها بعض المسلمين إجحافًا، وسمّى الله
هذا الصلح فتحًا مبينًا، ونزلت فيه سورة «الفتح»: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وجاء فيها قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، قال ذلك في معرض الامتنان.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٦)، عن
أبي هريرة.

﴿ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ معقول هذا.

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ حَتَّى كَفَّ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ اعْتَبِرْهُ
مِنَّةً وَنِعْمَةً.

وفي غزوة الخندق التي أرادت قريش وغطفان ومن معهما أن يبيدوا المسلمين، وحاصروهم من كل الجهات، وجاؤوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وبلغت القلوب الحناجر، وظنَّ النَّاسُ بالله الظنون، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً: أراد الله أن ينهي هذه المعركة بجنود لم يرها المسلمون، وبريحٍ من عنده، أكفأت قدورهم وآنيتهم، وقلعت خيامهم، وعادوا مدحورين ولم يحققوا أملاً، يقول القرآن في ذلك: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

انظروا إلى هذه الكلمة: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾: الله لا يريد للنَّاس أن تُراق دماؤهم، إذا انتهت معركة بغير دماء فهي نعمة.

النَّبِيُّ ﷺ كان يكره مجرد كلمة «حرب»، يقول: «أحِبُّ الْأَسْمَاءَ إِلَى اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقَهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحَهَا حَرْبٌ وَمَرَةٌ»^(١)، الاسم نفسه لا يحبه، اسم مستقبح.

هكذا كان ﷺ، وليس كما يصوره الأفَّاكون من المبشَّرين والمستشرقين: أنه كان ميالاً لسفك الدماء، لا، ثمَّ لا.

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي.

سيدنا عمر رضي الله عنه حينما عُرض عليه غزو الروم، كان متردداً غاية التردد، ولما قيل له: إن النصر مضمون، وإنها كذا وإنها كذا، كان يقول لهم: «والله لمسلم واحد أحب إليّ من الروم وما حوت»^(١).

لا يريد أن يغامر بأرواح المسلمين.

هكذا شأن الإنسان الذي ينظر إلى أنه مسؤول عن رعيته، وأن كلَّ روح من الأرواح أمانة في يده.

نحن الخاسرون في هذه الحرب أيّما كان المنتصر:

الحرب ليست لعبة، وليست عبثاً، فكيف بحرب اليوم وأسلحة الدمار تفعل ما تفعل، وستقوم على أرضنا وليس على أرض الأمريكان ولا على أرض البريطان، هي على الأرض العربيّة الإسلاميّة، فنحن الخاسرون فيها أيّما كان المنتصر.

نحن لا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولذلك كلُّ من يحبُّ العرب والمسلمين، وكلُّ من يحبُّ العراق وشعب العراق وجيش العراق، عليه أن يضغط على المسؤولين في هذا البلد العربي المسلم لينسحب، ولا يدع الفرصة للحرب، وكلُّ شيء قابل لأن يُسوّى.

أمّا الذين يقفون مع الظلم والعدوان مؤيدين، فمعناه أنهم يغرونه بالاستمرار، ومعنى الاستمرار هو الدمار!

لا يمكن أن ينتصر العراق على العالم كلّهُ، لا يمكن، فمعنى هذا أنه سيدخل معركة تضيع فيها قواته ومعداته، ويخسر فيها شعبه، وتخسر المنطقة كلّها.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/٩٤، ٩٥).

نحن حراس على أيّ قطرة دم من إنسان مسلم أن تُسفك، ولا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولهذا ينبغي أن يسعى الساعون في كلّ مكان إلى إيقاف هذا الأمر، والضغط على من بيده مفتاح الحل، ومفتاح الحلّ في يد رجل واحد، هو الذي يستطيع أن ينهي هذا، هو الذي بدأ المعركة ويستطيع أن ينهيها، هو الذي أشعل النّار ويستطيع أن يطفئها.

ولهذا ندعوه باسم الله، نناشده باسم الله، وباسم الإسلام، وباسم الرّحم، وباسم الجوار، وكلّ المقدسات والقيم: أن يطفئ هذه النّار، التي نخشى أن تحرق الأخضر واليابس، وتحرق المنطقة كلّها. هذه هي الحقيقة الرابعة.

مسؤوليّة الحكّام لا الشعوب:

وحقيقة خامسة أيّها الإخوة، أريد أن أذكرها وأذكر بها:

أننا لا ينبغي أن نخلط بين الحكّام والشعوب، لا ينبغي أن نظلم الشعوب بظلم حكّامها، ليس كلُّ عراقي مسؤولاً عما يجري في العراق، وما اتخذه حاكم العراق، وليس كلُّ فلسطيني مسؤولاً عما اتخذه رئيس فلسطين، وليس كلُّ يمني مسؤولاً عما اتخذه رئيس اليمن، وليس كلُّ تونسي مسؤولاً عما اتخذه رئيس تونس.

لا؛ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧]، كلُّ إنسان مسؤول عن نفسه، من أيّد وأظهر تأييده يتحمل المسؤولية، وإلاّ فالحكّام هؤلاء مسؤولون عن أنفسهم، ولا ينبغي أن نحمل شعوبهم آثامهم، فكثير من الناس ليس لهم ذنب.

للأسف نرى الآن بعض البلاد الأوربية تعامل العراقيين في الخارج باعتبارهم خصوماً وأعداء، وكثير منهم فرّ من العراق مضطهداً مظلوماً

من سنوات. فإذا أُلغيت بعثته أو فُصل من دراسته أو فُصل من عمله، ضاقت الدنيا عليه بما رُحبت.

الحجّاج بن يوسف الثقفي وقد كان معروفاً بالظلم والطغيان، أخذ رجلاً من إحدى القبائل؛ لأنه بحث عن قريب له ارتكب جريمة فلم يجده؛ فأخذ ابن عمه، فلما وقف أمام الحجّاج قال له: ما قضيتك؟ قال: جنى جانٍ من عُرض العشيرة؛ فبحث عنه جنودك فلم يجده، فأخذت بسببه.

قال: أمّا سمعتَ قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد تُعدي الصحاح مباركُ الجُرب
ولربّ مأخوذٍ بذنبِ عشيرةٍ ونجا المُقارِفِ صاحبُ الذنبِ^(١)

إنّ الأجر قد يُعدي السليمة، وإنّ البريء قد يؤخذ بذنب المسيء.

فقال له: إذا كان الشاعر قال ذلك، فإنّي سمعت الله تعالى قال غير ذلك! قال: ويحك، وماذا قال الله؟

قال: قال الله تعالى على لسان يوسف؛ وقد طلب منه إخوته أن يأخذ أحدهم مكان من وُجد في رحله صواع الملك: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ﴾ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿يُوسُفُ: ٧٩﴾.

هنالك بُهت الحجّاج وقال: صدق الله، وكذب الشاعر، خلُّوا سبيله^(٢).

هذا هو العدل، العدل أن يؤخذ كلُّ إنسان بجريته.

(١) البيتان من شعر ذؤيب بن كعب، كما في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي ص ٤٢٩، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، عمّان.

(٢) العقد الفريد (٣٠/١، ٣١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

ولا نريد لهذه الفتنة ولا لهذه الأزمة أن تترك مرارة بين الشعوب بعضها وبعض.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الفتن والأحقاد.

خلل في الوجود الإسلامي لغياب الخلافة:

وحقيقة سادسة: هي أن ما جرى اليوم نتيجة لسبب؛ نتيجة لخلل في الحياة الإسلامية ينبغي أن يُسد، نتيجة لفراغ ينبغي أن يُملا.

الذي حدث أن المسلمين كانت لهم رابطة تربطهم، كانت لهم وحدة تجمعهم، كانت لهم قيادة مركزية تجسّد وحدتهم، كان هناك شيء اسمه الخلافة.

الخلافة معناها: وحدة إسلامية لها قيادة مركزية.

ولكن هذه الرابطة فُصمت، هذه القلعة هُدمت، هذه المِظلة هُتكت، هذا الحصن حُطم، لم يعد للمسلمين شيء يجمعهم، لم يعد لهم قيادة تستطيع أن تستنفرهم في الأزمات وتقول لهم: انفروا في سبيل الله. لم يعد هناك شيء يمكن أن يحكم بينهم في النزاعات، ويرد إليه الأمور المتنازع فيها.

ولهذا ليس عندنا محكمة عدل إسلامية تفصل في النزاع، ليس عندنا قوّة ردع إسلامية تقاتل الباغي كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ليس عندنا هذا، فكانت النتيجة أن استنصرنا بغيرنا واستعنا بغيرنا! لا يمكن أن تكون للمسلمين حياة مستقلة يسودون فيها أنفسهم ما لم يراجعوا أنفسهم من جديد.



ذهبت الخلافة ولم يوجد بديل عنها، فما الذي يوحد المسلمين؟ ما الذي يجعلهم أمة كما قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟ ما الذي يجعلهم أمة كما أراد لهم الله، وليسوا أممًا كما أراد لهم الاستعمار؟

الأصل في الحياة الإسلامية أن يكون هناك دار واحدة، اسمها: دار الإسلام. توجد أقاليم وولايات داخل دار الإسلام، ولكن كلها دار واحدة، ونظام الخلافة يحكمها.

العالم الآن يتوحد إلا المسلمين، أوروبا تتوحد على ما كان منها من صراعات وخلافات وثورات خلال قرون، وهم في الطريق الآن إلى «الولايات المتحدة الأوربية»! ونحن للأسف نختلف ونفترق إلى حد أن يقاتل بعضنا بعضًا.

لا بد أن نتعلم من هذه الأزمة، ليسعى أهل الإصلاح وأهل الرأي في الأمة الإسلامية إلى أن يبحثوا من جديد: كيف تعود لهذه الأمة وحدتها؟ كيف تعود لها قيادتها الموحدة؟ وهذا ليس بالشيء الكبير، وليس بالشيء الغريب ولا بالعجيب.

المسلمون في العالم حوالي ألف مليون أو يزيدون، وهم داخل العالم الإسلامي نحو ثمانمائة مليون. الصين وحدها تزيد عن ألف ومائة مليون نسمة، الهند وحدها أكثر من تسعمائة مليون، أوروبا الآن تتوحد، فلماذا يُستبعد أن يكون للمسلمين وحدة؟

ليس الأمر ببعيد إذا صدقت النيات وصحت العزائم.

الرجوع إلى الله في الشدة:

والحقيقة الأخيرة أيها الإخوة، أن الناس في الأزمتين ينبغي أن يعودوا إلى الله، ينبغي أن يرجعوا إلى الله، أن يتذكروا أن ما نزل بالناس لا بد أن يكون وراءه معصية. مهما قلنا: إن أهل الكويت كذا وكذا، ليس معنى هذا أننا نبرئ أهل الكويت أو نبرئ أهل قطر أو نبرئ أهل الخليج، الكل مقصّر.

في الأزمتين ينبغي للإنسان أن يراجع سجلاته، أن يحاسب نفسه، أن يعرف ماذا بينه وبين الله؟ إذا لم يعرف الناس ربهم في وقت المحنة فمتى يعرفون ربهم؟

الناس ثلاثة:

هناك من يعرف الله في وقت الرخاء ليعرفه الله في وقت الشدة، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: «احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»^(١).

هذا صنف من الناس.

الصنف الثاني: ينسى الله في سعة الرخاء والعافية، حتى إذا دهمته الشدة استيقظ ضميره، وصحا قلبه، ورجع إلى ربه منيباً إليه، كالذين حدث الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الرؤم: ٣٣]، وكأهل السفينة الذين إذا ركبوا السفينة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرّجه: حديث صحيح. والطبراني (٢٢٣/١١)، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث الأربعون النووية، عن ابن عباس.

صحيح أن كثيراً منهم بعد أن تنتهي الأزمة يعود سيرته الأولى، ولكن على الأقل في ساعة الأزمة يقول: يا رب يا رب، يبسط يده إلى الله، ويقول ما قاله أبوه آدم وأمه حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهناك صنف ثالث: لا يتحرك قلبه لا في رخاء ولا في شدة، لا في عافية ولا في بلاء.

تمر عليه السرّاء والضراء، والنعماء والبأساء، وهو غافل عن الله، تنزل به المحن القاصمة فلا يرجع إلى ربه، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿[الأنعام: ٤٢ - ٤٥].

ينبغي أن نرجع إلى الله في وقت الأزمات، وأن نتوب إلى الله توبة جماعية، وكل إنسان أعرف بنفسه وبما بينه وبين ربه.

ينبغي أن نتطهر، ينبغي أن نخلص الدعاء في هذه المرحلة؛ ليجنب الله هذه الأمة المصائب المترتبة، أن يجنّبها الحرب وويلاتها.

ولكن الله لا يستجيب لنا إذا ظلت القلوب مظلمة بالمعصية، وظلت الأنفس بعيدة عن الله، تجري وراء الشهوات.

إنما يستجيب الله لنا إذا دعونا مخلصين له الدين، وهذه هي الفرصة

لنتطهر ونتوب ونرجع إلى الله تعالى، وننظر في أمورنا كلها؛ لنقومها بمقياس الإسلام، فما كان منها صوابًا حمدنا الله عليه، وسألناه الثبات عليه والمزيد منه، وما كان خطأً أو خطيئةً استغفرنا الله منه، وعملنا على أن يكون يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا.

ينبغي أن يفعل ذلك الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والغني والفقير.

ينبغي لمن منع الزكاة أن يؤدي الزكاة، لمن أهمل الصلاة أن يقيم الصلاة، لمن ظلم الضعفاء أن يعدل مع الضعفاء، لمن ينفق ماله في المعاصي أن يمسكه فلا ينفقه إلا في الحق.

ينبغي لكل إنسان عرف من نفسه انحرافًا عن صراط الله أن يرجع إلى الله، ويتوب إليه، ويقول: يا رب يا رب؛ فإن الله أهل لأن يجيب الدعاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

اللهم إنا نسألك أن تكشف الغمّة عن هذه الأمة، وأن تُخرجنا من هذه الفتنة منصورين بالحق. اللهم انصرنا بالحق وانصر الحق بنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له^(١)، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمّ اسرّ عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

* * *

(١) سبق تخريجه ص ٨٨.

مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كنتُ أودُّ أنْ أبدأ معكم في سلسلة نتحدث فيها عن الإسلام وتعاليمه، عن الإسلام عقيدة، والإسلام شريعة، والإسلام أخلاقاً، نتعلّم الإسلام ومبادئه وأحكامه، ونتواصى به.

ولكن مآسي المسلمين التي تُصاحبنا وتُماسينا، وتُراوحنا أنبأؤها وتُغاديننا، وتصكُّ أَسْمَاعَنَا كُلَّمَا اقترَبْنَا من أجهزة الإعلام؛ مرئية أو مسموعة أو مقروءة، مآسي المسلمين في كلِّ مكان تجعلنا لا نستطيع أن نتحدّث عن الأمور النظرية.

لا زلنا في مآسٍ بعد مآسٍ، فتن كما جاء في الحديث: «يرقق بعضها بعضاً»^(١)، أي: كلُّما جاءت فتنة غطت على التي قبلها، حتّى اعتبر ما قبلها شيئاً هيناً رقيقاً بالنسبة لما يحدث، وكأنّ الأمر كما يقول الشاعر أبو الطيّب المتنبي:

(١) سبق تخريجه صـ.

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حَتَّى
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ
فُؤادي في غِشاءٍ من نِبالٍ
تَكَسَّرت النَّصَالُ على النَّصَالِ^(١)

هذه هي أحوالنا، وهذه هي أحداثنا وماسينا.

منذ أسبوعين صلَّيت الجمعة في مدينة «زغرب» عاصمة «كرواتيا». هذه العاصمة هي المنفذ الوحيد لإخوتنا المسلمين في البوسنة والهرسك. صلينا الجمعة في مسجد المركز الإسلامي هناك، وهو المسجد الوحيد في هذه البلدة، بعد أن حوّل مسجدها الجامع - الذي رأيناه في وسط البلدة، وفي سُرة المدينة وفي ميدان من أعظم ميادينها - إلى متحف في عهد الشُّيوعيَّة، هدم «المارشال تيتو» مآذنه الأربع واستبقى المسجد متحفًا، ولا زال الميدان يسمى «ميدان الجامع».

المسلمون في تلك البلاد منذ قرن وربع قرن من الزمان يلاقون المصائب تلو المصائب، والمذابح إثر المذابح، منذ عهد المملكة اليوغسلافية القديمة، ومنذ عهد الشُّيوعيَّة.

وبعد زوال الشُّيوعيَّة اليوم أصبح هؤلاء لحمهم مباحًا، يُقَطَّع بالسكاكين ما بين الحين والحين، هكذا رخصت دماء المسلمين، وهانت حرمت المسلمين.

لقد زرنا الإخوة من البوسنة والهرسك في مدينة «زغرب»، أو زرنا المهاجرين منهم أو المهجَّرين أو الفارين بأنفسهم، واستمعنا إليهم، وحضرنا مؤتمرًا عالميًا لرعاية حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك^(٢)،

(١) أبو الطيب المتنبى وما له وما عليه ص ٦٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، وديوان المتنبى ص ٢٦٥.

(٢) انعقد هذا المؤتمر في مدينة زغرب عاصمة كرواتيا في ١٨ و١٩ سبتمبر سنة ١٩٩٢م.

حضره ممثلون من أكثر من ثلاثين دولة، وللأسف لم نر له أثرًا في الإعلام العالمي ولا الإسلامي ولا العربي؛ لأنّ الذي يسيطر على الإعلام في العالم - للأسف - هم اليهود وأشباه اليهود، والصليبيون، فلم يُسمع عن هذا المؤتمر إلا بعض تعليقات في إذاعة «لندن».

تنادى الغيورون من المسلمين بحضور هذا المؤتمر؛ ليؤدوا عدّة رسائل: الرسالة الأولى: إلى المسلمين في البوسنة والهرسك: أنّهم ليسوا وحدهم، وأنّ إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليسوا غافلين عنهم، ولا ناسين لقضيتهم، حتّى نشدّ أزرهم ونقويّ عضدهم، وننفخ في روحهم. هذه هي الرسالة الأولى.

والرسالة الثانية: إلى الغرب، إلى العالم الغربي الذي يتباهى ويتعالم بأنّه عالم حقوق الإنسان، عالم النور والحرية. أردنا أن نبلغه رسالة تقول: أين أنت أيّها العالم الغربي؟ أين أنت يا أوروبا ويا أمريكا وهؤلاء يذبحون ويقتلون، وتُفعل بهم الأفاعيل، في داخل أوروبا، قارة النور والعلم والحرية؟! أين العالم الغربي؟ أين هذا العالم الذي خفّ سريعًا أيام أزمة الكويت، وجاء تحالف من ثلاثين دولة لتحرير الكويت كما زعموا؟ هل كان تحريرًا للكويت حقًا؟ لماذا لا يحرّرون هؤلاء إذن؟!

للأسف إنّ مجلس الأمن قد أصدر قرارًا بحظر توريد الأسلحة إلى تلك المنطقة؛ لأنّها منطقة حرب أهلية! يا عجبًا كيف يسوي بين المعتدي والمعتدى عليه؟! كيف يسوي بين الجاني والضحية المجني عليها؟! ومعنى حظر توريد الأسلحة إلى المسلمين: تسليمهم للسكاكين لتقطع رقابهم وأعناقهم. هذا ما يصنعه العالم الغربي المتحضر.



أردنا أن نبليغ هؤلاء رسالة عسى أن يتنبهوا ويستيقظوا.

ورسالة ثالثة: إلى المسلمين في العالم، وللأسف لم تصل إليهم؛ لأن أجهزة الإعلام لم توصل هذه الرسالة كما ينبغي.

أردنا أن نسمع المسلمين في العالم ما يتعرض له إخواننا هناك من خطر. خطر عليهم في كل ناحية: خطر في دنياهم وفي دينهم، في أنفسهم وفي أعراضهم، في أطفالهم وفي نساءهم، في حاضرهم وفي مستقبلهم.

شعب يُباد إبادة كاملة، يصفى جسدياً، تُهدم مساجده (أكثر من سبعمائة مسجد هُدمت)، تُهدم المستشفيات على من فيها، تُهدم المدارس، تُحرق المزارع، تُدمر المصانع، تُهدم البيوت، أنهم لا يريدون أن يبقى من هذا الشعب شيء.

في الحرب العالمية هُدمت منازل وهدمت مستشفيات وهدمت مدارس، ولكنها هُدمت خطأ لا قصدًا، كان الذين يرمون القنابل يقصدون الأهداف العسكرية فتصيب أهدافاً مدنية.

أما هؤلاء فهم يقصدون ويعمدون عمدًا إلى تدمير البيوت والمدارس، والمساجد والمستشفيات، أنهم يريدون ألا يبقى لهذا الشعب شيء.

أكثر من مائة ألف قتلوا حتى الآن، يريدون أن ينفوا الرجال، ويستبقوا النساء، لا للخدمة كما كان يفعل فرعون قديمًا - لقد ذكر القرآن عن فرعون المتأله الجبار: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤] - ولكن يستبقوهن للاغتصاب وللمتعة. أصبحت أعراض المسلمين لعبة، أصبحت المرأة تتعرض للتهتك والانتهاك، ولا تجد من يحميها.

زيارة أحد المعسكرات:

ذهبنا إلى أحد المعسكرات - أنا وفضيلة الشيخ الغزالي وبعض الإخوة من الدعاة - واستمعنا إلى بعض القصص، ورأينا الدموع على الخدود، ورأينا المآسي. وقال لنا بعض الإخوة المرافقين: تريدون أن تروا بعض المعسكرات الأخرى؟ قلنا: ومن عنده قلب يستطيع أن يرى أكثر ممَّا رأى؟ لم نستطع أن نبقي طويلاً، مع أننا لا نسمع إلاً بواسطة مترجم، ولكن الدموع كانت تعبر.

معسكر فيه ألفان وخمسمائة، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ؛ لأنَّ الرجال إمَّا يُقتلون وإمَّا يُعتقلون في معسكرات الاعتقال، وكذا الكثير من الشابات.

هؤلاء الصرب الحاقدون المتوحشون يزعمون أنهم لا بدَّ أن يطهروا المنطقة من البوسنويين المسلمين، لا يريدون أن يكون هناك عرق آخر، إنَّها عمليَّة تطهير عنصري عرقي، هذه فكرة جاهليَّة، فكرة وحشية؛ فالله خلق النَّاس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، لا ليقتل بعضهم بعضًا.

ولماذا كان عرق أفضل من عرق؟

عصبية جاهلية صليبية:

وهي ليست مسألة عرقية فقط، ولكن مع هذه العصبية العرقية: عصبية جاهلية، عصبية صليبية، ولا أقول: عصبية دينية؛ فهؤلاء ليسوا من الدين في شيء. فرق بين الصليبية وبين التدين المسيحي، هؤلاء ليسوا مسيحيين، هم صليبيون، لا يعرفون من المسيحية إلاً شعار الصليب، هم حاقدون، وبهذه العنصرية الحاقدة يتعاملون مع المسلمين، يقتلون الرجل

أو المرأة، ويرسمون الصليب عليه، هذا ما يعرفونه من المسيحية. أين المسيحية التي تقول: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر؟! هؤلاء لا يعرفون إلا الدماء، مجازر وراء مجازر، ومذابح وراء مذابح، ويكتشف العالم يومًا بعد يوم مقابر فيها مئات وآلاف، ولا بد أن يأتي يوم يحاكم فيه هؤلاء باعتبارهم مجرمي حرب، لا بد أن يأتي يوم يحاكمون فيه على مرأى ومسمع من العالم.

لقد رأينا تقريرًا عجبًا نشر في مجلة «الدرع» العسكرية لقوات البوسنة: لقد قبضوا على بعض الصربيين من الجنود الذين كانوا يتولون التعذيب والحراسة في معسكرات الاعتقال، وحققوا معهم، واعترفوا اعترافات يشيب من هولها الولدان، وتقشعر من فظاعتها الأبدان. هؤلاء الجنود تبع لذلك الزعيم الصربي المتوحش الذي يعرف بـ «أركان»، وجنوده كانوا يدربون في إسرائيل ثم يعودون، وهم غلاة متوحشون قساة غلاظ.

إنهم يتولون حراسة المعتقلين والأسرى من المسلمين، ويكلفون بذبح عدد لا بد منه كل يوم. وطريقة القتل المفضلة عند الصربيين هي قطع الرقبة كما تُذبح الأغنام!

وحشية الجنود الصربيين:

ذكر أحدهم أنه كلّف مع فريق أن يعملوا جزارين للمسلمين، بيد كل منهم سكين - كسكين الجزار أو القصاب تمامًا - يذبحون بها المسلمين. قال: ذبحت في يومين ثمانين مسلمًا! كيف يذبحه؟ يضربه بمطرقة فوق رأسه أو في مؤخرة رأسه فيغمى عليه، ثم يأتي بالسكين فيذبح رقبتة ويحز رأسه، ويقدم هذه الرؤوس بعد ذلك لرؤسائه ليريهم

أنه عمل فأجاد وأحسن، فيكافأ على ذلك بمجموعة من فتيات المسلمين يغتصبهن.

قال أحدهم: اغتصبت ثلاث عشرة امرأة، أوّل من صادفني منهن عجوز في سن الستين فاغتصبتها! هؤلاء إذن لا يغتصبون للمتعة فقط، أنّهم يغتصبون لإذلال المسلمين والمسلمات. قال: واغتصبت أربع فتيات ما بين العاشرة والثانية عشرة - طفلات - وبعد ذلك مجموعة أخرى في العشرينيات من العمر.

وواحد منهم اعترف أنه ذبح ثمانين، واغتصب ثلاث عشرة امرأة. عندما كنّا في ذلك المخيم - في أطراف المدينة - رأينا العجائز من النساء، والشيوخ من الرجال، والأطفال، وقد جاؤوا لأنّ بعض إخواننا جاء معه بالحلوى يوزّعها عليهم، ولم نرَ كثيرًا من الفتيات، لماذا؟ لقد اختبأت الفتيات وراء الجدر حياءً وخجلًا، إنّ كثيرًا منهن حملن نتيجة الاغتصاب.

استفتاء في الحمل الذي جاء نتيجة الاغتصاب:

وعندما كنّا في المؤتمر قال الدكتور مصطفى سيريتش: لقد عرف الإخوان والأخوات هنا بمجيئك أنت والشيخ الغزالي، ولذلك يقدّمون إليكما استفتاء: ما العمل في هذا الحمل الذي جاء نتيجة الاغتصاب؟ ماذا تفعل هؤلاء الأخوات والبنات والفتيات العذارى والأبكار، اللاتي حملن اغتصابًا؟ ماذا يعملن في هذه الأرحام وهذه الأجنّة في بطونهنّ؟

وهو استفتاء ليس بجديد، سمعناه من قبل، عُرض علينا من إخواننا في إريتريا، حيث الجنود الصليبيون كانوا يفعلون ذلك بفتيات

المسلمين، وعرض علينا قبل ذلك من سجون إحدى الدول العربيّة، التي لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمّة^(١).

إنّها مصائب أيّها الإخوة تحلُّ بنا نحن المسلمين، الذين انفرط عقدنا، ولم نجد أحداً يدافع عنا.

كان لنا خلافة قبل ذلك، وكان الخليفة يستطيع أن يقول: يا مسلمون، هبُّوا لنجدة إخوانكم. بحسبه أن ينادي نداءً، فيهب المسلمون من أقطار الأرض للإغاثة والنجدة. ثمَّ هُدمت أو هُتكت الخلافة، هُتكت هذه المظلة التاريخيّة.

ليس عندنا سلطة دينيّة كما عند النصارى، عندهم «بابا» يقول: افعلوا و(سووا)، ليس عندنا هذه السلطة!

السياسة ضيّعت علماء الإسلام:

كان في وقت من الأوقات يوجد من يُسمّى «شيخ الإسلام» أكبر شيخ عند المسلمين، ولكن السياسة ضيّعت علماء الإسلام، فلم يعد هناك أحد يمكن أن يسمّى «شيخ الإسلام» الذي يسمع له الناس في كلِّ مكان.

ضعنا نحن المسلمين، واجترأ علينا من اجترأ، وأصبحت مآسينا في شمال الأرض وجنوبها.. ما انتهينا من مأساة فلسطين، المأساة القديمة الجديدة المتجددة، حتّى فوجئنا بفلسطين أخرى. صربيا الكبرى أشبه بإسرائيل الكبرى، وهؤلاء الصربيون أشبه باليهود، حذو النعل بالنعل

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٢/٦٧٤ - ٦٧٨)، فتوى: إجهاض الحمل الناشئ عن اغتصاب، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، تشابهت قلوبهم فتشابهت مواقفهم وتصرفاتهم.

إنَّها المآسي - أيها الإخوة المسلمون - تلاحقنا في كلِّ وقت من الأوقات.

يحتاجون إلى المعونة بالسلاح والمال:

إخواننا هناك الآن يحتاجون إلى المعونة، المعونة بالسلاح، والمعونة بالمال، والمال قبل كلِّ شيء، به يستطيعون أن يشتروا السلاح. صحيح أنَّهم سدُّوا عليهم الطريق بقرار الحظر، ولكن الذين يعرفون الدُّنيا يعلمون أنَّ السلاح يُشترى من السوق السوداء، ما دام معك مال تستطيع أن تشتري السلاح من هنا وهناك.

الجهاد بالمال هو المطلوب الآن ليشتروا به السلاح، أنَّهم في حاجة إلى السلاح ليدافعوا عن أنفسهم، والآن قد ارتفعت معنوياتهم وأصبحوا يصمدون، وأصبحوا يكبِّدون الصربيين خسائر في الأرواح، رغم عدم التكافؤ، فالصربيون ورثوا جيش يوغسلافيا الذي كان رابع جيش في أوروبا، ورثوا أسلحته الثقيلة: من الدبابات والطائرات، والصواريخ والمدرعات والمصفحات، أصبحت كلها بأيديهم، والمسلمون ليس معهم إلاَّ مدافع خفيفة أو بنادق، أنَّهم الآن في حاجة إلى الدعم حتَّى يستطيعوا أن يواجهوا هؤلاء.

حينما قلنا للإخوة هناك: إذا كان هناك أطفال أيتام، فإنَّ بلاد المسلمين مستعدة لاستضافتهم، هناك بلاد كثيرة: مصر، المملكة العربيَّة السعوديَّة، باكستان، أبدت استعدادًا لاستضافة الآلاف من هؤلاء.

ولكنهم قالوا: إنَّ سياستنا الآن أن يبقى المسلمون ولا يهاجروا، وأن يقاوموا ولو انهدمت عليهم بيوتهم، أو تحولت مساكنهم إلى مقابر، لا نريد أن تتكرر مأساة فلسطين، لقد فعلها «بيجن» وأمثاله وأقاموا المذابح في دير ياسين وغيرها؛ كي يملؤوا القلوب رعبًا، ويجعلوها تهجر منازلها، وتصبح المشكلة مشكلة لاجئين. قالوا: يكفي من هاجر من الأطفال إلى أوروبا، نريد أن نبقى في أماكننا، نصبر ونصابر، ونقاوم ونقاتل ولو فنيانا.

وهذا موقف يُحمد لهم، وينبغي أن يُعانوا عليه، وينبغي أن يؤيدوا فيه، وهناك محاولات لاسترداد الأطفال الذين ذهبوا إلى ألمانيا أو إيطاليا أو غيرها من البلاد الأوروبية، والاتجاه الآن أن يكونوا في «إستانبول» ليكونوا في بيئة قريبة من بيئتهم، بيئة أوروبية، المناخ قريب، والحياة قريبة ممَّا هم فيه. فإنَّهم لو جاؤوا إلى مثل ديارنا لكان الموقف مختلفًا تمامًا، وفي هذا صدمة نفسية لأولئك الأطفال، وهذا اتجاه طيب.

إنَّ في المسلمين خيرًا كثيرًا، وهذا الخير يجب أن نستثمره لصالح إخواننا هؤلاء، إنَّه امتحان للضمير الإسلامي، ونرجو أن ينجح المسلمون في هذا الامتحان.

إنَّهم الآن على أبواب محنة كبيرة، ففصل الشتاء - أيُّها الإخوة - هناك تنزل درجة الحرارة فيه إلى ثلاثين درجة تحت الصفر، أو أكثر، درجة التجمد، الثلوج ترتفع إلى ثلاثة أمتار أو أربعة أو خمسة، الطرقات تتوقف، لا تستطيع الشاحنات التي تحمل الغذاء أو الدواء أو الوقود أن تتحرك وتنتقل إليهم، ولذلك هم في حاجة إلى مخزون من الأغذية والأدوية والوقود يكفيهم لعدة أشهر؛ حتَّى يتجاوزوا فصل الشتاء، وإلَّا هلكوا بردًا، وهلكوا جوعًا.

حدّثنا الإخوة هناك أنّه لا بدّ من إمداد هؤلاء قبل أن يأتي فصل الشتاء، وإلا وقعوا في هلاك مبین.

وقال لنا الإخوة البوسنيون: إنّ الهيئات الفعالة هي هيئات الإغاثة العربيّة والإسلاميّة في تلك المناطق، ومعظم ما يأتي عن طريق الأمم المتحدة لا يصل إليهم.

فلا بدّ أن نمدّ اليد إليهم، لا بدّ أن يتحرك الضمير المسلم.
إنّ الصربيين يزعمون أنّهم يدافعون عن أوروبا، وأنّهم يقومون بخدمة وبمهمة جليلة تاريخية لأوروبا كلّها، ما هي هذه المهمة؟
إنّهم يدفعون عن أوروبا خطر الإسلام!

الإسلام رحمة الله للعالمين:

كذبوا والله، الإسلام ليس خطراً، الإسلام رحمة الله للعالمين. والله لن ينقذهم ممّا هم فيه إلاّ الإسلام. الإسلام ليس دماء تسفك، ولا أعرضاً تُهتك كما يفعلون، الإسلام حتّى في حروبه كان يحرمّ أن يُقتل الشيخ أو المرأة أو الطفل، أو يُهدم البناء، أو يقطع الشجر، أو يمثّل بجثة.

ولهذا قال المؤرخ الفرنسي المعروف «غوستاف لوبون»: «ما عرف التاريخ فاتحاً عدل ولا أرحم من العرب»^(١)، يعني: المسلمين.

هل هؤلاء الملايين المعدودة في البوسنة والهرسك يُخوّفون أوروبا؟!

(١) انظر: حضارة العرب لجوستاف لوبون ص ٦٠٥، نشر دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م. ونص عبارة جوستاف لوبون: فالحق أنّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحاً مثل دينهم.

هؤلاء يريدون أن يقيموا لهم دولة بين الكروات الكاثوليك، وبين الصرب الأرثوذكس، وهم ليسوا أصوليين كما يزعمون، أنهم أناس عاشوا نحو نصف قرن تحت وطأة الحكم الشيوعي المستبد، الذي جهّلهم بالإسلام، وفرّغهم من معاني الإسلام إلا قليلاً منهم، فلا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئاً، لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، أنهم بقايا إسلام، ما يبقيههم ويمسكهم على الإسلام هو «شهادة أن لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله».

ولذلك قال لي الوزير الذي زارنا هنا في قطر حينما زرته في فندق «شيراتون»: إنَّ ما أصابنا كان تأديباً من الله لنا؛ فقد تركنا الإسلام وجهلناه، فأراد الله تعالى أن يردنا إليه، وأن يلقنا درساً قاسياً؛ حتى نعود إلى ديننا الذي به عزتنا في الدنيا، وسعادتنا في الآخرة.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره:

هؤلاء بعدوا عن الإسلام طوال الحكم الشيوعي، الذي لم يعلمهم لا في مدرسة ولا في مسجد ولا في أي شيء. ولذلك كيف يقيم هؤلاء دولة أصولية، وهم بحاجة إلى أن يتعلموا «ألف باء» الإسلام؟! وهم فعلاً بدؤوا بهذا.

حينما علموا أنهم يُقتلون ويُذبحون من أجل الإسلام، بدؤوا يسألون عن هذا الإسلام، وبدؤوا يستجيبون، وبدؤوا يصلُّون، وبدأت بعض الفتيات تتغطى.

ذهب أحد الدعاة إلى أحد المخيمات هناك فألقى عليهم درساً، ثم قال لهم: في يوم الخميس القادم سأتي لألقي عليكم درساً آخر، ولكم

أتمنى لو كنتم صائمين؛ فإنَّ يوم الخميس ويوم الإثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى؛ فنحَبُّ أن ندعو الله معًا ونحن صيام.

يقول: وحينما عدت إليهم في الدرس التالي وجدت أكثر من أربعمائة من الرجال والنساء صائمين وصائمات.

فهذا من فضل الله، ربِّ ضارة نافعة، وربِّ منحة في طي محنة.

لقد قدّموا الكثير، ولكنَّ هذا لن يضيع إن شاء الله.

إنَّ الإسلام باقٍ وإن أراد أهل الكفر أنْ يمحوه من الأرض، ولكن هيهات: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، هل يستطيع أحد أن يطفىء الشمس بنفخة من فمه؟

لا، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

يا أيُّها الإخوة المؤمنون:

أنتم مدعوون لمعاونة إخوانكم في البوسنة والهرسك، وإخوانكم في الصومال، وإخوانكم في فلسطين، وإخوانكم في جامو وكشمير، وإخوانكم في كلِّ مكان، و«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه»، لا يتركه ولا يسلمه لأعدائه؛ بل يقف بجانبه، ولو كلفه ذلك نفسه وماله: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كُرب يوم القيامة»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٤٩.

﴿هَآأَنُتُمْ هَؤُلَاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمَّد: ٣٨].

نستطيع أن نعين هؤلاء من مال الزكاة؛ فهم من مصارف الزكاة بأكثر من وجه: هم فقراء ومساكين، وأبناء سبيل، وهم في سبيل الله.

ونستطيع أن نعينهم من الصدقات بعد الزكاة، ومن الوصايا التي تترك من أموال المتوفين، نستطيع أن نعينهم بالجهد بالمال.

إنَّ بعض الشباب يريد أن يذهب إلى هناك ليجاهد، ولكنهم حقيقة ليسوا في حاجة إلى الرجال - وإن كان يوجد هناك بعض الإخوة من العرب والمسلمين، وهم يقومون بتقوية الروح المعنوية لهؤلاء الإخوة من البوسنيين - ولكن حاجتهم إلى المال أكثر؛ فالجهد بالمال هو المطلوب الآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَحْرِيرِ نَفْسِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذه هي التجارة الربحية، ما ربحها؟ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وأخرى تُحِبُّونَهَا﴾، أي: أن الربح ليس في الآخرة فقط ولكن أيضًا في الدنيا: ﴿نَصَرْنَا مِنَ اللَّهِ وَفَنَحُّ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّف: ١٠ - ١٣].

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه من كلِّ ذنب، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلّا استجاب له^(١)، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ أيّد إخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك، وإخواننا المسلمين في فلسطين، وإخواننا المسلمين في جامو وكشمير، وإخواننا المسلمين في الفلبين، وإخواننا المسلمين في بورما، وإخواننا المسلمين في كلّ مكان، اللهمّ أيّدهم بملاً من جنك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يضام، وأمدهم بروح من لدنك، ولا تجعل لأعدائهم عليهم سبيلاً.

اللهمّ عليك بالصرييين المتوحشين، اللهمّ عليك باليهود الغادرين، اللهمّ عليك بأعداء الإسلام والمسلمين.

اللهمّ ردّ عنا كيدهم، وقلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وخذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أخذ عزيزٍ مقتدر.

اللهمّ حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

(١) سبق تخريجه ص ٨٨.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى،
ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونياتهم
على الجهاد في سبيلك.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الصحة الإسلامية بين المتشائمين والمتفائلين لا يأس والفجر قريب

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في بعض المراحل من تاريخ الأمم، تسود بعض موجات التشاؤم واليأس، حتّى تغلب على بعض النفوس، فتظن أنّ الليل مستمر، وأنّ الظلام لا ينتهي، وأنّ الفجر لن يطلع.

وهذا لا ينبغي أن يكون من شيم المؤمنين؛ فإنّ اليأس من لوازم الكفر عند المسلمين، والقنوط من مظاهر الضلال، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

في العام الماضي كنت في الجزائر، فجاءني بعض الشباب المسلم المتحمس وقال: هل تظن أن تقوم لهذه الأمة قائمة، وأن ترتفع للإسلام راية؟ وها هي الأمة يعتدي بعضها على بعض؟

كالأسماك يلتهم الكبير الصغير، وكالسباع في الغابة يفترس القوي الضعيف، يعتدي الجار على جاره، فلا تستطيع الأمة أن تحرك ساكنًا،

ولا تستطيع الأمة أن تحلّ مشكلاتها بنفسها، فليس عندها قوّة ردع تردع الباغي، وليس عندها محكمة عدل تفصل في الخلاف فيما بينها، وأصبح الأمر كما قال الشاعر من قبل:

فِي كُلِّ مَحْكَمَةٍ قَضِيَّةٌ مُسْلِمٍ يَشْكُو بَلِيَّتَهُ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ^(١)

ولهذا استعنا بغيرنا حتّى يحلّ لنا مشكلاتنا، وضرب بعضنا بعضاً، وقضى بعضنا على بعض، أيّاً كان الجاني والمجني عليه؛ فالضحية هي الأمة في مجموعها، والمضيّع هو اقتصاد الأمة ومقدراتها وأبنائها.

هكذا كان بعض الشباب ينظرون إلى هذا الأمر.

وفي أوائل هذا العام جاءني بعض الشباب هنا في الدوحة وقالوا: ألا ترى ما يحدث؟ هذا مؤتمر السلام كما يدعونه، إسرائيل تتعجرف وتتحكّم وتشتترط، والجميع يحنون لها الرؤوس، ويقبلون الشروط، تنهي الاجتماع عندما تريد، وتحضر عندما تريد، وتحدّد ما ترى، ولا يستطيع أحد أن يردّ لها قولاً، أو ينقض لها شرطاً، أليس هذا هو الوهن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]؟

أصرّ «شامير» على أن ينهي المؤتمر في «مدريد» ويعود ليقوم بشعائر السبت، وقال له بعض الحاضرين من وزراء الخارجية المسلمين: ها نحن يوم الجمعة ومع هذا لم نبال بيوم الجمعة! فلماذا إصرارك على الرجوع إلى إسرائيل يوم السبت؟!

هذا هو كل ما عندنا: أنّ اليهود يحترمون يوم السبت، ونحن لا نحترم يوم الجمعة!

(١) للشاعر خالد الجرنوسي، في قصيدة ألقاها بدار الشبان المسلمين، في يوم كشمير.

رأى البعض في هذا المؤتمر^(١) أنه إجهاضة للانتفاضة، وقضاء على الجهاد.. الجهاد الذي رُفض أن يُذكر مجرد عنوان أو لفظة في بيان مؤتمر القمة الإسلامي في السنغال.

وجاء آخرون - وأنا ذاهب إلى أمريكا وبريطانيا - من الشباب المصري المسلم يقولون لي: ألا ترى ما يحدث؟ ألا ترى هذه الكوارث؟ ألا ترى هذه الحوادث؟ الناس يموتون بالمئات من أجل أناس أخذوا رشوة، وسمحوا بعبارة لا تصلح للعبور، أليس هذا دليلاً على التسبب؟ ألا ترى هذا الفساد؟ ألا ترى الوزير الذي اشترى لنفسه، وباع لنفسه، وجمع مئات الملايين؟

وهكذا في كل مكان أرى المتشائمين واليائسين.

المتشائمون يرون الصورة من وجه واحد:

وحينما اختلف المجاهدون الأفغان بعضهم مع بعض، وقتل أحد القادة نتيجة فتنة، جاءني بعض الناس وقال: انظر إلى هذا الجهاد الأفغاني، الذي طالما تحدثتم عنه ودعوتم إلى تأييده، قتل بعضهم بعضاً، وفعلوا وفعلوا.

يريدون أن يشوِّهوا الصورة المضيئة المشرقة التي بيّضت وجه الإسلام، وشرفتم المسلمين.

وآخرون يقولون: انظر كيف انتهى الجهاد الإريري إلى أن يسلم الحكم إلى جبهة يسارية علمانية غير إسلامية، أهذا هو الجهاد الذي طالما دعوتم لأصحابه بالنصر؟ أهذه هي القضية؟

(١) أي: «مؤتمر السلام» في مدريد كما يزعمونه.

هكذا المتشائمون يرون الصورة من وجه واحد، لا يرون إلا الفساد، ولا يرون إلا الانحراف، ولا يرون إلا الظلام، وينظرون إلى الأمور بمنظار أسود قاتم، ولكن الواقع أن الصورة ليست كلها كذلك.

ولكن هل هذه الصورة السوداء هي الحقيقة كلها؟ وهل صحيح أن الأمة كلها غارقة في ظلام دامس، وأنها لا تسير من سيئ إلا إلى أسوأ، ولا من الأسوأ إلا إلى الأشد سوءاً؟

نحن نظلم أنفسنا، ونظلم أمتنا، ونظلم ديننا، إذ نظرنا إلى الأمور بهذه الطريقة، إذا شوهنا الصورة إلى هذا الحد، إذا سكتنا عن المحاسن، وجسمنا المساوي، إذا أغفلنا المزايا، وضخّمنا الأخطاء والعيوب، إذا نظرنا إلى جانب واحد فقط من الصورة، وأعرضنا عن الجانب الآخر.

نظلم أنفسنا إذا نظرنا إلى الأمر كذلك، ناسين أن مع العسر يسراً، وأن بعد الليل فجرًا، وأن بعد الظلام نورًا، وأن الأمور لا تدوم هكذا، وأن في الصورة جوانب ينبغي أن ننظر إليها، وينبغي أن نهتم بها، وينبغي أن نضعها أمام أعيننا.

لماذا لا ننظر إلى هذا الجهاد المقدّس في فلسطين، إلى أطفال الحجارة، إلى هذا الشباب الذي انطلق من المساجد يرفع شعار: «لا إله إلا الله، والله أكبر»، يتحمّل ما يتحمّل من كسر العظام، ومن دقّ الأجسام، ومن التعذيب في المعتقلات، ومن القتل، ومن، ومن، ومن؟!

لماذا لا ننظر إلى هؤلاء الصامدين؟

لماذا لا ننظر إلى الجهاد الأفغاني الذي ظلّ سنين طويلة يقاتل أعتى قوّة ملحدة في الأرض، وأعتى دولة ملحدة في التاريخ: دولة الاتحاد

السوفيتي؟ قاتلها بأسلحته البسيطة التي قام بها في أوّل الأمر «بعض بنادق وبعض مسدسات»، ثمّ ظلّ ينتزع أسلحته بعد ذلك من عدوه، حتّى اعترف النّاس به، وأيّده من أيّده، وظلّ هذه السنين صامدًا شامخًا راسخًا كالجبل الأشمّ، حتّى كان سببًا من الأسباب التي أدت إلى التغيير ثمّ الانهيار في الاتحاد السوفيتي، لماذا لا نذكر هذا أيّها الإخوة؟

لماذا لا نذكر الجزائر؟

الجزائر التي ظلّت مائة وثلاثين عامًا تحت الحكم الفرنسي، تحت الاستعمار الاستيطاني المتعصّب، الذي أراد أن يلغي هوية الجزائر، فحارب الإسلام دينًا، وحارب العربيّة لغة، وفرنس التعليم، وحوّل كثيرًا من المساجد إلى مستشفيات أو ثكنات أو كنائس أو نحو ذلك.

وظنّ النّاس الظنون بأنّ شعب الجزائر قد انتهى من الخريطة العربيّة والإسلاميّة. ولكن الله هيأ له أمثال: عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وإخوانهما من العلماء الصامدين الراسخين، الذين أبوا إلا أن يحفظوا على هذا الشعب شخصيّة الإسلاميّة وهويته التاريخيّة، وحفظوه في المدارس الإسلاميّة التي أنشؤوها:

شعبُ الجزائر مسلمٌ وإلى العروبة ينتسبُ
مَنْ قال: حادَ عنِ أصلِهِ أو قال ماتَ فقد كذبُ^(١)

وظلّت هذه التربية تعمل عملها حتّى كانت ثورة الجزائر، أو الجهاد الجزائري، أو حرب التحرير الجزائري، بين المسلمين والفرنسيين - كما

(١) وهو لعبد الحميد بن باديس، انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار الطالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط ١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

كان يقال في إذاعات العالم في ذلك الوقت - وقدّمت الجزائر مليوناً ونصف المليون من الشهداء، وتحزّرت، وخرج النَّاس في الشوارع يهتفون: يا محمد^(١) مبروك عليك الجزائر رجعت إليك صحيح أنّها لم ترجع كاملة إليه ﷺ - وإنما اختطفها كارل ماركس، على عادة ما يحدث في كثير من بلاد الإسلام: الإسلام يزرع والعلمانية تحصد - ولكن حينما أتحت الفرصة للشعب الجزائري ليعبر عن نفسه، لم يجد إلاّ الإسلام ملاذاً وملجأً، وكانت الصحوة الإسلاميّة الهائلة التي رأيتها بعيني وعاشتها تلك السنين التي مضت خلال عقد الثمانينيات.

لقد كنت أخطب الجمعة في بعض الأحيان، فيحضر مائة وخمسون ألفاً أو مائتا ألف من الفتيان والفتيات، يستمعون إلى الخطبة!

البنات اللاتي تربين على مناهج فرنسا قديماً، وكن لا يعرفن إلاّ العري، التزمن الحجاب طواعية واختياراً، وأصبحت تمرّ في الشوارع فلا تكاد تجد امرأة غير محجبة إلاّ القليل.

وكانت النتيجة ما رأيناه وقرأناه وسمعناه، من نجاح التيار الإسلامي في الجزائر.

وليس هذا بغريب، والمسلمون جرّبوا اليمين، وجرّبوا اليسار، جرّبوا الليبرالية، وجرّبوا الاشتراكيّة، فلم ينجنوا من وراء ذلك إلاّ الضياع والخراب على كلّ صعيد، فلماذا لا يجربون الإسلام؟

على أنّ الإسلام ليس مجرد تجربة، الإسلام - بحكم العقد الذي بيننا وبين الله - ليس لنا خيار في قبوله أو رفضه؛ بل لا بدّ أن نختاره، ووراء الخير كلّ الخير، إذا أحسنّا فهمه وأحسنّا تطبيقه.

(١) أي: رسول الله ﷺ.

وللأسف وجدنا الغرب كلّه بقضه وقضيضه، يخاف من انتصار التيار الإسلامي في الجزائر، ويخوّف المسلمين من وراء ذلك. لِمَ هذا كلّه؟

شعبٌ اختار لنفسه الطريق:

ألستم أنتم أيّها الغربيون تدعون إلى الديمقراطية، وتدعون الشعوب لتختار لنفسها؟!!

فإذا اختار الشعب الإسلام، كانت الديمقراطية شيئاً يُخاف ويجب أن يُمحَق ويُسحَق؟! ويدعون إلى تدخّل الجيش الجزائري وإلى.. وإلى.. لِمَ هذا كلّه؟

لماذا يُخاف الإسلام؟

إسرائيل تقيم دولة على أساس التوراة، فإذا جاء من يريدون أن يقيموا دولة على أساس القرآن، كان هذا هو الشيء المرفوض؟!!

الإسلام وحده هو الذي يحارب في العالم؟!!

لماذا لا يحترم الناس رغبة الشعب الجزائري؟

كلّ ما نريده من الذين نجحوا هناك: أن يلتزموا بالإسلام الصحيح، وأن يلتزموا بالحكمة، وأن يعرفوا موقعهم من العالم، وأن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يتهوروا ولا يرتكبوا حماقات.

أليست هذه أيّها الإخوة نقطة تُحسب للإسلام ولأمّته، بدل هذا التشاؤم واليأس الذي عمّ الكثيرين؟

لا ينبغي أن نياس؛ فالإسلام قوي، ويوم تتاح له الفرصة سيظهر ويرز إلى الوجود.



أما الخائفون من الإسلام فماذا نصنع لهم؟

كانوا من قبل يقولون: احذروا المتشددّين المسلمين، احذروا المتطرّفين. أتدرون ماذا يقولون اليوم؟

يقولون: احذروا المعتدلين المسلمين، احذروا الإسلام المعتدل، إنّ هؤلاء المعتدلين أشدّ خطراً، إنّ المتطرّفين لا يدومون طويلاً، إنّ عمر المتطرّف قصير، أمّا الذين يستمرون ويدومون، فهم المعتدلون الذين يدعون إلى التوازن والوسطية والاعتدال، اخشوا من هؤلاء!

لماذا لا يتركنا هؤلاء وشأننا؟ لماذا يريدون أن يقفوا لنا بالمرصاد؟ لماذا هم خائفون من أيّ حركة للإسلام إلى الأمام؟

حتى إن بعضهم حينما قال: حلّوا حلف الأطلنطي، فلم يعد له مكان بعد أن حلّ حلف وارسو، وأصبح هناك قطب واحد. فقالت رئيسة وزراء بريطانيا: إنّ بقاء الحلف ضروري لمواجهة «التطرف» في الشرق الأوسط! ولهذا انتقل مقرّ الحلف من شمال أوروبا إلى جنوبها في إيطاليا؛ ليكون بقرب هذه المنطقة، وما التطرف المقصود في الشرق الأوسط؟

إنّ الإسلام، والإسلام وحده.

الإسلام بخير:

إنّ الإسلام أيّها الإخوة بخير.

كنت في أمريكا وفي أوروبا، وحضرت مؤتمرات الشباب الإسلامي هناك. الناس في تلك الأيام يحتفلون - في إجازاتهم - بما يسمى «الكريسماس»، أي: أعياد الميلاد.

تُقضى الإجازات في شرب المسكرات، وتناول المخدرات، والعبّ من كؤوس اللذات. ولكن هذا الشباب انتهز الفرصة ليقوم معسكرات إسلامية.

هذه المعسكرات أو المخيمات تقوم على العبادة والثقافة والرياضة، على قيام الليل، وصلاة الفجر، وحلقات الدروس والمحاضرات، والنّدوات والأناشيد الإسلامية.

في قلب أمريكا آلاف من الشباب المسلم، رأيتهم هناك في أمريكا، ورأيتهم في بريطانيا، ورأيتهم في فرنسا، ورأيتهم في غيرها من البلاد. من كان يظن أن يذهب الشاب إلى تلك البلاد ليزداد تديناً، أو ليعرف الدين هناك مع إخوانه الشباب؟

يذهب الشباب - من الخليج ومن الشام ومن مصر ومن المغرب، ومن بلاد كثيرة - غير متدينين، لا يكاد يعرف الصلاة، أو لا يصلي أبداً، فيلتقي بإخوته من الشباب المسلم هناك، فيعود شاباً مسلماً ملتزماً، متحمساً غيوراً على دينه!

سبيل التغيير هو التعليم والتربية:

كانوا قديماً يرون أنّ إنضاج الشاب إنضاجاً كاملاً ليعود إلى بلده بعقل غير عقل المسلم، وقلب غير قلب المسلم: أن يبعث في بعثة إلى بلاد الغرب.

عندما احتلت إنجلترا مصر وغيرها من البلاد، كان سبيل التغيير الأوّل هو: التعليم والتربية، عن طريق المدارس التبشيرية والأجنبية في البلاد، ثمّ عن طريق الإشراف على التعليم الوطني نفسه - في مصر كان

هناك قسيس اسمه «دلوب»، هو الذي يضع المناهج والبرامج وفلسفة التعليم، ويشرف عليها في وزارة المعارف حينذاك - ثم من أرادوا أن يُنضجوه إلى النهاية بعثوا به إلى أوربا؛ ليعود (خواجة) تمامًا، اسمه اسم المسلمين، وعقله لا يعرف عن الإسلام إلا صورة شائهة.

تغير الوضع الآن والحمد لله، أليس هذا ممّا يبشّر بخير؟

حدّثني بعض الإخوة القادمين من العراق: أنّه بعد أن تراخت قبضة الحكومة القائمة، عاد النَّاس إلى الإسلام، إلى المساجد، بعد أن كانوا يخافون من الذهاب إلى المساجد، وبعد أن كانوا يخافون من قراءة كتاب إسلامي، أو يضبط مع أحدهم كتاب إسلامي.

العودة إلى الدين فطرة:

عاد النَّاس إلى الدين؛ لأنّه الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها؛ ولأنّه حقيقة هذه الأمة.

الحقيقة المعبرة عن هذه الأمة وعن شعوبها جميعًا هي: الإسلام.

ورأيت بعض الإخوة من اليمن الجنوبيّة، اليمن الجنوبيّة كانت تحكمها الماركسيّة والشُّيوعيّة، والذين كانوا يحكمونها كانوا أشدّ تعصُّبًا من أهل روسيا أمّ الاشتراكيّة، كانوا ماركسيين أكثر من ماركس نفسه، كانوا يعيبون على الشيوعيين الآخرين - ومنهم الروس - تهاونهم في الشُّيوعيّة، والآن بعد عهد الوحدة، وبعد أن أُتيح للنَّاس أن يتنفسوا الصعداء، عاد النَّاس إلى الإسلام، وأقبلوا زرافات ووحدانًا إلى هذا الدين.

الإسلام ينتصر في كلِّ مكان.

لماذا لا نذكر الإيجابيات؟

إذا كنّا نذكر دائماً السلبيّات، لماذا لا نذكر الإيجابيّات؟ لماذا لا نذكر الوجه المشرق؟ لماذا لا نذكر شباب الصحوة الذي نراه في كلّ مكان داخل بلاد الإسلام وخارجها؟ لماذا لا نذكر الفتيات المحجّبات، اللاتي لم يلزمهنّ أب ولا زوج بالحجاب، ولكن هنّ ألزمن أنفسهن بهذا الحجاب استجابة لأمر الله تعالى، لا شيء غير ذلك؟

لماذا لا نذكر هذا كلّهُ حتّى تمتلئ قلوبنا بالأمل؟

بعض النّاس يذكرون أحاديث الفتن وأشراط الساعة، وما ورد في آخر الزمان، أحاديث يفهمونها على غير وجهها، توحى بكلّ يأس وبكلّ قنوط، وهذا غير صحيح.

لا يمكن أن يذكر النبي ﷺ هذه الأحاديث ليملاً قلوب الأمّة باليأس.

من هذه الأحاديث: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(١)، و«لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً»^(٢)، و«لا يأتي عليكم زمان إلّا والذي بعده شرٌّ منه»^(٣).

وتُذكر هذه الأحاديث لتوحى للمسلم العادي أنّ الكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، وأنّه سيظلّ مدبراً حتّى تقوم الساعة على كعب بن كعب، أي: كافر بن كافر.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٧/٤)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، عن الزبير بن عدي.

هل هذه هي الحقيقة؟ وهل أراد النبي ﷺ بهذه الأحاديث أن يؤيسنا ويقنطننا؟ كيف وهو الذي يقول في أمر الدنيا: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة»، نخلة صغيرة، شتلة، «فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»^(١). لو أن إسرافيل ممسك بالصور لينفخ وينهي هذه الحياة، وفي يدك نخلة صغيرة، فإن استطعت ألا تنتهي الحياة حتى تغرسها فاغرسها، لماذا ولن تأكل منها، ولن يأكل منها أحد بعدك، ولن ينتفع بها مخلوق؟!؟

إنها إشارة إلى أن المسلم يظل عاملاً منتجاً معطاء، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولو لم ينتفع بهذا العمل أحد؛ لأن العمل في حد ذاته عبادة لله تعالى.

هذا في أمر الدنيا، فما بالكم في أمر الدين؟!؟

أمعقول أن يقول الإسلام للمسلم: اترك الدعوة إلى الله، اترك الأمر بالمعروف، اترك النهي عن المنكر، اترك العمل لإصلاح الفساد؛ لأننا في آخر زمن ولا فائدة؟

الآيات والأحاديث تبشّرنا:

مستحيل، مهما فسدت الأحوال، فقد جاءت الآيات والأحاديث تبشّرنا أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأنه إن ضلّ قوم فسيظلّ هناك مهتدون هادون: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩). عن أنس.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]. ليظهر الإسلام ويغلب على كل الأديان، وقد ظهر على اليهودية والنصرانية والمجوسية، ولكن بقيت البوذية والهندوسية والوثنيات المختلفة، ولا بد أن يظهر مرة أخرى على كل دين، وهذه آية ذكرت في القرآن ثلاث مرات.

﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا الْآنَ يَتِمُّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

بشائر القرآن كثيرة، وبشائر السنة أكثر:

«لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(١)، فعليك إذن أن تنضم إلى هذه القافلة، أن تنضم إلى هذه الطائفة المنصورة، القائمة على الحق، الثابتة عليه إلى يوم القيامة.

وقال ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»، ينتشر في المشرق والمغرب، وفي كل مكان ظهر فيه ليل أو نهار، أي: في العالم كله، وفي الكرة الأرضية كلها، «ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر»، بيت من حجر أو من شعر، أي: في الحضر، أو في البوادي، «إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر»^(٢)، هكذا بشرنا ﷺ بانتشار «الدعوة».

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، =

وبشّرنا كذلك باتساع «الدولة» فقال: «إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»^(١).

وقد حدث فيما سبق أن انتشرت الدولة الإسلامية من أطراف الصين إلى الأندلس، ولكنها لم تبلغ كلَّ المشارق وكلَّ المغارب، كما بشّرنا الحديث الشريف.

وحدّثنا عليه السلام أنه بعد الخلافة الراشدة سيكون هناك ملك عضوض، ثمَّ ملك جبيري، ثمَّ تكون خلافة على منهاج النبوة^(٢).

هذه بشرى من بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فُتحت القسطنطينية وبقي أن تُفتح رومية:

وسُئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أيُّ المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ - رومية كما يقول ياقوت في «معجم البلدان» هي «روما» عاصمة إيطاليا الآن، والقسطنطينية هي إستانبول - فأخرج صحيفة من صندوق عنده، وقال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال - وكان الصحابة قد علموا أو سمعوا أن كلتا المدينتين ستفتح، لكن السؤال: أيهما يفتح أولاً؟ - فقال: «مدينة هرقل تفتح أولاً»^(٣)، أي: «القسطنطينية».

= والحاكم في الفتن (٤/٤٣٠)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

(٢) سيأتي تخريجه ص ٢٨٨.

(٣) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد

(١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن

والملاحم (٤/٥٥٥)، وصحّحه ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن

عبد الله بن عمرو.

وهذا ما حدث بالفعل، فتح هذه المدينة ذلك الشاب العثماني الطموح «محمد بن مراد» المعروف في التاريخ باسم «محمد الفاتح»، الذي قرأ في كتب الحديث، في «مسند أحمد» و«مستدرك الحاكم»: «لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية، لنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(١). فتاقت نفسه - وكان ذا نفس تواقّة - أن يكون هذا الفضل قد أُدخِر له، وأن يكون جيشه هو الجيش الموعود، وأن يكون هو الأمير المنشود، وظل يهيئ الأسباب ويعدُّ الخطط لفتح القسطنطينية، ففتحها وهو ابن الثالثة والعشرين!

ليعرف ذلك شبابنا، ليعرفوا كيف تكون المطامح والأحلام.

فُتحت القسطنطينية بطريقة معروفة: المراكب أجراها السلطان مُحَمَّد الفاتح على القَطْران (الزفت)، ودخل القسطنطينية هناك من الجانب الآسيوي إلى الأوربي سنة (١٤٥٣م)، ومن زار منكم إستانبول، وزار منطقة الفاتح، وجامع مُحَمَّد الفاتح، وجد هذا الحديث مكتوبًا على الباب من الخارج: «لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش».

فُتحت القسطنطينية، وبقي أن تُفتح روميّة إذن، هكذا بشرنا رسول الله ﷺ.

نتنظر أن تُفتح روميّة، أي: إيطاليا، أي: الفاتيكان، أي: أن يعود الإسلام إلى أوربا مرّة أخرى. وما أحوج الغرب كله إلى الإسلام.

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.



الإسلام وحده هو سفينة الإنقاذ للعالم:

أيُّها الإخوة، إنَّ الغرب استطاع أن يصعد إلى القمر، ولكنَّه لم يُسعد نفسه على سطح الأرض.

إنَّ النَّاسَ هناك يشكون من القلق والاكتئاب، من الاضطرابات النَّفسية، من العُقد، من الحياة التي لا معنى لها ولا طعم، يشعرون فيها بالتفاهة والضياع، ولهذا كثيرًا ما يتخلصون من حياتهم بالانتحار.

وهذا سرُّ ما نراه ونقرؤه ونسمع عنه عن الخنافس والهييز وغير ذلك، من الذين ثاروا على مادية الحضارة وآيتها. الحضارة لم تشبع نهمهم الروحي، لم تملأ فراغهم العقائدي، أنَّهم يريدون شيئًا آخر، أنَّهم ثاروا على الحضارة ولكنَّهم لا يعرفون البديل، والبديل عندنا.

هل نقدِّم نحن البديل للإنسانية المعذَّبة؟ هل نحمل الراية؟ هل نحمل الرسالة إلى العالم؟

لا يوجد غيرنا يحمل طوق النجاة، لا يوجد غيرنا عنده سفينة الإنقاذ، الإسلام وحده هو سفينة الإنقاذ للعالم.

ولكن كيف نقدِّم الإسلام للعالم، إذا لم نُقِّمه في ديارنا بفهم صحيح للإسلام، وتطبيق صحيح له؟

إننا مسؤولون عن ضلال الأمم، سيسألنا الله تعالى عن المليارات من البشر الذين لم يعرفوا الإسلام إلى اليوم؛ لأننا لم نقدِّم لهم الإسلام كما ينبغي.

دَيْنٌ فِي أَعْنَاقِنَا أَنْ نَعْمَلَ لِلْإِسْلَامِ:

نحن مشغولون بالصراع بين بعضنا مع بعض، أو بهموم أنفسنا، أو بالحياة المادية التي طغت علينا، ولم نُشغل بديننا كما شُغل الآخرون بدينهم.

المسيحية جيّشت جيوشًا من المبشّرين «أكثر من أربعة ملايين»، ودفعت المليارات، وليس مليارًا واحدًا، كالذي حدّثتكم عنه في مؤتمر «كولورادو»، وهو مؤتمر من المؤتمرات جمعوا فيه في ليلة واحدة «ألف مليون دولار»! ولكن مليارات الدولارات تُدفع باستمرار مساعدة للكنائس.

فهل نقوم نحن بنصرة ديننا كما يقوم الآخرون بنصرة أديانهم؟
هذا ما يُطلب منّا.

دَيْنٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَفِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ: أَنْ نَعْمَلَ لِلْإِسْلَامِ، كَمَا نَعْمَلَ بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْ نَدْعُو إِلَى هَذَا الدِّينِ فِي الدَّخْلِ وَالخَارِجِ، وَأَلَّا نَخَافَ مِنَ الْإِسْلَامِ.

الإسلام مصدر الأمن:

كثير من النَّاسِ يَخَافُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ! الْإِسْلَامُ مَصْدَرُ الْأَمْنِ وَليْسَ مَصْدَرًا لِلخَوْفِ، لَا يَخَافُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا مُتَحَلِّلٌ، يَخَافُ أَنْ يَحْكُمَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِ بِسَدِّ بَابِ الشَّهَوَاتِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ لُوطٍ مِنْ قَبْلِ: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ [التَّمَلُّ: ٥٦].

لَا يَخَافُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا فَاجِرٌ أَوْ ظَالِمٌ أَوْ مُتَعَدِّ عَلَى حُرْمَاتِ النَّاسِ. الْإِسْلَامُ هُوَ مَصْدَرُ الْعَدْلِ، وَمَصْدَرُ الْأَمَانِ، وَمَصْدَرُ الْاسْتِقْرَارِ، وَمَصْدَرُ الطَّمَأْنِينَةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَصْنَعُ الْإِنْسَانَ الصَّالِحَ فِي مَجْتَمَعٍ صَالِحٍ.

إِذَا كُنَّا نَشْكُو مِنَ التَّسْيِبِ أَوْ الْفَسَادِ - فَسَادِ الضَّمَائِرِ وَفَسَادِ الْقُلُوبِ - فَلَنْ يَصْلِحُنَا إِلَّا أَنْ نَعُودَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَنَرْبِّيَ عَلَيْهِ الْأُمَّةَ، وَنَرْبِّيَ عَلَيْهِ



الأجيال من جديد، حتّى نُخرِّج الإنسان الَّذي يخاف الله، ويراقب الله تعالى، فالقوانين وحدها لا تُصلح المجتمعات.

لن يصلح القانونُ فينا رادعاً حتى نكون ذوي ضمائرَ تردعُ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلّها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه^(١)، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرّ.

اللهمّ انصر إخواننا المجاهدين في كلّ مكان، اللهمّ احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يُضام.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمّ آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) سبق تخريجه ص ٨٨.

خطبة عيد الفطر^(١)

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

التكبير زينة العيد:

هذا يوم التكبير، جاء في بعض الآثار: «زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير»^(٢)؛ فالله أكبر الله أكبر الله أكبر. الله أكبر ما صام صائماً وأفطر، الله أكبر ما هَلَّلَ مُهَلِّلاً وكَبَّرَ، الله أكبر ما أَحْسَنَ مُحْسِناً واستبشر، الله أكبر ما أذنب مذنب واستغفر، الله أكبر ما ذهب يومٌ وأدبر، الله أكبر ما أشرق صبحٌ وأسفر.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

التكبير شعار من شعائر الإسلام، به يدخل المسلم الصلاة: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»^(٣).

(١) أُلقيت بمدينة الدوحة عام ١٤١٦هـ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٣٧٣)، والصغير (٥٩٩)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٦٥٨): فيه نكارة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٠٠): فيه عمر بن راشد؛ ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. وقال العجلي: لا بأس به. عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٠٠٦)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن. وابن ماجه (٢٧٥)، ثلاثتهم في الطهارة، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٣٤٨/١)، عن علي بن أبي طالب.

بالتكبير ينتقل المسلم بين أركان الصلاة المختلفة: إذا ركع كَبَّر، وإذا سجد كَبَّر، وإذا قام بين السجدين كَبَّر.

التكبير به يستقبل المسلم مولوده فيؤذّن في أذنه اليمنى: الله أكبر، الله أكبر، التكبير به يدخل المسلم المعارك: الله أكبر الله أكبر، كما قال الرسول الكريم عندما غزا خيبر: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١).

التكبير أن تعلم أن الله أكبر من كل شيء، كل ما يخيل إليك أنه كبير، فالله أكبر منه، إن كان بعض الناس كبراء عندك؛ فالله أكبر منهم، إن كان المال كبيراً عندك فالله أكبر من المال، إن كان الجاه كبيراً فالله أكبر من الجاه والمنصب، إن كانت الدنيا كبيرة لديك فالله أكبر منها، يستحضر المسلم كبرياء الله تعالى وتعالیه وعظمته كلما نطق بهذا الشعار: الله أكبر.

وفي الأعياد يتكرر هذا الشعار: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

تميُّز أعياد الإسلام:

الأعياد واحة للإنسان في رحلة الحياة، لا يحتمل الإنسان أن تكون الحياة كلها جدًّا لا لهو فيه، وكلُّها تعبًا لا راحة فيه، لهذا عرف الناس الأعياد، وعرفت الأمم الأعياد لمناسبات شتى، ربطتها أحياناً بمعانٍ وذكريات قومية، وأحياناً بمعانٍ وذكريات وثنية، ولكن الإسلام ربط أعياده بمعانٍ ربّانية ومعانٍ إنسانية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٧١)، ومسلم في النكاح (١٣٦٥)، عن أنس.

كان للأنصار في الجاهليّة عيدان أو يومان يلعبون فيهما، فلما جاء الإسلام أبدلهم الله بهذين اليومين يومين آخرين: يوم الفطر ويوم الأضحى^(١).

وهذان اليومان ارتبطا بعبادتين عظيمتين:

١ - عيد الفطر ارتبط بفريضة الصيام؛ تلك العبادة العظيمة التي يتربى فيها المسلم على كمال العبودية لله، يُقوي فيها إرادته، يدع طعامه من أجل الله، وشرابه من أجل الله، وشهوته من أجل الله، وزوجته من أجل الله، ولذلك استحقَّ أن يُنسب هذا الصيام إلى الله: «الصيام لي وأنا أجزي به»^(٢).

الصيام تربية لإرادة المسلم، يتعلّم منه: كيف يدع الشيء وهو يشتهيّه، ويستطيع أن يتناوله لو أراد.

ربط الإسلام عيد الفطر بهذه الفريضة، فإذا أتمّها استحقَّ العيد. ولذلك يسمى العيد يوم «الجائزة»، كأنّه جائزة لمن صام وقام، جائزة من الله تعالى لعباده يوزع عليهم مغفرته ورحمته، ولهذا جاء في آية الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ - وربط عيد الأضحى بفريضة الحج؛ فالعيد يوم الحجّ الأكبر الذي يذهب الناس فيه من مزدلفة إلى رمي الجمار، ثم إلى الطواف بالكعبة، إلى الحلق، إلى النحر والذبح، إلى التحلل. هذا كلّ في يوم العيد.

(١) رواه أحمد (١٢٨٢٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١١٣٤)، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٥٦)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الصيام (١٨٩٤)، عن أبي هريرة.

المعنى الرباني في أعيادنا:

ربط الإسلام عيد الفطر بالصيام، وعيد الأضحى بالحج؛ لنعلم أنّ الأعياد عندنا هي أيام شكر لله تعالى، ليس العيد انطلاقة للشهوات كما عُرف في أديان آخر: أنّ يوم العيد يوم يسير الناس وراء شهواتهم، يعبّون منها حلالاً كانت أو حراماً.

لا، العيد في الإسلام يبدأ بالعبادة، بصلاة العيد، بالتكبير لله تعالى. صلاة العيد فرض كفاية على كلّ جماعة مسلمة، وهي سنة بالنسبة لكلّ مسلم ومسلمة، من فاتته الصلاة في الجماعة مع الإمام ينبغي أن يصلي وحده، أو يصلي مع أهل بيته، مع زوجته وأولاده؛ فالصلاة للرجال وللنساء جميعاً.

العيد مهرجان إسلامي للرجال والنساء والأطفال:

وقد حرص النبي ﷺ أن يكون يوم العيد يوم مهرجان إسلامي «عرس إسلامي» للأمة كلّها، ولذلك دعا الجميع إلى المشاركة فيه، دعا الرجال ودعا النساء، حتّى قالت أم عطية رضي الله عنها: إنّ رسول الله ﷺ كان يُخرج الأبقار والعواتق وذوات الخدور والحِيض في العيدين، فأما الحِيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين. قالت إحداهن: إن لم يكن لها جلاب؟ (ثوب خارجي تخرج به) قال: «فلتُعرها أختها من جلابها»^(١) تستعير من أختها، من جارتها، من صديقتها، من قريبة لها، وتذهب إلى صلاة العيد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحِيض (٣٢٤)، ومسلم في العيدين (٨٩٠)، كما رواه أحمد (٢٠٧٩٣)، والترمذي في العيدين (٥٣٩). والعواتق: جمع العاتق، وهي الجارية التي قاربت الإدراك.

حَتَّى الحَيْضِ أَمْرَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحْضُرْنَ وَيَشْهَدْنَ العِيدَ، يَعْتَزَلْنَ الصلاةَ، وَلَكِنْ يَشْهَدْنَ الخَيْرَ ودعوة المسلمين، وَإِنْ كُنَّ حَيْضًا، وَهَذِهِ سُنَّةٌ هَجَرَهَا المسلمون للأسف.

مِمَّا حَدَثَ فِي المَجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ: أَنَّهُمْ عَزَلُوا المَرْأَةَ عَنِ الدِّينِ، كَأَنَّ الدِّينَ لِلرِّجَالِ وَحَدَهُمْ وَلَيْسَ لِلنِّسَاءِ، وَعَزَلُوهَا عَنِ المَسَاجِدِ، فَلَا تَذْهَبُ إِلَى جُمُعَةٍ وَلَا إِلَى جَمَاعَةٍ، وَعَزَلُوهَا عَنِ العِيدِ، فَلَا تَشَارِكُ الرِّجَالُ فَرِحَةَ العِيدِ وَصَلَاةَ العِيدِ.

والحمد لله قد بدأنا مع الصحوة الإسلامية نحیی هذه السُنن.

هنا أرى قليلاً من الأخوات قد حضرن، ولكن ينبغي أن يحضر النساء، أي: أن يأتي كلُّ رجلٍ معه زوجته وبناته، ليحضرن هذا المهرجان الإسلامي.

المَرْأَةُ مَكْلَفَةٌ كَالرِّجَالِ، المَرْأَةُ نِصْفُ المَجْتَمَعِ، المَرْأَةُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالرِّجَالُ مِنَ المَرْأَةِ، يَكْمَلُهَا وَتَكْمَلُهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَشَارِكَ فِي هَذِهِ العِبَادَاتِ الجَمَاعِيَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ما معنى ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾؟

معناها: أَنَّ الرِّجَالَ مِنَ المَرْأَةِ، وَالمَرْأَةَ مِنَ الرِّجَالِ، كِلَاهُمَا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ صَاحِبِهِ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ صَاحِبُهُ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا خَصْمًا لِلاُخْرَى، وَلَا عَدُوًّا لَهُ.

المعنى الربَّاني في أعيادنا معنى واضح: معنى الشكر لله تعالى على

ما أنعم على الإنسان، ولذلك كان العيد يوم فرحة، كما جاء في الحديث الصحيح: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١).

والفرحة بالفطر لها معنيان:

١ - إما معناها: الفرحة اليوميّة، كلّما أفطر الإنسان عند الغروب وأكل وشرب، وقال: «ذهب الظمّ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»^(٢).

٢ - وهناك الفرحة في نهاية الشهر إذا أفطر، وجاء العيد، وانتهى من صيام شهره. هنالك يفرح الفرحة العامة. وفرحته لأمرين:

الأمر الأوّل: أنّ الله تعالى أباح له ما كان محرّمًا عليه، عادت له الحرية، يأكل ويشرب ويباشر زوجته، ما كان محرّمًا عليه خلال نهارات رمضان أصبح مباحًا له اليوم، فهو يحمد الله على هذه الحرية، على هذه النعمة.

الأمر الثاني: وهناك معنى آخر هو: الفرحة بتوفيق الله تعالى له، حيث صام الشهر إيمانًا واحتسابًا، وقام ليليه إيمانًا واحتسابًا، وهذه فرحة أعظم؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.
(٢) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٥)، والدارقطني (٢٢٧٩)، وحسن إسناده، والحاكم (٤٢٢/١)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، أربعتهم في الصوم، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤١)، عن ابن عمر.

ويُدَّخر له فرحة أعظم حينما يلقي ربّه «وإذا لقي ربّه فرح بصومه»^(١).
هذا هو المعنى الربّاني في أعياد المسلمين.

المعنى الإنساني في العيد:

تمتاز أعياد المسلمين عن أعياد الآخرين بهذا المعنى الربّاني العميق، وتمتاز أعياد المسلمين أيضًا بالمعنى الإنساني: إنّ الإسلام لم يُرد أن تكون فرحة العيد مقصورة على الموسرين والواجدين، على حين يحرم منها الفقراء والمساكين.

لا، لا يجوز لك أن تفرح بالعيد وحدك، تجد فيه ما لذّ وطاب من الطعام والشراب، تأكل ملء بطنك، وتضحك ملء سنك، وتلبس الثياب الجديدة، وبجوارك فقير أو مسكين لا يجد القوت، وربما يئن من الجوع أنين الملسوع.

هنا فرض الإسلام زكاة الفطر، فرضها رسول الله ﷺ؛ كما روى ابن عباس: «طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»^(٢)، إسعافًا لهؤلاء المساكين في هذا اليوم، وقال: «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم»^(٣)، لا تحوج المسكين والفقير إلى أن يطوف بك، يمدّ يده إليك ويسألك، بل أنت الذي تطوف عليه، وتبحث عنه، وتوصل إليه الزكاة في بيته.

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسن إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦).

(٣) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

بهذا تعمُّ الفرحة الجميع، يشترك فيها: القادرون والعاجزون،
الواجدون والمحرومون، الموسرون والمعسرون، الأغنياء والفقراء.
أمّا أن يكون العيد عيدًا للموسر الغني، وغمًّا وكرهًا على المعسر
الفقير، فهذا ما يرفضه الإسلام.

لهذا شرع في عيد الفطر «زكاة الفطر»، وشرع في عيد الأضحى
«الأضحية»، توسعة على النفس والأهل، وتوسعة أيضًا على الفقراء
والمساكين؛ حتّى يأكلوا اللحم في العيد، كما يأكله أهل اليسار.
هذه هي المعاني الإنسانية.

المعنى الاجتماعي في العيد:

وهناك المعاني الاجتماعيّة:

أن يتواصل النَّاس في العيد: يصل بعضهم بعضًا، يزور بعضهم
بعضًا، يهنئ بعضهم بعضًا، يلقي الرجل أخاه فيقول: تقبّل الله منّا ومنكم،
أي: تقبّل الصيام والقيام، منك ومني.

ينبغي أن يهنئ النَّاس بعضهم بعضًا، خصوصًا الجيران بين بعضهم
وبعض، والأقارب بين بعضهم وبعض، لا ينبغي أن يتدابروا النَّاس
ويتقاطعوا، الدُّنيا أهون من أن يتعادي عليها النَّاس. ولو جاز التدابر
والتقاطع والتهاجر في وقتٍ ما، لا يجوز أن تكون في هذه المواسم
الخيرة، في هذه الأعياد الربّانية الإنسانية؛ بل ينبغي للإنسان أن يكظم
غضبه، وينتصر على شهوته وغضبه، ويحلّ هذه العقدة من نفسه، ويصل
أقاربه الذين كان بينهم وبينه جفوة.

لا ينبغي أن تهجر أخاك، أخاك في الدين، فضلاً عن أن يكون أخاك لأبيك أو لأمك.

لا تهجر أرحامك وأقاربك؛ الله تعالى جعل هذه الرابطة «رابطة أبدية»: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ:

استغل أيها المسلم على أنانيتك، على فرديتك، على غضبك، وصل أقاربك، في الحديث: «ليس الواصل بالمكافئ». أي: ليس واصل الرحم هو الذي يكافئ إحساناً بإحسان، ومودة بمودة، وهدية بهدية، «ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»^(١)؛ لأنَّ الوصل إنما يكون بعد انقطاع.

وفي الحديث الصحيح: «تعرض الأعمال في كلِّ اثنين وخميس، فيغفر الله تعالى في ذلك اليوم لكلِّ امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلاَّ امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا». وفي رواية: «أنظروا هذين حتى يصطلحا» ثلاثاً^(٢).

المغفرة توزع عن يمين وشمال لأهل التوحيد، إلاَّ هؤلاء المتخاصمين المتقاطعين، فهم محرومون من رحمة الله تعالى.

مآسينا نحن المسلمين:

أيها الإخوة، لا يسعنا - ونحن نتحدث عن العيد، وفرحة العيد - إلاَّ أن نتحدث عن مآسينا نحن المسلمين.

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٣٩)، عن أبي هريرة.

العيد يوم فرحة، ولكننا منذ زمن طويل لم تكتمل لنا الفرحة.
نريد أن نفرح من أعماق قلوبنا، ولكننا لا نجد لهذه الفرحة مكاناً؛
فمآسي المسلمين حيثما شرّقنا أو غربّنا، ذهبنا يميناً أو شمالاً، تواجهنا
وتصرخ في وجوهنا.

مآسي المسلمين في فلسطين، في البوسنة والهرسك، في
الشيستان، في كشمير، في الفلبين، في السودان، في العراق، في
أفغانستان، في الصومال، في الجزائر، في بلادٍ شتّى، لا أستطيع أن
أعدّد مجرد تعديد مآسي المسلمين التي نواجهها، كلّما قرأنا أو سمعنا
نشرة الأخبار.

المسلمون تكالب عليهم الأعداء، تداعت عليهم أمم الكفر، كما
تتداعى الأكلة على قصعتها، طمع فينا الطامعون، طمع فينا من لا يدفع
عن نفسه، حتّى اليهود - أحرص الناس على حياة، وأبخل الناس بنفس
ومال - طمعوا فينا، وأقاموا دولتهم في أرضنا، وعلى أنقاض أهلنا أهل
فلسطين، هذا ما حدث.

واجبنا في زمن السامري:

نحن الآن في الزمن الإسرائيلي، في زمن السامري، في زمن عبادة
العجل الذهبي، الكل يهرول إلى إسرائيل، للصدّاقة مع إسرائيل، للعلاقة
مع إسرائيل، للتجارة مع إسرائيل، للسياحة مع إسرائيل، هناك أناس
يهيئون أنفسهم لأخذ الوكالات الإسرائيلية، يريدون أن يكسبوا ولو من
حرام، ولو على حساب إخوتنا الذين يعانون ما يعانون إلى اليوم، رغم
ما يُقال عن هذا السلام المزعوم.

أين السلام والقدس في أيدي اليهود، والأقصى أسير لدى اليهود، والمستوطنات في كلِّ يوم تتسع وتزيد مستوطنة بعد مستوطنة، واليهود يُعلنون ويتبجحون أنّ القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل، العاصمة الموحّدة، أي: التي لا تقبل القسمة؟

علينا نحن واجب ديني: ألا ننساق وراء ذلك مهما فرّط المفرطون، أن نقاطع البضائع الإسرائيلية، إذا ترخّص المترخّصون الذين يريدون الثراء بأي وسيلة، علينا نحن الشعوب أن نقاطع هذه البضائع.

الشعب المصري يذكر له بالخير، أنّه - رغم الاتفاقيات التي اتفقت عليها الدولة والحكومة - رفض أن يتعامل مع إسرائيل، رفض أن يذهب إلى «تل أبيب»، رفض أن يشتري البضائع الإسرائيلية.

علينا أن نفعل ذلك، لا يستطيع أحد أن يرغمنا على الشراء من بضائع إسرائيل، قد تغرينا إسرائيل في أوّل الأمر بإرخاص بضائعها لتعودنا عليها، ولكن على المسلم أن يفظم نفسه عن هذا الأمر.

غربة الإسلام في دياره:

إننا لا نستطيع أن نشعر بفرحة العيد من أعماقنا ونحن نواجه المآسي.

المتنبي قديماً جاءه العيد وهو مغترب فقال:
 عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ
 أمّا الأحبةُ فالبيداءُ دونهمو فليت دونك بيّداً دونها بيّداً^(١)

(١) انظر: ديوان المتنبي بشرح العكبري (٣٩/٢)، تصحيح مصطفى السقا وآخرين، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

كان كلُّ ما يعكّر صفو المتنبّي أنّه كان غريبًا عن بلده، وأنَّ الأُحبة بُعداء عنه، وأنّه بعيد عنهم، فكيف نشعر نحن بالعيد، والإسلام نفسه غريب في دياره، والدعاة إلى الإسلام غرباء في ديارهم؟!

كلُّ أُمَّة تتمكّن من أن تقيم حياتها كما تريد، إلاّ أُمَّة الإسلام.

لو أراد شعب أن يقيم حياته على أساس من الإسلام، فإنَّ العالم المتحضر - النّظام العالمي الجديد كما يسمّونه - يرفض هذا، الغرب يرفض هذا، يرفض أن يقوم بلد على أساس الإسلام، كما يفعل ذلك مع السودان.

ما ذنب السودان؟

السودان لم يعتدّ على أحد، ما فعل شيئًا، كلُّ ما في الأمر أنّه اتّهم بأنّه يؤوي الإرهابيين! ويقول السودانيون: تعالوا هنا لتروا البلد بأعينكم إذا كان فيها إرهابيون أو لا، فقد فتح بابه لكلّ من يريد ذلك من الخبراء، ولكن ذنب السودان الذي لا يُغفر: أنّه توجّه إلى الإسلام، وطبّق شريعة الإسلام، وعلم النّاس كيف يكونون مسلمين، وفتح المعسكرات التي يتعلّم النّاس فيها الجنديّة الحقيقية، الجنديّة الرّبّانية، يصومون ويقومون، ويتلون كتاب الله.

وأي بلد يفعل ذلك لا بدّ أن يُحارب، ولو تخلّى السودان عن توجّهه الإسلامي لقابله بالأحضان.

لماذا بلاد المسلمين وحدها التي تُحارب هذه الحرب؟

لماذا لا يُسمح لنا نحن المسلمين بأن نقيم إسلامنا إذا أردناه؟

كلُّ أُمَّة تستطيع أن تكيّف حياتها وفق ما تريده شعوبها إلاّ المسلمين، ليس لهم ذلك.

الشعب الجزائري اختار الذين يمثلون الإسلام في انتخاباته، ولكن العالم الغربي أبى على الشعب الجزائري هذا الاختيار، وفرض عليه الحكم العسكري، ولم تهدأ الثائرة، ولم تجف الدماء من يومها إلى اليوم. الإسلام يُحارب في كل مكان تحت أسماء شتى، أحياناً تحت اسم: التطرف، وأحياناً تحت اسم: العنف والإرهاب، وأحياناً تحت اسم: الأصولية، وأحياناً تحت عنوان: الإسلام السياسي، كلها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، والقصد الحقيقي: حرب الإسلام.

نحن ضد العنف، وضد الإرهاب، وضد سفك الدماء بغير حق، ولكن أفسحوا الطريق للإسلام، أفسحوا للدعاة الحقيقيين؛ حتى يعلموا الناس، ويجمعوا الناس على هذا الدين. هذا ما لا يريدون.

التحذير من الإسلام المعتدل:

كانوا قديماً يقولون: احذروا التطرف، واحذروا المتطرفين. أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ احذروا الإسلام المعتدل، احذروا المعتدلين، أنهم أشد خطراً من المتطرفين! إن الإسلام المتطرف قصير العمر، أمّا الإسلام المعتدل فهو الذي يبقى، ولهذا كان أشد خطراً.

ثم يعودون فيقولون: الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً، الإسلام يبدأ معتدلاً ثم يتطرف! فاحذروا هؤلاء الذين يسمّون: المعتدلين.

احترنا معهم، إذا اعتدلنا حذروا منّا، وإذا تطرّفنا حاربونا، ماذا نستطيع أن نفعل حتّى نرضي هؤلاء؟

الله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] لا يمكن أن يرضوا عنّا. ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

المآسي كثيرة والمبشرات أكثر:

يا أيّها الإخوة، المآسي كثيرة، ولكن المبشرات أكثر. ثقوا أنّ المستقبل لهذا الإسلام، أنّ الغد لهذا الدين، أنّ النصر قادم، هذا ما لا نشكُّ فيه.

عندنا الأدلة الكثيرة: الأدلة من القرآن، والأدلة من السنّة، والأدلة من التاريخ، والأدلة من الواقع، والأدلة من سنن الله في الكون، كلّها تدلُّ على أنّ هذا الإسلام منتصر، وأنّ الغد له.

القرآن يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * [التوبة: ٣٢، ٣٣]، ويقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

أمّا الأحاديث فالمبشرات فيها كثيرة، وإن كان كثير من الوعّاظ والمذكّرين ينسونها، ولا يذكرون إلا حديث: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(١)، وحديث: «لا يأتي

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٤.

عليكم زمان إلا والذي بعده أشد منه»^(١)، وينسون هذه المبشرات العظيمة، منها:

انتشار دعوة الإسلام في العالم:

١ - ما رواه تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»^(٢).

اتساع دولة الإسلام:

٢ - ورد في «صحيح مسلم»، أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»^(٣). يعني: الدين سينتشر ما انتشر الليل والنهار، والدولة ستوسع لتشمل المشارق والمغارب.

خلافة على منهاج النبوة:

٣ - جاء في الحديث الآخر: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة،

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٤. وانظر ما كتبه عن هذا الحديث والذي قبله في كتابي: المبشرات بانتصار الإسلام ص ١٠٧ - ١٣١، تحت عنوان: أضواء على أحاديث أسية فهمها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦٦. ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: انتشاره في الأرض كلها. والمدر: هو الحجر، والوبر: هو الشعر، أي: أن هذا الدين سيدخل الحواضر والبادي جميعها.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٦٧. ومعنى «زوى لي الأرض»، أي: قبضها وضمها، وجمعها له ﷺ؛ حتى يراها جملة واحدة.

فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة». ثم سكت^(١).

عودة الإسلام إلى أوروبا مرّة أخرى:

٤ - وجاء أن روميّة ستُفتح بعد فتح القسطنطينية؛ إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولاً: قسطنطينية، أو رومية؟ فقال: «مدينة هرقل تُفتح أولاً»^(٢). وهي القسطنطينية، وقد فُتحت منذ قرون، فتحها الشابُّ العثماني «محمد الفاتح»، بقي أن تُفتح «روميّة» وهي «روما» عاصمة إيطاليا.

ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوروبا مرّة أخرى، بعد أن أُخرج منها مرتين: مرّة أُخرج من الأندلس، ومرّة أُخرج من البلقان، وهذا ما نُوقن به.

سيعود الإسلام إلى أوروبا، والغرب أحوج ما يكون إلى هذا الدين، فهو يعيش عصر القلق والمعاناة والأمراض النفسية.

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرّجه: إسناده حسن. والبزار (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠) رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. وصحّحه الحافظ العراقي في كتابه: محجة القرب إلى محبة العرب (١٧٦/١)، نشر دار العاصمة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. قلتُ معلقاً على الحديث في كتابي: المبشّرات بانتصار الإسلام ص ٣٤: والملك العاض - وفي رواية: «العضوض» - هو الذي يصيب النَّاس فيه عسف وظلم؛ كأن له أنياباً تعضُّ.

أمّا ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا. (٢) سبق تخريجه ص ٢٦٧.

صحيح أنّهم استطاعوا أن يصلوا إلى القمر، ولكنهم لم يستطيعوا أن يسعدوا أنفسهم على الأرض. الذي يحقق لهم السعادة هو رسالة الإسلام.

الانتصار على اليهود:

٥ - وعندنا من المبشّرات: أننا سنتصر على اليهود: «لا تقوم الساعة حتّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتّى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله»^(١).

المبشّرات كثيرة من السُنّة.

مبشّرات من التاريخ ومن الواقع:

والمبشّرات كثيرة من التاريخ: حروب الردّة، والحروب الصليبية، وحروب التتار، انتصر الإسلام فيها.

وهذه الأُمَّة ثبت تاريخياً أنّها أصلب ما تكون عوداً، وأشدُّ ما تكون قوّة، حينما تحلُّ بساحتها الخطوب، وتشتدُّ عليها الكروب، وتتفاقم عليها المِحَن، هنا يظهر المكنون من طاقاتها، كما ظهر أيام صلاح الدين وأيام قُطز، في معركة حطين ومعركة عين جالوت.

وأما المبشّرات من الواقع فيكفي أن نقول: إنّ هذه الصحوة الإسلاميّة المعاصرة تدلُّ على أنّ الإسلام بخير.

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٢٢)، وأحمد (٩٣٩٨)، عن أبي هريرة.

جاءتني منذ سنتين مراسلة أمريكية تقول لي: ما الذي يحدث في بلاد الإسلام؟ في بلاد الغرب نجد النَّاس يتركون الدين ويبيعون الكنائس، وأنتم عندكم هذا الإقبال الكبير على الدين! أجل، هذا ما لفت أنظار كلِّ المراقبين في الغرب والشرق.

هذه قوَّة هذا الدين، هذا الدين ولا شكَّ قوي بذاته، فيه قوَّة ذاتية داخلية، انظروا هذه الصحوة التي جمعت الشباب على الإسلام، المساجد تمتلئ بالمصلِّين والمصلِّيات، المواسم في الأرض المقدسة تمتلئ بالمعتمرين والمعتمرات، ومعظم هؤلاء شباب.

صلَّى في يوم الجمعة ليلة السابع والعشرين من رمضان حوالي مليونين، وفي المسجد النبوي مئات الآلاف، وفي كلِّ بلاد الإسلام ملايين وعشرات الملايين قاموا تلك الليلة، هذا يدلُّ على أنَّ هذه الأُمَّة بخير.

كلُّ ما نريده من الأُمَّة أن تستفيد من دروسها، وهذا للأسف ما نفتقده.

هل تعلَّمتنا من مدرسة رمضان؟ المدرسة التي يفتحها الإسلام ثلاثين يوماً وليلة في كلِّ عام.

هل تعلَّمتنا من الصيام قوَّة الإرادة؟ هل تعلَّمتنا من القيام؟ هل تعلَّمتنا من تلاوة القرآن؟ هل تعلَّمتنا من الدروس التي سمعناها طوال هذا الشهر؟

ينبغي أن نتعلَّم حتَّى نغيِّر ما بأنفسنا.

هذه الملايين التي صامتت وقامت تستطيع أن تفعل الكثير لو

أنها اجتمعت على منهاج واضح، ووراء قيادة إسلامية، تستطيع أن تفعل ما فعل صلاح الدين من قبل، وما فعل قُطز، وما فعل المجاهدون الأوّلون.

الأمّة فيها خير: و«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتّى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على النّاس»^(١). ﴿وَمَمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

إنّ المبشّرات كثيرة.

مبشّرات من سنن الله:

ومن هذه المبشّرات: أن سنن الله معنا، إذا غيّرنا ما بأنفسنا غير الله ما بنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ومن ذلك سنة التداول، تداول الأيام بين الأمم والأقوام: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ولهذا قيل: الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، وقيل: دوام الحال من المحال.

وهذه الدورة علينا، ولكن الدورة القادمة لنا إن شاء الله.

كان القرن التاسع عشر قرن الرأسمالية، وكان القرن العشرون قرن الشيوعية، ولكن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن الإسلام إن شاء الله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان. وقد وروي الحديث بألفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة في الصحيحين أو أحدهما أو كتب السنة الأخرى: عن المغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وجابر، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وقرّة بن إياس. انظر: الجامع الصغير وزيادته الأحاديث (٧٢٨٧ - ٧٢٩٦).

هذا أملنا، وهذا رجاؤنا:

سينتصر الإسلام: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، ولكن الإسلام إنما ينتصر بأهله:

وعادة السيف أن يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ وليس يعمل إلا في يدي بطل^(١)

يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، فالنصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين.

حققوا إيمانكم، إيمانًا صادقًا يتجلى في أعمال، ويتجسد في أخلاق، ويتحدد في مواقف، والله تعالى لن يتخلى عنكم: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

يا أيها الإخوة، هذا هو العيد، عيد الفطر، الذي أكرمنا الله تعالى به. نسأل الله تعالى أن يعيده، ويعيد أمثاله على أمتنا، بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما يحب ويرضى.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم وفق المختلفين من هذه الأمة، اللهم وفق إخواننا في أفغانستان، وفق إخواننا في الصومال، وفق إخواننا المجاهدين في كل مكان، وافتح لهم فتحًا مبيّنًا، واهداهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

(١) من شعر الطغرائي، انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٤٤١/٢)، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.



﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وتقبَّل اللهُ مِنَّا ومنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



١٥

وقفات بعد رمضان

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ:

انقضى رمضان، ككلّ شيء في هذه الدُّنيا ينقضي ويزول، كلُّ جمعٍ إلى شتات، وكلُّ حيٍّ إلى ممات، وكلُّ شيء في هذه الدُّنيا إلى زوال، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٢٨].

نحن زائلون، والحياة كلّها زائلة، كلُّ ما في هذا الكون متغيّر وفانٍ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

الأزمة تمضي، والحياة كلّها تمضي، ونحن نمضي ونذهب، الحيّ اليوم سيموت غداً، من كان على ظهر الأرض اليوم سيصبح في بطنها غداً، هذه هي سُنّة الحياة، والباقي هو الباقيات الصالحات، هو الإيمان والعمل الصالحات، كلُّ شيء ذاهب إلا ما قدّمت من خيرٍ لوجه الله تعالى.

فرحة الصائمين بالعيد:

ومن هنا كان على المسلم بعد رمضان أن يقف وقفات يحاسب فيها نفسه، ويراجع فيها سجلّه، وينظر فيما قدّم، هل أدّى الواجب أو قصّر؟

أَمَّا مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ فَمَنْ حَقَّهُ أَنْ يَفْرَحَ، وَهَذَا مَعْنَى: «وَلِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»^(١).

الفرح بالفطر فرح يومي عندما يتناول طعامه الذي كان محرماً عليه، وشرابه الذي كان ممنوعاً منه، ويقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»^(٢)، ويقول: «اللهم لك صُمت، وعلى رزقك أفطرت»^(٣)، ويدعو بما شاء الله له من خيري الدنيا والآخرة.

فرحة يومية حُرِمَ منها أولئك الذين اسودَّت وجوههم وقلوبهم، ولم يعرفوا لرمضان ولا لربِّ رمضان حقاً.

ثم يأتي العيد، فيفرح الصائمون بانتهاء هذا الشهر على خير. إنَّها فرحة بتوفيق الله تعالى للطاعة، إنَّها الفرحة التي عبَّرَ عنها القرآن بقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فَرِحَ بِالْحَقِّ وَفَرِحَ بِالْبَاطِلِ:

الفرح فرحان: فرحٌ بالباطل، وفرحٌ بالحق.

الفرح بالحق: ما كان بفضل الله وبرحمته وتوفيقه لطاعته.

أَمَّا الْفَرِحَ الْآخِرَ فَكَالَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ حِينَمَا أَدْخَلَهُمُ النَّارَ: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ: يَفْرَحُونَ بِالْمَالِ الْحَرَامِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، يَفْرَحُونَ بِالْجَاهِ الزَّائِفِ الَّذِي

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٨.

(٣) رواه أبو داود في الصوم (٢٣٥٨) مرسلًا، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧١٠/٥): إسناده حسن، لكنّه مرسل. عن معاذ بن زهرة.

يُسِّرْ لَهُمْ، وَلَا يَقُومُونَ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا، يَفْرَحُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، يَفْرَحُونَ بِمَا أُتِيحَ لَهُمْ مِنْ شَهَوَاتِ حَرَامٍ، وَمُتَعِ حَرَامٍ، وَمَالِ حَرَامٍ، وَمَجْدِ حَرَامٍ، ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

بعض الفرح يكون مصيبة على صاحبه في الدنيا والآخرة، كالذين حَدَّثَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ تَنَزَّلَ بِهِمُ الْمَصَائِبُ، وَتَحَلُّ بِهَمِ الشَّدَائِدِ، فَلَا يَرِقُّ مِنْهُمْ قَلْبٌ، وَلَا تَدْمَعُ لَهُمْ عَيْنٌ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِعِبْرَةٍ، أَوْلَيْكَ ذَوُو الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ الصَّخْرِيَّةِ الْحَجْرِيَّةِ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [البقرة: ٧٤].

هؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ ﴿حِينَمَا نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِمُ الشَّدَّةُ، مَا قَالُوا: يَا رَبِّ، وَقَرَعُوا بَابَ السَّمَاءِ مُسْتَغِيثِينَ نَادِمِينَ؛ ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿كَلَّمَا أَحَدْتُوا مَعْصِيَةَ حَدَّثَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ؛ اسْتَدْرَاجًا مِنْ اللَّهِ لَهُمْ، وَكَيْدًا لَهُمْ، وَمَكْرًا بِهِمْ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٤].

هذا هو الاستدراج: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ». ثُمَّ قرأ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٠.

إذا رأيت بعض الظلمة الجبارين وقد أملي له وأرخي له في الحبل، وفاضت النعم من حوله، ورأيته منتشياً فرحان سكران بخمر النعمة والنعمة، فاعلم أنه مُستدرج، وأن شيئاً ينتظره من السماء، وأن كارثة ستنزل به، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]. الحمد لله على قطع دابر الظالمين؛ لأنهم نقمة على الناس كلهم، وعلى الكون كله. وقطع دابرهم نعمة يُحمد الله تعالى عليها، وتدلُّ على ربوبيته للعالمين.

هذا هو الفرح الذي يجلب على صاحبه شرُّ الدنيا وشرُّ الآخرة.

ليس كلُّ فرح محموداً، الفرح بالحق، بالطاعة، بالتوفيق، هذا هو الذي يُحمد، أمّا الفرح بمعنى الأشر والبطر فهذا مذموم، وهو الذي نُهي عنه قارون حينما قال له قوم موسى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، أي: لا تبطر بما عندك من نعم، ولا تكن من المزهوئين المغرورين؛ فإنَّ الله لا يحبُّ هذا النوع من النَّاس.

الحذر من العُجب بالطاعة:

المسلم يقف بعد رمضان - إذا كان ممن وفقه الله لحسن الصيام وحسن القيام، إذا كان ممن صامه إيماناً واحتساباً، وقامه إيماناً واحتساباً - وقفة الفرح بفضل الله، بتوفيق الله تعالى، ويسأل الله أن يتقبل منه، ولا يُعجب بنفسه.

إيَّاك والعُجب بما وفّقت إليه من طاعة، إيَّاك والغرور؛ فإنَّك لا تدري أقبلت منك الطاعة أم لا؟

ربما كان فيها خلل، ربما شابها شائبة من الرياء أو عدم الإخلاص أو العُجب، والعُجب مُهلك، ومُفسِد للطاعة، ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه: «سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تُعجبك»^(١)! سيئة تنكّد عليك وتندم عليها وتنكر نفسك من أجلها، خير من حسنة تُعجب بها وتغتتر.

أخذ هذا المعنى ابن عطاء الله وعبر عنه في حكمة فقال: «ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية فكانت سبباً في الوصول، معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عُجباً واستكباراً»^(٢).

الطاعة التي تُورثك العُجب والاستكبار وتقول بعدها: مَنْ مثلي؟ أنا الذي صُمت وقمت، أنا الذي صليت التراويح وصليت القيام، أنا الذي تصدّقت وأطعمت الفقراء... ما يدريك يا مسكين أنّ هذا قد قُبِل منك؟

وقد ذهب بعض الصالحين لزيارة شيخ لهم وهو مريض مرض الموت، فوجدوه يبكي، فقالوا له: لم تبكي وقد وفّقك الله للصالحات، كم صليت، وكم صُمت، وكم تصدّقت، وكم حججت، وكم اعتمرت!

فقال لهم: وما يدريني أنّ شيئاً من هذا قد قُبِل؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وما يدريني أنّي منهم؟

ولهذا عليك أن تفرح إذا وفّقت للطاعة ولا تُعجب بنفسك، كن خائفاً، كن على حذر من مكر الله، كما قال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه: «والله

(١) انظر: شرح نهج البلاغة (١٧٤/١٨)، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق ص ٢٢٤، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، نشر مكتبة دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى رجلي في الجنة»^(١)، فالمؤمن دائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، يرجو رحمته ويخشى عذابه، هو دائماً بين الرجاء والخوف، مهما قدّم من عمل.

خزي أهل المعصية في العيد:

هذه وقفة يقفها المسلم بعد رمضان: الفرحة لأهل الطاعة، أمّا أهل المعصية فلهم الخزي، والنّدامة كلّ النّدامة، الصائمون القائمون في العيد وجوههم مسفرة، ضاحكة مستبشرة، أمّا أولئك فوجوههم عليها غبرة، ترهقها قترّة، أولئك هم العصاة الفجرة، أولئك الذين لم يعرفوا لرمضان حقّه، ممن يتسمّون بأسماء المسلمين، ويعيشون بين ظهрани المسلمين. كم تأتيني رسائل وكم تأتيني هواتف من نساء يشكون من أزواج، أو من أبناء يشكون من آباء يفطرون في نهار رمضان، ويطلبون الخمر في نهار رمضان!

أليست هذه مصيبة: أن يوجد بين ظهرانينا أناس يفطرون في نهار رمضان وصبيان المسلمين يصومون؟!

كم من صبيان في سن السابعة والثامنة صاموا رمضان، وترى الرجل الطويل العريض يفطر رمضان، تنهاه زوجته وينهاه ابنه الصغير وهو لا يزدجر، ولا يعتبر، أليست هذه مصيبة؟

مصيبة أن يبقى بين ظهرانينا مثل هؤلاء، يجب أن يقاطعهم المجتمع، يجب أن يحاصرهم حصاراً أدبياً، يجب أن يشعر الناس أن هؤلاء يحملون «إيدزاً» مرعباً؛ إنه إيدز المعصية، أنهم يعدّون الأصحاء، أنهم

(١) ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين (١٤٦/٣)، نشر دار الفكر.

مصيبة، أنّهم يحملون أمراضًا وجراثيم أخطر من حملة «الإيدز» وحملة الأمراض الخبيثة.

هؤلاء ليس لهم رمضان، وليس لهم عيد، وليس العيد عيدهم، العيد عيد الصائمين القائمين.

الاستمرار في الطاعة بعد رمضان:

المسلم الذي وفقه الله يقف بعد رمضان فرحًا بما وفقه الله إليه من طاعة، ويقف وقفة أخرى: هي وقفة المتابعة والاستمرار والثبات على ما وفقه الله إليه، والنية في الماضي في هذا الطريق والاستفادة من رمضان. رمضان شحن لك «البطارية» فاستفد من هذه الشحنة في سيرك إلى الله.

رمضان أعطاك زادًا ينفعك طوال العام، فاستفد من هذا الزاد.

أمّا أن تنقطع بعد رمضان عن الله فهذا ما لا ينبغي.

أمّا أن يكون لك في رمضان حظّ من التلاوة، ثمّ بعد ذلك تهجر المصحف إلى رمضان القادم؛ فهذا ما لا يليق.

أمّا أن يكون لك حظّ من المسجد، ثمّ بعد ذلك تنقطع عنه إلى رمضان القادم فهذا لا يليق.

قد يخفّ نشاطك - وهذا طبيعي؛ فرمضان يزيد الإنسان فيه من نشاطه؛ فهو موسم الطاعات ومتجر الصالحين - ولكن الانقطاع بعد رمضان لا يجوز.

من كان يعبد رمضان فإنّ رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت.

الثبات والاستمرار على الطاعة من أخلاق المؤمنين، كان النبي ﷺ من أكثر ما يدعو به: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

ومن دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، أي: لا تزيغ بعد الهداية، ولا تنحرف بعد الاستقامة، وأن تظل مستقيماً في طريقك.

لقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

تنزل الملائكة على هؤلاء - الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا - عند الوفاة، عند الاحتضار، تبشّرهم بالجنة، وتبشّرهم بهذا الخير العميم.

جاء عن السلف في وصف هؤلاء: «ثبتوا على قولهم: (ربنا الله)، وأدّوا لها حقّها، واستمروا عليها إلى الموت، ولم يروغوا روغان الثعالب»^(٢). استقاموا على الطريق، ومضوا كالشعاع، لم ينحرفوا.

هؤلاء هم الذين يستحقّون البشارة بالجنة عند الموت: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

كان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته، أي: داوم عليه، وكان ﷺ يقول: «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٢١٠٧)، وقال مخرّجه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في القدر

(٢١٤٠)، وحسنه، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٤)، عن أنس.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٢٥)، من قول سيدنا عمر بن الخطاب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

المهم أن تستديم على العمل، وتستمر ولا تنقطع، لا تتحمس فترة من الزمن ثم تنقطع عن هذا العمل نهائيًا.

لا، اجعل لك حظًا دائمًا مع الله، مع القرآن، مع المسجد، مع عمل الخيرات، مع التواصل لإخوانك ورحمك.

ما كسبته في رمضان لا تضيعه، احرص على هذا الزاد العظيم:
تَزُوْدُ لِلَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
أَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَغِيرِ زَادٍ^(١)؟

وخصوصًا أن أحدًا لا يعطيك من زاده في الآخرة، كلُّ إنسان حريص على زاده، لا يفرط في شيء منه، لا لأب ولا لأم ولا لولد ولا لأخ؛ لأنَّ كَلَّا يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

ما كسبته في رمضان أيُّها المسلم استمر عليه، ولو بقدرٍ أقلّ، ولكن استمر على الخير، اثبت عليه.

كن ربانيًا ولا تكن رمضانياً:

الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون موسميًا فقط، يطيع الله في شهر معين ثم ينقطع تمامًا. كان السلف يقولون: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، كن ربانيًا ولا تكن رمضانياً. أي: لا تكن أهلاً للطاعة في رمضان وحده، كن أهلاً للطاعة في كلِّ الشهور، زد في رمضان، وانشط

(١) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين ص١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٢،

أكثر في رمضان، ولكن استمر على الطاعة بعد رمضان؛ فهذا دليل على أن الله تعالى قد قبل صيامك وقيامك.

فعلامه قبول الحسنه أن توفق لحسنه بعدها، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَّوْنَهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ومن علامة العقوبة على السيئة أن تعمل سيئة بعدها، وهي عقوبة معجلة في الدنيا قبل عقاب الآخرة، ولكن إذا رضي الله عنك وفقك لأن تتوب من السيئة، وأن تزيد الحسنه حسنة بعدها.

يا أيها الإخوة، لقد مضى رمضان إما شاهداً لنا، وإما شاهداً علينا، ونسأل الله أن يكون شاهداً لنا، وأن يكون شافعياً لنا، فقد ورد أن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعه الطعام والشهوة فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعه النوم بالليل فشفعني فيه». قال: «فيشفعان»^(١).

صيام ست من شوال:

ومما شرعه الإسلام لاستمرار الطاعة، بعد رمضان، ودوام الصلة بالله تعالى بعد رمضان، ما حثنا عليه النبي ﷺ من صيام ست من شوال، فقد قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(٢).

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف، والطبراني (٣٨/١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٨١): رجال الطبراني رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو.
(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٦٤)، وأحمد (٢٣٥٣٣)، عن أبي أيوب الأنصاري.

وجاء تفسير ذلك في حديث آخر، قال: «جعل الله الحسنه بعشر أمثالها، فشهْر بعشرة أشهر، وصيام سنّة أيام بعد الفطر تمام السنه»^(١).

فصيام رمضان بعشرة أشهر، وستّة أيام بشهرين، أي: صام السنه كلّها. وإذا استمر على ذلك كلّ سنه؛ فقد صام الدهر كلّه.

الإسلام يريد من الإنسان أن يكون له بعد الفرض نفل، كما أنك إذا صلّيت الفرض تصلي سنه: ركعتان قبل الصبح، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، كلّ هذه سنن، لماذا؟

لتجبر ما حدث من خلل وقصور في الفريضة، فهي رصيد احتياطي يكمل ما نقص من فرضك.

ومن ناحية أخرى تقابل ما بدر منك من سيئات، فرصيد السيئات كبير يحتاج إلى شيء يقابله.

ومن ناحية ثالثة لتزداد اقتراباً من الله: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(٢).

ولهذا شرع الله صيام هذه الست من شوال «من صام رمضان، ثمّ أتبعه سنّاً من شوال».

(١) رواه أحمد (٢٢٤١٢)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه (١٧١٥)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧٤)، كلاهما في الصيام، عن ثوبان.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.



بعض العلماء يقول: يتبعها في اليوم الثاني للعيد، والبعض قال: المهم أن تكون في شَوَّال، وليس من الضروري أن يصومها سنًا متتابعة، يمكن أن يفرِّقها.

كلُّ هذا ليستمر في الطاعة، ليظلَّ حبله بالله تعالى موصولاً، ولا ينقطع عن الله تعالى أبداً.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن: ثابت على الطاعة، مستمر في عمل الخير، لا يتوقَّف ولا يرتدُّ إلى الوراء، ولا ينحرف يميناً أو شمالاً؛ لأنَّه يسأل الله تعالى دائماً أن يهديه الصراط المستقيم، فهم قوله تعالى لرسوله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، فهو يجتهد دائماً أن يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

وَرَدَ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً، لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ^(١)، وَلَعَلَّهَا تَكُونُ هَذِهِ السَّاعَةَ.

اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ. اللَّهُمَّ خذْهُمْ وَمَنْ ناصِرَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. اللَّهُمَّ أدرِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ، وَسُقِ الْوَبَالَ إِلَيْهِمْ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أوطاننا من كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، ودعوات الهدَّامين، وانحلال المنحلِّين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وارضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا، واجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التُّقى، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ونياتنا على الجهاد في سبيلك.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللَّهُمَّ اجعل هذا العيد خيراً وبركة على أمة الإسلام، وأعد أمثاله عليها بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبُّ وترضى.

(١) سبق تخريجه ص ٨٨.



ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرّياتنا، ربّنا وتقبّل دعاء.

ربّنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهمّ آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





رحلة الحج

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نحن اليوم في الثامن من ذي الحجّة، يوم التروية، اليوم الذي يبدأ فيه الحُجّاج رحلتهم إلى منى، ثمّ إلى عرفات، ثمّ من عرفات إلى مزدلفة، ثمّ إلى منى لرمي جمرة العقبة، ثمّ إلى الكعبة للطواف ببيت الله الحرام طواف الإفاضة.

نحن في أيّام الحج، والحجّ هو الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي تمّم الله به الشعائر والفرائض العمليّة، التي جعلها أركان هذا الإسلام.

﴿حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فريضة على كلّ مسلم ومسلمة قدر على أداء الحجّ بدنيًا، وقدر على أداء الحجّ ماليًا، ملك الزاد والراحلة كما رُوِيَ في الحديث^(١).

(١) عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحجّ؟ قال: «الزاد والراحلة». رواه الترمذي في الحج (٨١٣)، وقال: حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم. وابن ماجه في المناسك (٢٨٩٦).

ومعنى «ملك الزاد والراحلة»: أن يملك نفقات الطريق إلى بيت الله، ونفقات الإقامة هناك، كلُّ على ما يليق بحاله.

ونحمد الله في هذا العصر أننا لا نشكو من قلة الحجاج، بل ربما شكونا من كثرة الحجاج وازدحام الموسم ممن يحجون الحجة السابعة والعاشر والعشرين والأربعين.

الحمد لله، البيت الحرام مزدحم بالطائفين، وطالبو الحج كلَّ عام كثيرون وكثيرون، وأكثرهم لا يخرج في القرعة، لا تُتاح له الفرصة. ولذلك ليس حديثنا عن هذه الفريضة ولا عن المقصّرين فيها، إنّما حديثنا عن أسرار هذا الحج، وعن الحكم التي توخّاها هذا الدين من وراء هذه الشعيرة العظيمة.

الحج ذكرى إبراهيم ﷺ :

إنَّ الحج تذكير للناس بأبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، الذي بنى البيت الحرام الذي يحج إليه الناس.

هذا البيت الذي فرض الله على كلِّ مسلم أن يتوجّه إليه في اليوم خمس مرّات إن اقتصر على الفرائض، يولّي وجهه شطر المسجد الحرام: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

هذا البيت بناه إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. أوّل بيت وُضع في الأرض وأسس لعبادة الله وحده.

الكعبة: البيت الحرام، فرض علينا أن نتوجّه إليه في صلواتنا، فهو قبلة المسلمين، وأن نطوف به في العمر مرّة واحدة في هذه الفريضة العظيمة. نطوف بالبيت ونؤدي المناسك حول البيت وبالقرب من البيت.

الحج سُحنة رُوحِيَّة هائلة:

هذا الحج جعله الله شعيرة متميزة، فيه سُحنة رُوحِيَّة وعاطفِيَّة ووجدانيَّة للإنسان المسلم، الَّذِي يذهب إلى تلك الأرض مُحرِمًا.

ما معنى «مُحرِمًا»؟

أي: ناويًا للحج إلى بيت الله، متجردًا - إن كان رجلًا - من ثيابه العاديَّة، الثياب الَّتِي فيها الصنعة وفيها التزويق، يلبس ثيابًا فطرية، ثيابًا طبيعيَّة، ليس فيها صنعة الخياط، ليس فيها تزويق النَّاس، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، بما يُكفَّنُ به المؤمنون من الثياب البيض.

بعض الفلاسفة دعا النَّاس أن يتخلَّوا أحيانًا عن الحياة المدنيَّة المصطنعة الملققة، وأن يعودوا ما بين الحين والحين إلى الطبيعة؛ ليعيشوا بين أحضانها، ويتجرَّدوا من القيود الَّتِي قيَّدوا بها أنفسهم.

هذه عودة إلى الطبيعة، إلى الفِطرة.

يُحرم الحاج ويذهب إلى تلك الأرض المقدسة، تهبُّ عليه الذكريات الإبراهيمية من بعيد، والذكريات المُحمَّديَّة من قريب.

إحياء هذه الشعائر:

إنَّ قوَّة الجماعة الإسلاميَّة ووحدها، وتجردها من زخارف الدُّنيا، ونداءاتها لله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنَّعمة لك والمُلْك، لا شريك لك»^(١) لها أثرها في نفسية المسلم، وفي تحريكه من داخله.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤)، كلاهما في الحجِّ، عن ابن عمر.

هذه المعاني تهز المسلم من أعماقه هزًّا، وتعيده كأنما هو مخلوق جديد، كأنما وُلد من جديد، فيعود أظهر قلبًا، وأصدق عزمًا على الطاعة، وأكثر ندمًا على المعصية، ولذلك سرعان ما نجد الإنسان بعد الحج قد تغيَّر وأصبح إنسانًا آخر، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «من حجَّ، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»^(١)، لقد وُلد ميلادًا جديدًا.

الحج توسيع لأفق المسلم:

الحج توسيع لأفق المسلم، المسلم الذي عاش في وطنه، أو في قريته لا يخرج منها، ولا يعرف غيرها، ولا يسمع ببلاد سواها. الحج يرفع مستواه، يصله بالعالم الإسلامي، يلقي مسلمين من أنحاء الأرض، من أجناس شتى، وأوطان شتى، ولغات شتى، وطبقات شتى، فيتسع أفقه، ويعرف روعة هذا الإسلام وعالميته، وسعة أفقه، وأنَّ له إخوانًا مسلمين في أنحاء العالم.

فهذه بعض المنافع التي يشهدها ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، منافع بعضها مادية، تجارية، وقد كان بعض الصحابة يتحرَّجون من التجارة في الموسم، ويخافون أن يكون هذا خدشًا في نيتهم وإخلاصهم في هذه العبادة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] لا حرج في أن تتجر في الموسم وتبتغي فضل الله ورزق الله، ما دام هدفك الأساسي هو أداء هذه الشعيرة.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.



الحج تدريب عملي على ممارسة مثل الإسلام:

والحج كذلك تدريب عملي على المبادئ العظيمة التي جاء بها الإسلام:

١ - تدريب على ركوب المشقة:

الإنسان يذهب إلى الحج، فيترك وطنه، ويهجر أهله وأحبّاءه، ويهاجر إلى الله تعالى، هجرة لا يبتغي بها إلا وجه الله تعالى. يعاني من السفر ووعثاء السفر، والسفر قطعة من العذاب أيًا كانت وسيلة السفر. سواءً سافر بالبرّ أم بالبحر أم بالجو، السفر قطعة من العذاب. الحج قديمًا كان بالدواب، ولكنّه لم يكن يحتاج إلى تأشيرات، ولا إجراءات كسفر اليوم.

ولم يشأ الله أن يجعل هذا الحج إلى مدينة من المدن الجميلة: لبنان أو سويسرا، وإنما جعله إلى واد غير ذي زرع. وشاء الله أن يربطه بالأشهر القمرية ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهذه أشهر تتعاور على فصول السنّة، فأحيانًا يأتي الحج في الصيف، وأحيانًا في الربيع، وأحيانًا في الخريف، وأحيانًا في الشتاء، مثل الصيام أيضًا؛ ليعتاد المسلم أداء شعائره في كلّ فصول العام.

شاء القدر أن يتحمّل المسلم ركوب المشقات، وأن ينزل في هذا الوادي الضيق، وادي «منى»، لينصب الخيام، ويعيش حياة أشبه بحياة الكشّافين والجوّالين، ينام على الحصى، على الحصباء، ما استطاع أن يفعل ذلك.

هذا هو الحج.

الحج رحلة مشقة يبذل فيها المسلم من نفسه ومن ماله.

العبادات الإسلامية بعضها عبادات بدنية كالصلاة والصيام، وبعضها

عبادات مائيّة كالزكاة، وبعضها يجمع بين البدن والمال مثل: الحج، فهو عبادة بدنيّة مائيّة، يتحمّل الإنسان فيها المشقّة: يبذل من بدنه، ويبذل من ماله. وينبغي للمسلم أن يتحرّى المال الحلال، أن يحج من مال طيب، فالحج المبرور هو الذي يكون بالمال الطيب، وبالنيّة الخالصة، وألا يكون فيه رفث ولا فسوق ولا جدال «والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة»^(١).

٢ - تدريب على المساواة:

في الحج يتدرب المسلم على تحمّل المكاره والمشقّات، ويتدرب المسلم على معنى المساواة.

الإسلام جاء وأعلن في النّاس أنّهم سواسية كأسنان المشط، وجاءت عبادات الإسلام تؤكّد هذا؛ مثل صلاة الجماعة، يقف كلُّ إنسان بجوار من عن يمينه وعن شماله، الخفير بجوار الوزير، والصغير بجوار الكبير، والغني بجوار الفقير.

ولكن في الصلاة يظلّ النّاس متمايزين بملابسهم وشاراتهم، هذا يلبس جلباباً، وهذا يلبس بدلة، وهذا يلبس جُبّة، وهذا يلبس ثوباً غالياً، وهذا يلبس ثوباً رخيصاً، وهذا يضع عمامة على رأسه، وهذا يضع (غتره)، ولكن في الحج تجرّد النّاس من هذه الشارات المميّزة كلّها، ولبسوا هذه الثياب التي هي أشبه بالأكفان.

بعض النّاس يظن أنّ الممنوع هو «المخيط» فقط، أي: الذي دخلته الخياطة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

لا، المقصود الصنعة، المقصود هو الثياب المفصّلة على قدر الجسد، ولهذا لم أسترح للثياب التي تصنع وفيها (الكباسيل)، ويلبس الإنسان شيئاً أشبهه (بالتنورة)، لا، ليس هذا هو المقصود.

المقصود أن يلبس الإنسان الثياب الطبيعية، وأن يتدرب على معنى المساواة، هذا هو ما يريده الإسلام.

يقف الجميع في عرصة عرفات، في ساحة عرفات، وقد تساووا أمام الله تعالى، كلهم سواسية، ولذلك قال النبي ﷺ في أواسط أيام التشريق: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١). الحج تدريب على المساواة الحقيقية.

٣ - تدريب على الوحدة:

وهو تدريب على الوحدة أيضاً، هذه أمة واحدة، آمنت برب واحد، واتّبع رسولاً واحداً، وأدّت شعائر واحدة، ولها هدف واحد، ولها منهج واحد.

وفي الحج تتجلى هذه الوحدة: وحدة المشاعر، ووحدة الشعائر، ووحدة الهدف، ووحدة السلوك، ووحدة العمل، فالكل يؤدّون أعمالاً واحدة، ووحدة القول والتهاتف: «ليك اللهم ليك».

هذه الوحدة تجسّد هذا المعنى الكبير: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال منخرّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

ينبغي أن تقف الأمة كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضها بعضاً، وخصوصاً إذا حلت بساحتها الشدائد، وأحاطت بها المحن والكربات، يجب أن تتجسّد وحدثها حينئذ.

الحج يجسّد هذه الوحدة، وهذا المعنى الكبير.

٤ - تجسيد لمعنى السلام:

يجسّد الحج كذلك معنى آخر، ويدرّب المسلمين عليه، إنّه معنى «السلام». يتهمون المسلمين بأنهم دعاة حرب، والمسلمون دعاة سلام، ورحلة الحج تدريب على معنى السلام، هي رحلة سلام إلى أرض السلام، في زمن السلام. أرض الحج أرض السلام: الأرض المقدسة، الكعبة، البيت الحرام، الذي من دخله كان آمناً، وقال فيه ابن الخطاب رضي الله عنه: «لو رأيت فيه قاتل أبي ما مسسته حتى يخرج منه»^(١).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

أرض محرّمة لا يُصَاد صيدها، ولا يُقَطع حشيشها، حتى صيد البرّ لا يُمس ولا يُذبح: ﴿وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

زمن الحج زمن السلام:

لأنّ معظم أعمال الحج في ذي القعدة وذي الحجة، وهما شهران محرّمان ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا الْقَلَيْدَ﴾ [المائدة: ٢]. جعل الله الأشهر الحُرْم هدنة إجبارية للمسلمين، يوقف فيها القتال وتُحقن فيها الدماء، ويُصان فيها السلام.

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٩٢٢٨).

هكذا يعلم الله تعالى المسلمين في هذه الرحلة العظيمة: معنى السلام، وأعمال السلام.

٥ - الحج مؤتمر عالمي:

والحج مؤتمر رباني للأمة الإسلامية، تجتمع فيه الأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها، مؤتمر لم يدع إليه ملك ولا أمير ولا رئيس، إنما دعا إليه رب العالمين تعالى، دعا الناس إلى هذا المؤتمر؛ ليلتقوا على كلمة سواء، على كلمة الإسلام، فينبغي للمسلمين أن يستفيدوا من هذا المؤتمر السنوي العظيم.

يلتقي كل عام نحو مليونين أو أكثر من المسلمين، فهل يستفيدون؟ هل يشهدون منافع لهم؟ هل يتدارسون مشكلاتهم؟ هل يتعاون أهل الرأي فيهم على ما يجب عمله؟ أم أن الناس يذهبون ويجيئون ولم يستفيدوا من هذا المؤتمر العظيم؟

إن أعداء الإسلام هم الذين يدركون خطر هذا المؤتمر، حتى إن أحدهم في مطالع هذا القرن - وهو من المبشرين العتاة - كتب تقريراً عن فشل التنصير في مصر وأسبابه قال فيه: سيظل الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي^(١)!

(١) ولذلك باءت محاولاتهم والحمد لله بالإخفاق والفشل، رغم المدارس التي أنشئوها، والمعاهد التي أسسوها، والأموال التي بذلوها، والكتب التي وزعوها، والمجلات التي نشرها بين المسلمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

هكذا قال هذا الرجل الذي يرصد الحياة الإسلامية: ما دام المصحف يُقرأ ويُرتل صباح مساء، وما دام حفاظه وقرآؤه بالملايين، وما دام الأزهر والعلماء موجودين يقولون كلمة الحق، ويعلمون الناس الدين، ويدعون إلى الله، وما دامت خطبة الجمعة الأسبوعية قائمة، يلتقي الناس عليها ويتعلمون دينهم، ويتذكرون ما نسوه، ويتنبهون لما غفلوا عنه، وما دام مؤتمر الحج السنوي يجمع المسلمين من أقاصي الأرض، يجمع شتاتهم، ويحيي مواتهم، ويذكّرهم بربهم ودينهم، ما دامت هذه الأربع قائمة فلن يستطيع التبشير أن ينجح في مهمته.

هذا ما ينبغي أن نستفيد منه نحن المسلمين من هذا المؤتمر العظيم، الذي يُعقد سنويًا، وما يستطيع أحد أن يمنعه، ولا يستطيع أحد أن يتدخل في عقد هذا المؤتمر الربّاني الإنساني العالمي العظيم.

يا أيها الإخوة، إنّ النبي ﷺ عرف قيمة هذا المؤتمر، وكان يُعلن فيه القرارات العظيمة المهمة.

في أوّل سنة حجّ فيها أبو بكر رضي الله عنه بالمسلمين، أعلن النبي ﷺ في ذلك الحج مبادئ مهمة: أعلن إنهاء العهد بينه وبين المشركين، وأعلن أنّه لا يحجّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان^(١).

وفي السنّة التالية حجّ النبي ﷺ بنفسه حجته الوحيدة، حجّة الوداع وحجّة البلاغ، فأعلن على الناس مبادئ الإسلام العالميّة الإنسانيّة، وقال: «إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»^(٢)، وأعلن بيانه العظيم على الناس قائلاً: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكر.

نحن علينا أن نستفيد من هذا الحجّ، علينا أن نستفيد من حجّنا نحن المسلمين، ونعلن على الدنيا كلّها أنّ هذه الأمة لا زالت أمة متمسكة بالإيمان برّبّها، بدينها، بقرآنها، بمحمّدِها، برسولها، ولن تتخلّى عن هذا الدين، وأنّها تقف صفاً واحداً أمام كلّ عدوان على مقدّساتها، وأنّها لن تفرّط في مسجدها الأقصى الذي ربطه القرآن بالمسجد الحرام في سورة معروفة، جعل هذا مبتدأ الإسراء، وجعل الآخر منتهى الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

لن تفرّط الأمة في المسجد الأقصى، كما لم تفرّط في المسجد الحرام. علينا أن نعلن هذا في هذا الموسم وفي كلّ موسم، حتّى يكون حجّنا مبروراً، وذنوبنا مغفوراً، وسعيينا مشكوراً، وعملنا مبروراً، إن شاء الله. اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ادعوا الله يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

العدوان الإسرائيلي الغاشم مُستمرُّ:

لا زال العدوان الإسرائيلي الغاشم قائماً متبجّجاً، لا يستحي من أحد، يتحدّى العرب كلّ العرب، ويتحدّى المسلمين كلّ المسلمين، ويتحدّى العالم كلّ العالم؛ لأنّه يعتزُّ بترسانته النوويّة التي يملكها، ولا يملك أحد في المنطقة شيئاً من ذلك، ويعتزُّ بأوليائه وحلفائه من الأمريكان، والذين يؤيّدونه في كلّ ما فعل، ويصدّقونه في كلّ ما قال، ويسندونه في كلّ عدوان يقوم به.

لا زال هذا العدوان الإسرائيلي على لبنان الشقيق قائماً، شامخاً برأسه، ثانياً لعطفه، مغترّاً بنفسه.

لا زال هذا العدوان يأكل من كرومنا عناقيد العنب، ويطعمنا نحن من ترسانته «عناقيد الغضب»^(١). الغضب علينا، الغضب على لبنان، الغضب على حزب الله الذي يدافع عن وطنه.

متى كان الدفاع عن الوطن جريمة؟

هل كان الدفاع عن الوطن خطأً أو خطيئة؟ هل كان الدفاع عن الأوطان المحتلة جريمة؟ في أيّ عُرف؟ في أيّ فلسفة؟ في أيّ دين؟ في أيّ مذهب؟ في أيّ قانون؟ دلّونا على ذلك!

(١) العملية التي قامت بها إسرائيل ضد لبنان في قانا، وراح ضحيتها أعداد كبيرة، سمتها إسرائيل «عناقيد الغضب» وكان ذلك في ١٨ إبريل ١٩٩٦م.

أليس من حقّ الوطن المحتل أن يجنّد أبناءه للدفاع عنه أمام العدو
المغتصب؟

لم يُجرّم حزب الله حينما أطلق صواريخ الكاتيوشا على شمال
إسرائيل، إنّ له الحقّ كلّ الحقّ في أن يدافع عن نفسه، وإسرائيل هي
المتحرّشة دائماً، وهي البادئة دائماً.

وأحبُّ أن أقول لكم أيّها الإخوة: المسألة ليست حزب الله، وليست
صواريخ الكاتيوشا، هذه كلّها تعلّات أشبه بما يُقال: أنت الذي عكّرت
عليّ الماء. إنّهُ تحكّم الذئب في الحمل، إنّ إسرائيل تريد أن تعلّمنا إذا
كنا جهلنا، وتنبّهنا إذا كنا غفلنا، وأن تذكّرنا إذا كنا نسينا: أنّها سيّدة
المنطقة، وأنّها هي المتحكّمة في الرّقاب، تأمر وتنهى، وتحلّ وتحرم،
وتفعل ما تشاء، وتحكّم ما تريد، لا تُسأل عمّا تفعل.

هذا ما تريده إسرائيل:

ليست المسألة «حزب الله». المسألة: تركيع لبنان، إذلال لبنان،
وإذلال سوريا، وإذلال العرب؛ حتّى يرضخوا لمشية إسرائيل، حتّى
يسير الجميع في ركاب إسرائيل، حتّى يقول الجميع: سمعنا وأطعنا،
حتّى ينحني الجميع راعين، ويضطّأطوا أذلاء ساجدين.

وإسرائيل تفعل ذلك شامخة؛ لأنّها ترى العجز العربي، والذلّ
العربي، والهوان العربي، والتمزّق العربي، بحيث لا نرى - كما قلت
لكم في الجمعة الماضية - صراخاً، لا نرى احتجاجاً صارخاً، إنّما نرى
احتجاجات هامسة، والهمس ينيّم اليقظان، والصراخ يوقظ النّعسان.

هذا للأسف ما نراه.

إسرائيل متمادية في غيِّها، في عدوانها، وهذا يثبت لنا ويؤكِّد لنا ما قلته من قبل وكرَّرتَه، ولا زلت أقوله وأكرِّره وأؤكِّده: إنَّ الإرهابي الأكبر في هذه المنطقة ليس هو جماعة حماس، وليس هو الجهاد الإسلامي، وليس هو حزب الله، فهؤلاء كلُّهم أبطال يدافعون عن مقدساتهم وعن أوطانهم، الإرهابيُّ الأكبر هو «إسرائيل».

إسرائيل قامت منذ قامت وقبل أن تقوم - حينما كانت عصابات - على الإرهاب.

من ممَّا ينسى عصابات «الهاجانة» وعصابات «الأرجون»؟

العصابات التي سفكت الدماء، ونهبت الأموال، وخرَّبت الديار، وبقرت بطون النساء، وفعلت الأفاعيل، حتَّى فرَّ النَّاس من بيوتهم مذعورين.

كانت هذه إسرائيل قبل أن تقوم لها دويلتها، وبعد أن قامت دويلتها أصبحت أكثر إرهابًا.

إنَّها «الإرهابي الأكبر» في المنطقة.

إنَّ المسألة ليست «حزب الله»، إنَّها رسالة موجَّهة إلى العرب، كلَّ العرب: إنَّ إسرائيل - بطائراتها وقواتها المسلَّحة - قادرة على الوصول إلى أيِّ عاصمة عربية، لا يمنعها من ذلك مانع، ولا يصدُّها صاّد، ولا يرُدُّها راّد، ولو أرادت إسرائيل ذلك لفعلت، من يمنعها؟ أين القوَّة التي تردعها؟

لا نجد قوَّة في بلاد العرب ولا في بلاد المسلمين تملك أن تردع إسرائيل، وأن تردِّ لها الصاع صاعًا واحدًا، أو نصف صاع، أو رُبع صاع! ولا نقول: «الصاع صاعين»، كما يقولون!

هذا ما نراه أيها الإخوة في موقفنا.

والآن يتنادون بوقف إطلاق النار؟ لماذا تسمونه «وقف إطلاق النار»؟! وهل هناك نار متبادلة من الجانبين حتى يوقف إطلاق النار؟ لماذا لا تسمونه: إيقاف العدوان؟

لبنان مهدد باستمرار:

وهب أن العدوان قد وقف، فما هي نتيجة آثار العدوان؟ البلاد التي هُجرت ونزح أهلها، حوالي نصف مليون من الشيوخ والأطفال والنساء نزحوا هائمين على وجوههم، تاركين بيوتهم ومساكنهم، ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] ماذا تكون نتيجة وقف إطلاق النار؟ ماذا تفعلون بهؤلاء؟ ماذا تفعلون بالقرى التي هُدمت، ومحطات المياه والكهرباء التي حُطمت، ومئات الملايين التي خسرتها لبنان، وهي تحاول أن تعمر أرضها التي خرّبتها الحروب الأهلية؟

لبنان مهدد باستمرار، كلما حاول أن يبني هدموا ما بناه، وذلك أن لبنان له طبيعة خاصة، أنه بلد يمكن أن ينافس إسرائيل - في المستقبل - في سوق الاقتصاد، التي تريد إسرائيل أن تسيطر عليها وحدها. لبنان قد يكون له شيء في سوق المنافسة، فتريد إسرائيل أن تضرب لبنان حتى لا تقوم له قائمة، ولا يطمع أن يكون له نقيير أو قطمير في تلك السوق.

إسرائيل تريد أن تنفرد بالمنطقة، تريد المنطقة ملكًا خالصًا لها، تصول فيها وتجول، وتعربد كما تشاء.

هذه هي إسرائيل.

إسرائيل كيان دخيل على المنطقة، قائم على الاغتصاب والعدوان، لا فرق في ذلك بين حزب «العمل» وحزب «الليكود»، لا فرق بين هذا وذاك.

سئل أعرابي كان عنده حماران سيئان: أيُّ حماريك شرٌّ؟ فقال: هذا وهذا!

أي كلاهما شرٌّ.

كلاهما شرٌّ: العمل، والليكود. كما يقول الشاعر:

وليس فيهم من فتى مُطِيعٍ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْجَمِيعِ
﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، لا فرق بين هذا وذاك
إطلاقاً.

«بريز» سفّاح أثيم، لا يقلُّ عن «رابين» ولا عن «شامير» ولا عن «بيجن»، كلُّهم سفّاحون.

ينبغي أن يعلم هذا الذين وضعوا أيديهم في أيدي «بريز» السفّاح القاتل، الذي لوّث يده دماء اللبنانيين، دماء الأطفال والنساء في قرية «قانا»، الذين قُتلوا بغير حقٍّ إلا أن يقولوا: ربُّنا الله، حتّى الذين استظلُّوا بعلم الأمم المتحدة ضُربوا، حتّى الذين كانوا يركبون سيّارة الإسعاف ضُربوا وذُبحوا.

هذا سفّاح ينبغي لمن وضع يده في يده أن يستغفر الله تعالى، ويتوب إليه، ويغسل يده سبع مرّات إحداهن بالتراب.

نحن أمام سفّاحين معتدين مارسوا الإثم، واستمروا عليه،

واستمرؤوه، وأحبُّ أن أقول لهم: إنَّ هذه الأمة لن تظلَّ كذلك، وكما يقول الشاعر:

وإذا الذئابُ استنَّعَجَتْ لَكَ مَرَّةً فحذارٍ منها أن تَعُودَ ذِئَابًا!^(١)

لن تظلَّ الأمة تستنَّعج وتُستضعف، سيظهر منها الأبطال الذين يأخذون بثأرهم من المعتدين عليها، وإن ذلك لقريب إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز، وعندنا بشائر القرآن والسُّنة والتاريخ والواقع ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

يا أيُّها الإخوة، نحن مقبلون على العيد، وعلينا أن نستقبل هذا العيد بما ينبغي له، من توجُّهٍ إلى الله أن يمنَّ على المسلمين بعيدٍ يفرحون فيه الفرحة الحقيقية، يفرحون بنصر الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * ﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرُّوم: ٤، ٥].

الأضحية ذكري وتوسعة:

علينا أن نوّدي الشعائر التي طلبها الإسلام منّا، الإسلام شرع في عيد الفطر «صدقة الفطر» طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، وشرع في عيد الأضحى «الأضحية»، تذكيراً لسنة إبراهيم، وتوسعة على النفس وعلى الفقراء والمساكين.

فالإسلام لا يريد أن تكون فرحة العيد مقصورة على الواجدين والموسرين على حين يُحرم منها المعدمون والمُعسرون، لذلك شرع «صدقة الفطر» في عيد الفطر، وشرع «الأضحية» في عيد الأضحى.

(١) من شعر صفي الدين الحلبي. انظر: أعيان العصر (٧٢/٣)، والوافي بالوفيات (٢٩٣/١٨).

ويجوز للمسلم أن يضحى في بلد آخر؛ إذا كان هنا مسلم من باكستان أو بنغلاديش أو من اليمن أو من مصر، وله أهل وأقارب هناك في بلده، يستطيع أن يوكلهم في أن يضحوا عنه في بلد: هو أشد حاجة من هذا البلد الذي وسَّع عليه الله تعالى.

وكذلك يستطيع المسلم أن يشتري أضحية من بلد إسلامي يوكل من يضحى عنه هناك - في نيجيريا، في السنغال، في بنغلاديش، في الفلبين، في البوسنة والهرسك، في فلسطين، في الشيشان، في أي بلد من هذه البلدان - فالمسلمون أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهم جميعاً إخوة، وأوطان الإسلام يسميها الفقهاء: «دار الإسلام»، فهي دار واحدة.

ولذلك أنا أستطيع أن أوكل أخي المسلم في بلد آخر أهله أشد حاجة، وأنا أضحى هنا إن كان عندي سعة أو أكتفي بشراء اللحم أو بأخذ اللحم من جاري وقريبي، ولا حرج في ذلك أبداً.

الإسلام أجاز نقل الزكاة، مع أن النبي ﷺ قال: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»^(١)، ولكن الفقهاء أجازوا نقل الزكاة لاعتبارات، كأن ينقلها الإنسان إلى قرابة له، أو إلى بلد أشد حاجة، أو إلى بلد فيه مجاعة أو فيه كارثة؛ لأن المسلمين متضامنون فيما بينهم، وهذا ما نقوله بالنسبة للأضحية.

أريد أن أنبه الإخوة إلى أننا سنصلي العيد بمشيئة الله تعالى في «إستاد نادي قطر الرياضي» نسأل الله أن يعيد علينا أمثال هذا العيد،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

وعلى أمتنا الكبرى، بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحبُّ ويرضى.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على الجهاد في سبيلك، ونياتها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، ولا تُهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخيًا رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين ولبنان، وانصر إخواننا في البوسنة والشيشان، وانصر إخواننا في كشمير والسودان، وانصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين والملتحمين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، اللهم إننا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم لا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].



﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا، ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم آمين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





خطبة عيد الأضحى (١)

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نحن في يوم العيد، عيد الأضحى، في يوم الحج الأكبر كما سمّاه الله تعالى وسمّاه رسوله ﷺ .

في هذا اليوم تُقضى معظم مناسك الحج: يذهب الحُجَّاج إلى منى ليرموا جمرة العقبة - بعد أن وقفوا بالأمس في صعيد عرفات، وبعد أن أفاضوا إلى المزدلفة، وبعدها يذهبون إلى منى ليرجموا الشيطان اللعين - ثمّ يحلقون أو يقصّرون، ويذبحون أو ينحرون، ويذهبون إلى الكعبة طائفين طواف الإفاضة ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

هذا يوم الحج الأكبر.

الإسلام يوحد الأمة بعباداته:

في هذا اليوم يجتمع المسلمون من أنحاء العالم ممثلين من كلّ بلد، مليونان جاؤوا من شتّى البلدان، وشتّى الألوان، ومختلف الأجناس، ومختلف اللغات، ومختلف الطبقات، ولكن ذابت بينهم الفوارق، فلا يُعرف آسيوي من أفريقي، ولا عربي من عجمي، ولا غني من فقير،

(١) أُلقيت بمدينة الدوحة عام ١٤١٦هـ.

ولا أمير من خفير، ولا أبيض ولا أسود، ولا سيّد ولا مسود، ولا حاكم ولا محكوم، الكلّ سواسية في هذا الموقف أمام الله تعالى.

جاء الإسلام ليوحد الأمة بعباداته: الجماعة في الصلوات الخمس توحد أهل الحي، الجمعة توحيد أكبر، العيد توحيد أكبر لأهل البلدة، الحج توحيد للمسلمين جميعاً، يجمع هؤلاء المليونين أو الأكثر من مليونين، وقد جاؤوا الله مُحرمين، ملبّين، ساعين، طائفين، قلوبهم خاشعة، عيونهم دامعة، أعناقهم لله خاضعة، أكفهم بالدعاء ضارعة.

من غير الإسلام يقدر أن يجمع هذه الملايين في صعيد واحد؟!!

الحج يبرز قوّة الإسلام:

الحج يبرز قوّة الإسلام كما قال النبي ﷺ لصحابته: «رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوّة»^(١).

في هذا الحج تتجلّى قوّة الأمة الإسلاميّة.

عناصر القوّة في الأمة الإسلاميّة:

نحن الأمة الإسلاميّة نملك ما لا يملك غيرنا، ولكنّا للأسف لا نوظّف ما نملكه، لا نحسن توظيف قدراتنا.

القوة العددية:

نحن الأمة الإسلاميّة نملك أكثر من ألف مليون من البشر «مليار وربع المليار أو ثلث المليار في أنحاء العالم». نملك القوّة العددية وهي

(١) ذكره ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق (٣٧١/٢).

نعمة من الله امتنَّ بها على عباده حينما قال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، معنا قوَّة العدد.

القوة الماديَّة والاقتصاديَّة:

معنا قوَّة المادَّة، القوَّة الماديَّة والاقتصاديَّة. الأُمَّة الإسلاميَّة تملك من الثروات المذخورة والمطمورة والمنشورة ما لا يملك الآخرون، عندنا من الثروة الزراعيَّة والثروة المعدنيَّة والثروة المائيَّة، ما لا يملك غيرنا. نملك أواسط القارات، ومهابط الرسالات، ومنابت الحضارات، الأُمَّة الإسلاميَّة تملك ما لا يملك غيرها.

قوة الرسالة:

ثمَّ تملك هذه الأُمَّة أعظم رسالة، تملك الرسالة الخالدة رسالة الإسلام، رسالة الوسطيَّة، رسالة التوازن، الرسالة التي ربطت السماء بالأرض، ومزجت بين الروح والمادة، وجمعت بين الدُّنيا والآخرة، ووازنت بين العقل والقلب، ووفَّقت بين حريَّة الفرد ومصالحه المجتمع. نحن المسلمين وحدنا الذين نملك هذه الرسالة.

قوة المصادر المعصومة:

ونملك المصادر المعصومة التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. نملك الوثيقة الإلهية التي لا يملكها دين من الأديان ولا أُمَّة من الأمم. نملك الوثيقة السماويَّة: القرآن الكريم، الذي أنزله الله، فبقي إلى يومنا هذا كما أنزله على رسوله مُحَمَّد ﷺ، نقرؤه مكتوبًا كما كُتب في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.

مَنْ غير الأُمَّة الإسلاميَّة يملك هذه الوثيقة الإلهية!؟



توظيف هذه القوى واستغلالها:

نحن نملك: القوة البشرية، والقوة الماديّة، والقوة الرُّوحية، ولكننا لا نوظّف هذه القوى، كأنّما تبرّأنا منها. اليهود يقاوموننا باسم التوراة، ونحن لا نقاومهم باسم القرآن! هم يتجمّعون على التوراة ونحن لا نتجمّع على القرآن، هم يتجمّعون تحت راية اليهودية ونحن لا نتجمّع تحت راية الإسلام، هم يحترمون يوم السبت ونحن لا نحترم يوم الجمعة، هم يقولون: «الهيكل» ونحن لا نقول: «المسجد الأقصى»!

أخرجنا الدين من المعركة، أخرجنا الإيمان من المعركة، والمعركة في أساسها معركة دينية.

اليهود خلطوا القومية بالدين، ونحن عزلنا القومية عن الدين. اليهود جاؤوا من أنحاء الأرض، من بلاد شتى، إلى فلسطين - التي يسمونها: أرض الميعاد - باسم الدين، باسم التوراة، باسم التلمود.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينية، وكلُّ من يريد إخراج الدين من المعركة يخون الأمة، ويحرم الأمة أمضى أسلحتها، لا يمكن أن نتصر على اليهود إلا بالإسلام، وبالإسلام وحده، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب. هم يريدون حرب الإسلام وإخراجه من المعركة تحت أسماء وعناوين شتى: الإرهاب حيناً، والعنف والتطرّف حيناً، والأصولية حيناً، والمقصود هو «الإسلام»، هو تنحية الإسلام من المعركة، وإخراج الإسلام من القضية؛ لتبقى قضية قومية علمانية في نظرنا، وفي نظرهم هم تبقى قضية دينية توراتية تلمودية.

هذا ما ينبغي أن نعلمه أيّها الإخوة.



ضرب لبنان وتهجير أبنائه:

إنَّ ما جرى في المدَّة الأخيرة من ضربِ لبنان وتهجير لأبنائه بعد معركة «قانا» الشهيرة. نصف مليون هُجِّروا، وقُتل من قُتل من الأطفال ومن النساء ومن الشيوخ، الَّذِينَ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، أرادت إسرائيل أن تؤدِّبنا، أن تلوّح لنا بالعصا الغليظة وتقول: إذا لم تسمعوا لقولي، ولم تطيعوا أمري، فهذا مصيركم.

ضربت إسرائيل وقتلت وذبحت، ثمَّ أوقفت إطلاق النَّار، كلُّ ما فعلناه وما لهث اللاهثون من أجله: أن يوقف إطلاق النَّار! أهذا كلُّ ما نريد؟!!

وعدوان المعتدي، واغتصاب المغتصب، وظلم الظالم، وقتل القاتل، يذهب بلا قصاص؟!!

جوَّعوا الشعب الفلسطيني، وحاصروا الشعب الفلسطيني، وماذا صنعنا؟

جاء من يمثلون الشعب الفلسطيني، وغيروا الميثاق الوطني! وفي هذه المرحلة بالذات التي ما كان ينبغي أن يُفعل فيها هذا، لكنهم فعلوا هذا، وغيروا ما كان فيه تهديد لإسرائيل وترويع لإسرائيل.

هكذا طلبت إسرائيل، وهكذا يجب أن تُجاب، لا ينبغي أن يُرفض لها طلب، لا يصحُّ أن نقول لها: لا، أو نقول: لها لِمَ؟!!

هذا ما جرى على أمتنا.

إنَّما يجيء الحجُّ ليعطي هذه الأمة «قوة».

الحج تذكير بأبي الأنبياء وربط الأمة برسالته:

الحج يذكّرنا بأبي الأنبياء وأبينا «إبراهيم» ﷺ الذي وضع الكعبة، ورفع قواعدها، هو وابنه «إسماعيل»: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

يربط الله هذه الأمة - وهي آخر الأمم - بأول بيت وُضع في الأرض، وبإبراهيم بالذات؟

لأنّه الذي أمره الله أن يقيم الملة الحنيفة: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

«إبراهيم» أقام الدين لله، حطّم الأصنام، وأبى إلا أن تكون عبادته لله، ودعاؤه لله، وتوجّهه لله وحده لا شريك له.

«إبراهيم» هو داعي التوحيد، هو رمز هذا التوحيد الذي هو روح الإسلام، وجوهر هذا الدين، وروح هذه الأمة وحياتها كلّها.

«إبراهيم» ينبغي أن نرتبط به.

«إبراهيم» الذي ضحّى بوطنه وهاجر لله، وضحّى بنفسه فألقى في النار من أجل توحيد الله، ولم يبال بما أصابه في سبيل الله، هدّدوه: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] فما بالى إبراهيم بالتحريق ولا التهديد، ولكن الله حوّل النار إلى روح ورياحين وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

«إبراهيم» هو الذي ضحّى بولده، وفلذة كبده، وقرّة عينه، ومُهجة قلبه. هو الذي ضحّى بابنه الوحيد «إسماعيل»، الذي وهبه الله له على الكبر،

فتعلّق به فؤاده، وكلّما نما الولد نما حبّه في قلبه وازداد تعلّقه به. وهنا غار الله على قلب خليله، وأراد أن يمتحنه بذبح هذا الولد، وكان ذلك في رؤيا مناميّة، لم يكن وحيًا صريحًا ينزل به جبريل عليه، إنّما رآه في المنام: ﴿كَانَ يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصّافات: ١٠٢]، متى كان ذلك؟

حينما بلغ معه السعي، حينما شبّ عن الطوق، وأصبح يُرجى منه النّفع لأبيه، في هذه الحالة جاء الامتحان: ﴿كَانَ يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصّافات: ١٠٢]، هنا لم يكن في روعة موقف الوالد إلا موقف الولد، والولد سرُّ أبيه، ومن يشابه أبه فما ظلم^(١). هنا قال إسماعيل لأبيه: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصّابِرِينَ﴾ [الصّافات: ١٠٢]، نفذ الأوامر الإلهية التي عندك، حتّى إنّ له لم يقل له: افعل بي ما تؤمر، كأنّما فني عن نفسه، وفرغ من ذاته، بل قال له: نفذ ما تؤمر ﴿قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرِينَ﴾ لم يدع الشجاعة، ولم يزعم البطولة، وإنّما وكلّ الأمر إلى الله وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرِينَ﴾.

وفعلًا صبر الوالد وصبر الولد، وسلّمًا: سلّم الوالد ولده، وسلّم الولد عنقه للذبح، وأمسك الوالد بالسكّين ليذبح، هنا جاء الفرج، لقد نجح إبراهيم في الامتحان، ليس القصد أن يذبح الولد، إنّما القصد أن يمثّل الأمر، إنّما القصد أن يعرف أنّه مهما طلب منه فإنّه منفّذ، ولذلك جاء

(١) يُقال ذلك للولد إذا كبر، وقد تعلّم من أوصاف أبيه، وأخذ من طباعه. قال الشاعر:

بأبه اقتدى عديّ في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وقد نسبه البدر العيني لرؤبة بن العجاج، كما في شرح الشواهد الكبرى (١/١٨٨)، تحقيق أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

الفرج من السماء: ﴿أَنْ يَتَابِرَهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرَّيَّاءَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمِينُ * وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٤ - ١٠٧].

درس الأضحية:

لذلك شرعت الأضحية في هذا العيد، عيد الأضحى.

كلما ضحينا تذكّرنا هذا الحدث العظيم، هذا الموقف الجليل، من الخليل وابنه إسماعيل، تذكّرنا كيف يرقى الإنسان إلى أن يضحى بأعزّ شيء عليه، وأحبّ شيء إليه، وأثر شيء لديه، ما دام ذلك في سبيل الله، ضحى إبراهيم بولده، وضحى ولده بنفسه، كل ذلك لله.

ما أجدرنا - أيها الإخوة المسلمون - ونحن في هذا العيد: أن نتعلّم من إبراهيم وإسماعيل درس التضحية، درس البذل لله، درس الصبر لله، درس الطاعة لله ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٢].

الوهن سبب ذلّ الأمة:

إنّ الذي أذلّ هذه الأمة، ونكس رأسها، وأرغم أنفها، وجعلها هيّنة عند أعدائها هو: عدم البذل، عدم التضحية.

إن هذه الأمة أصابها الوهن كما حذرنا النبي ﷺ: «ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حبّ الدنيا وكراهية الموت»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

هذا هو الوهن، هذا سرُّ الوهن وسرُّ الضعف: حبُّ الدُّنيا «تعلُّق النَّاسِ بالدُّنيا، بالمصالح الشخصية والمادِّية»، وكراهية الموت «تشبث النَّاسِ بالحياة ولو كانت ذليلة، وهو سبب الجبن».

إنَّما فتح الصحابة الفتوح، ودانت لهم البلدان، ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجا؛ لأنَّهم هانت عليهم الدُّنيا، ولأنَّهم ما كانوا يباليون أَوْقَعُوا على الموت أم وقع الموت عليهم، كما قال أبو بكر لخالد: يا خالد، احرص على الموت توهب لك الحياة^(١).

حرصوا على الموت فوهبوا الحياة.

كان خالد بن الوليد في حروبه مع فارس والروم، يدعوهم إلى أن يُسلموا فيسلموا، ويكتب الرسائل إلى قادتهم ويختمها بقوله: «وإلا - أي: إذا رفضتم - غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة»^(٢).

فإذا أصبحنا نحن نحبُّ الحياة ونحرص على الحياة كما وصف الله اليهود من قبل: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي حياة عزيزة أو ذليلة، كريمة أو مهينة. كان اليهود أحرص النَّاسِ على حياة، أصبحنا نحن وقد ورثنا أخلاق اليهود قديما!

فمما يؤسف له أن ما وصف الله به اليهود قديما أصبح الكثيرون منَّا يوصفون به. وُصف اليهود بالحرص على حياة، أي حياة، وُصفوا بأنهم بخلاء بالمال، وُصفوا بالجبن ﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤] نحن للأسف أصبحنا بما أُصيب به اليهود.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٧/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى، وفيه مجالد؛ وهو ضعيف، وقد وثق، عن الشعبي مرسلًا.

ما الذي جرى للأمة؟ هل تغيرت طبيعة الأمة؟

وصف الله اليهود بأنهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، ونحن نرى أمتنا اليوم بأسها بينها شديداً، يجفوا بعضها بعضاً، ويعادي بعضها بعضاً، بل يقاتل بعضها بعضاً، كما رأينا في حرب العراق وإيران، ثمَّ حرب العراق والكويت، أو العراق والخليج، وهو ما مزق الأمة إلى اليوم فلم يلتئم لها شمل، ولم تُعقد لها قمة شاملة. وقد دعا بعض رجالات العرب - بعد العدوان على لبنان - إلى عقد قمة عربية من أجل لبنان، ولو قمة مصغرة، فما استجاب لذلك أحد؛ لأنَّ الأمة أصبحت يضرب بعضها وجوه بعض، لا يجتمع شملها، ولذلك طمع فيها أعداؤها.

جمع الأمة وتوحيدها:

لا بدَّ أيُّها الإخوة أن نحاول أن نجمع شمل هذه الأمة، أن نلتم شتاتها، ولا يجمعها شيء إلا الإسلام. الإسلام هو الذي يوحد الصفوف، هو الذي يجمع الشتيت، هو الذي يوحد المتفرق.

أمَّا إذا سرنا وراء غير الإسلام، فإننا سنتفرق شذر مذر، سنتفرق إلى يمين ويسار، واليمين درجات، واليسار درجات: هناك يمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار، ووسط اليسار، ويمين اليسار، وهناك من قبلته كذا، ومن ولاؤه لكذا.. سنتفرق الأمة، ولا يجمعها شيء إلا الإسلام ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

لا تزال الأمة بخير:

الأمة بخير، لقد ذهبْتُ إلى أماكن شتّى وأقطار شتّى، ووجدت الأمة بخير. الأمة فيها الخير، كامن في أعماقها، نرى ذلك في هذه التجمعات على الإسلام، نرى ذلك في المليونين «بل أكثر من المليونين» من الحُجَّاج، نرى ذلك في مواسم الحج والعمرة التي تمتلئ بالملايين، نرى ذلك في المساجد التي تمتلئ بالمصلين، نرى ذلك في هذه الصحوة الإسلاميّة، التي حرّكت العقول والقلوب والعزائم.

حاجة الأمة إلى من يقودها:

ولكنّ الأمة تحتاج إلى قيادة، تحتاج إلى من يقودها باسم الله فيفجّر طاقاتها المكنونة، وهي طاقات هائلة لا يفجّرها إلاّ الإيمان.

هذه الأمة لا تُقاد بالقوميّة، ولا بالاشتراكيّة، ولا بالديمقراطية، ولا بالثوريّة، ولا بأيّ شيء من هذا، إنّما تُقاد حينما ترفع المصحف أمامها، وتعلن شعارها: «لا إله إلاّ الله والله أكبر». حينما تقول: يا رياح الجنّة هبّي، ويا كتائب الله سيري، تسير الأمة وراءك.

الأمة لا يمكن أن يجمعها شيء أو يحركها شيء إلاّ الإسلام، ولكن أعداء الأمة يعرفون ذلك، ولذلك يسعون إلى تفريقها (فرّق تسد)، لا بدّ من تفريق هذه الأمة بأيّ وسيلة، لا بدّ ألاّ يكون لهذه الأمة شمل ملتئم!

في بعض البلاد يثيرون مسألة الأقليات غير المسلمة: الأقباط في مصر، النصارى في لبنان، وهكذا.

إذا لم توجد أقلية غير مسلمة، يثيرون المذهبية الإسلاميّة والطائفية الإسلاميّة: سنّة وشيعة.

إذا لم يوجد سنّة وشيعة، يثيرون مسألة العرقية: عرب وبربر، أو عرب وأكراد.

إذا لم يوجد حتّى هذه العرقية يقولون: سلفي وصوفي، مذهبي ولا مذهبي، وهكذا، لا بدّ أن يحاولوا أن يوجّدوا شيئاً يفرّق الأمة، ونحن نريد أن نجمع الأمة بكلّ طوائفها وبكلّ فصائلها.

ما يجب على أبناء الصحوة:

ينبغي لأبناء الصحوة الإسلاميّة أن يدركوا هذه الحقيقة: أنّ أعداءنا يريدون أن يفرّقونا، وأنّ يمزّقونا شرّ ممزّق، وألا يرتفع لنا علم، وألا نجتمع تحت راية. ولا بدّ أن ندرك كيدهم، وأن نردّ كيدهم في نحورهم، وأن نعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم.

ينبغي أن نكون أكثر وعياً لما يكيده لنا أعداء الإسلام.

إنّ الإسلام أيّها الإخوة في هذه الآونة مُحاصر من كلّ مكان، يُضرب الإسلام وللأسف بأيدي أبنائه، بأيدي ولاته وحكّامه. خوّفوا الحكّام من الشعوب، من الصحوة الإسلاميّة، من الدعوة الإسلاميّة، فأصبح هناك هوّة واسعة وفجوة عميقة بين الحكّام والمحكومين، ولا بدّ لنا أن نوعّي النّاس أنّ الجميع في خطر إذا لم يتحدوا على الإسلام، إذا لم يستقيموا على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله ﷺ.

لا مخلص لنا أيّها الإخوة إلاّ الإسلام، نقول ما قاله ابن الخطّاب: نحن كنا أذلّ قوم، فأعزّنا الله بالإسلام، ومهما نطلب العزّة بغيره أذلّنا الله^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٢١٥.

لا بدّ لنا أن نستمسك بهذا الدين، ونضحّي في سبيله، ونبذل من أجله النَّفس والنَّفيس، والغالي والرَّخيص، نقدّم أنفسنا ونقدّم أولادنا، كما قدّمت الخنساء أولادها الأربعة في معركة القادسية، وأوصتهم أن يُقدّموا ولا يُحجموا، وأن يثبتوا ولا يتردّدوا، حتّى قُتلوا كلُّهم في المعركة، ولمّا بلغها نعيهم لم تلطم خدًّا، ولم تشق جيبًا، ولكن قالت: الحمد لله الَّذي شرّفني باستشهادهم، وجعلهم شفعاء لي يوم القيامة^(١)!

يا أيُّها الإخوة،

حاجتنا إلى عيد لا حزن فيه:

ما أحوجنا إلى عيدٍ تعلق فيه كلمة الإسلام، وترتفع فيه راية القرآن، ما أحوجنا إلى عيد بلا مشكلات ولا أحزان ولا دموع.

نحاول أن نجد عيدًا من هذا النوع بحيث نبتمس ونضحك من قلوبنا، ونفرح الفرحة الحقيقية، فلا نكاد نجد هذا العيد.

أبو الطيب المتنبّي قال يومًا في عيدٍ من الأعياد:

عيدٌ بأية حالٍ عُدت يا عيدُ بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ
أمّا الأحبّة فالبيداءُ دونهم فليت دونك بيديًا دونها بيدي^(٢)

استوحش الشاعر من العيد لفراق أحبّته؛ لأنّ أحبّته كانوا بعيدين عنه. ماذا يقول المتنبّي لو رأى أعيادنا هذه، وأمّتنا تقاسي ما تقاسي، في فلسطين ولبنان، في البوسنة والشيشان، في كشمير والفلبين، في كثير من بلاد الإسلام.

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٨٢٩)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) ديوان المتنبّي بشرح العكبري (٢/٣٩).

بعض ما تعانيه من صنع أعدائها، وبعض ما تعانيه من صنع أيديها، كما يحدث في أفغانستان، وكما يحدث في الصومال، وكما يحدث في كثير من بلاد الإسلام.

ما أحوجنا إلى عيدٍ نبتسم فيه، ونشعر بالفرحة الكبرى، ونقول: هذا هو العيد الأكبر ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الرُّوم: ٤ - ٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات
وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله،
البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله
وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيا أيّها المسلمون:

في هذا اليوم الكريم لا يسعنا إلا أن نمدّ أيدينا إلى الله تعالى، نسأله
أن ينصر أمتنا على أعدائها، وأن ينصر ديننا على أديان الشرك والكفر.

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام
هي السفلى.

اللهم انصرنا على اليهود الغادريين، وانصرنا على الصربيين
الحاقدين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الروس
الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم ردّ عنا
كيدهم، وفلّ حدهم، وأدلّ دولتهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن
القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، اللهم أيدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم إنا نسألك أن تكرمنا ولا تهيننا، اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



عيد بأية حال عدت يا عيد

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مرَّت علينا أيام العيد، وهنَّا بعضنا بعضًا: عيدكم مبارك، وعساكم من عوَّاده، وكلُّ عام وأنتم بخير. وذبح النَّاس الذبائح، وأكلوا حتَّى امتلأت بطونهم، وجمعوا على موائدهم ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب.

ومن قبل هذا العيد مرَّ عيد آخر، قبل عيد الأضحى مرَّ عيد الفطر، وقبل هذا وذاك مرَّت أعياد وأعياد.

العيد الحقيقي:

ولكن العيد الحقيقي الَّذي ينبغي أن تبتم له الشفاه، وأن تفرح به القلوب، وأن تنشرح به الصدور، وأن تعلن الأُمَّة به الفرحه الكبرى: هو العيد الَّذي ينتصر فيه المسلمون انتصارًا حقيقيًا، حين تعلق كلمة الإيمان، حين ترتفع راية القرآن، حين تحكم شريعة الإسلام، حينما

تتحرر أرض الإسلام، حينما يصبح المسلمون سادة أنفسهم، حينما يصبح أمرهم بأيديهم ولا يكونون كما قال الشاعر:

ويُقْضَى الأمر حين تغيب تيمُّ ولا يُستأذنون وهم شُهُودٌ^(١)!

العيد الذي ننتظره هو العيد الذي يصبح المسلمون فيه أحرارًا سادة، هم الذين يُملون القرار، وهم الذين يتخذونه من عند أنفسهم.

حين يكون المسلمون قادرين على الدفاع عن حرمتهم، على الذود عن حماهم، لا يُهتك لهم عرض، ولا تُنتهك حرمة، لا يُسفك دم، لا يُهدم مسجد، لا يُدمر منزل، حينما يأتي هذا اليوم يحقُّ لنا أن نقول: عيدكم مبارك، وكلُّ عام وأنتم بخير.

أعياد لا طعم لها:

أمَّا أعيادنا اليوم فليست أعيادًا، إنها أعياد لا طعم لها، لا معنى لها. كيف نعيد؟ كيف نفرح؟ كيف نضحك؟ كيف يمتلئ التلفزيون بتلك البرامج المفرحة أو غير المفرحة، النَّافع وغير النَّافع منها، وإخوتنا المسلمون هنا وهناك يُذبحون، يُقتلون، يبادون، يُنتهكون؟ قولوا لي بالله كيف نفرح؟!

كيف نفرح والمسجد الأقصى أسير في أيدي اليهود، يتحكّمون فيه، ويفعلون أفاعيلهم ليهدموه، ويقيموا معبدهم على أنقاضه؟ كيف نفرح وأرض النُّبوت تُنتهك فيها الحرمات، من اليهود: أحرص الناس على حياة؟

(١) من شعر جرير، انظر: البيان والتبيين للجاحظ (٣/٢٤٨)، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.

كيف نفرح وإخوتنا في البوسنة والهرسك إلى اليوم يذوقون العذاب،
ويشربون الكأس المرّة، على أيدي أولئك الحاقدين الصليبيين المتوحّشين؟
كيف نفرح وإخوتنا في جامو وكشمير يلقون من الوثنية المتعصبة
البعيضة ما يلقون؟

كيف نفرح ولنا إخوة في كلّ مكان يشكّون الاضطهاد، ويشكّون
مرارة الأذى، ويتجرّعون الصّاب والعلقم؟

كيف لأمتنا أن تفرح بالعيد وهذا حالنا؟

من قديم قال أبو الطيب المتنبي:

عيدٌ بأية حالٍ عدت يا عيدُ بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ
أمّا الأحبةُ فالبيداءُ دونهم فليتّ دونك بيداً دونها بيدُ^(١)

كان أبو الطيب يشكو الغربة، الغربة عن الأهل والوطن، يشكو فراق
الأحبة، فليتنا نشكو مثل هذا.

إننا نشكو ما هو أوجع، ما هو أشد إيلامًا، نشكو مآسي حلت بالأمة،
فأخرت مسيرتها، ومزّقت صفوفها، وأصبح أعداؤها يتحكّمون فيها،
ولا تستطيع أن تردّ لهم أمرًا.

ماذا نضع أمام هذه المصائب والكوارث والمآسي، ونحن عاجزون
مشلولو الأيدي، أمام ما يحدث لنا وإخوتنا هنا وهناك؟

نشرات الأخبار معظمها مآسي المسلمين، حتّى قال لي بعض
الإخوة: أكاد أغلق التلفزيون كلّما جاءت نشرة الأخبار؛ لأنّ الأخبار التي
تصدرها مآسٍ إسلاميّة.

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري (٣٩/٢).

أحزان وراء أحزان، وهموم وراء هموم، هذا ما نراه في كل يوم.
المصائب تصابحنا وتماسينا، وتراوحنا وتغاديننا.

لا نستطيع أن نغلق أعيننا، ولا نستطيع أن نصمّ أسمعنا أمام هذا
الصراخ، لا يستطيع الإنسان أمام هذه المشاهد، أن يغلق بصره وسمعه.

ماذا نصنع؟

الأمة كثرتها كغثاء السيل:

الأمة التي بوأها الله مكانة الشهادة على الناس، والتي جعلها خير أمة
أخرجت للناس، أمة محمد، أمة القرآن، أمة الإسلام، أمة الخلود، الأمة
التي بلغ تعدادها مليارًا ونحو ربع المليار من البشر «ألف مليون ومائتا
مليون من الناس»، كثرة كغثاء السيل.

مئات الملايين، ولكنها لا تستطيع أن تصنع شيئًا.

ما أكثر الناس، لا، بل ما أقلهمو الله يعلم أنني لم أقل فندًا!
إنني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدًا^(١)

مئات الملايين، ولكنها لا تغني عن الخطر، لا تفعل شيئًا يُذكر.

ما الذي جرى للأمة:

ما الذي جرى لهذه الأمة؟ ما الذي جرى لها حتى يحدث لها
ما حدث؟ عندها وسائل القوة، عندها مقومات السيادة والريادة: عندها
القدرة البشرية، عندها القدرة الاقتصادية، فهي تملك معظم منابع النفط،
وتملك من المعادن، وتملك من الرقعة الزراعية. عندها الموارد

(١) من شعر دعبل بن علي الخزاعي، كما في العقد الفريد (١٥٢/٢).

الحضارية، عندها القوة الروحية؛ لأنها تملك أعظم رسالة البشر، رسالة الإسلام الخالدة.

عندها مؤهلات السيادة، ولكنها لم تشكر نعمة الله على هذا، لم تستفد من هذه الطاقات وهذه القوى، تركت الإسلام، تركت مصدر عزها ومجدها، فتحكم فيها غيرها.

لا قيام لهذه الأمة، لا عز لها، لا انتصار لها، لا وحدة لها، لا سيادة لها، إلا بالاستمسك بعرى الإسلام. حينما تتمسك بالإسلام سيعزها الله، إذا نصرت الله نصرها الله، إذا أعزت دين الله أعزها الله، إذا كانت مع الله كان الله معها: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ما الذي جرى لأمتنا حتى حدث لها ما حدث، ومرت عليها الأعياد وحالها هكذا؟ كيف نفرح بالعيد؟ كيف نضحك للعيد وهذه حال أمتنا؟ نحاول أن نرسم البسمة على الشفاه، نحاول أن نرسم الإشراقة على الوجوه، نحاول أن نتظاهر بالفرح والسرور، ولكن هناك جراح عميقة غائرة في سويداء قلوبنا لا نستطيع أن ننساها، وإخوتنا في كل مكان يعانون ممّا نعرفه ونقرؤه، ونسمعه ونشاهده!

لا عذر للأمة أمام هذه المآسي:

مشكلتنا في هذا العصر أن الأحداث أماننا، المسلمون قديماً ضاعت منهم الأندلس وحدث للأندلسيين ما حدث، ولكن ما كان الناس يرون هذا ولا يسمعون.. كانوا يسمعون بعد أن يقع بأشهر أو بسنين، أمّا نحن

الآن فنشاهد الأحداث لحظة بلحظة، فلا عذر لنا أمام هذه المآسي التي نشهدها ونسمعها ونعايشها.

إخوتنا في البوسنة حديث العالم كله الآن، صراع بين الوحشية الغادرة، بين الجيش المسلح بأحدث الأسلحة وبين عزل ضعاف، صراع بين الذئاب والجمالان، صراع بين الضفدعة والثعبان، صراع بين اللحم والسكين، لا تكافؤ، لا تقارب في القوى.

ماذا فعل النظام العالمي الجديد والهيئات الدولية:

النظام العالمي الجديد، مجلس الأمن، هيئة الأمم المتحدة، ماذا صنعوا؟ حظروا على المسلمين أن تُرسل إليهم الأسلحة، وإلا أتيحت الفرصة للتساوي في القتل! هكذا قال أحد السياسيين البريطانيين! أي: لا ينبغي أن يحدث التساوي في هذا، يُمكن طرف من قتل الطرف الآخر حتى لا يستمر القتال، يُتاح لطرف أن يقتل وعلى الطرف الآخر أن يستكين ويصبر!

ماذا فعل النظام العالمي الجديد المزعوم؟ ماذا فعلت الهيئات الدولية؟

لم تصنع شيئاً إلا الكلام، يقال: سنفعل وسنفعل، وما فعلوا، ولن يفعلوا إلا بعد أن تذهب أراضي المسلمين وديارهم ويمزقوا شرّ ممزق، ولا يبقى لهم إلا شيء لا قيمة له، هنالك يدعون إلى إنهاء القضية والمصالحة! أي مصالحة؟! على أي شيء؟!!

ماذا فعل المؤتمر الإسلامي:

ماذا فعل المؤتمر الإسلامي الذي اجتمع من قبل في جدة، واجتمع في إسلام آباد، وسيجتمع من بعد في مكان كذا؟ ماذا صنع هؤلاء؟

كلام في كلام، وكما قال الشاعر:

إن ألفي قذيفةٍ من كلامٍ لا تساوي قذيفةً من حديدٍ^(١)
حتى كلامنا إذا تكلمنا فهو كلام خافت، أشبه بالهمس الذي ينم
اليقظان، لا بالصراخ الذي يوقظ النَّائم، ويحرِّك الساكن، صوت خافت،
صوت ضعيف.

كان من أوصاف عمر رضي الله عنه أنه كان إذا تكلم أسمع.

رأت إحدى الصحابيات بعض الشباب يمشون متماوتين، فسألت من
هو لاء؟ قالوا لها: هو لاء نُسَّاك عُبَّاد، فقالت: كان عمر ناسكًا، ولكنَّه كان
إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا أطمع أشبع، وإذا ضرب أوجع،
وهذا هو الناسك حقًّا^(٢).

هذه مظاهر القوَّة، أمَّا نحن اليوم فنتكلم فلا نُسمع، ونمشي
فلا نُسرع، ونُطعم فلا نُشبع، ونضرب فلا نُوجع، هذه حال أمتنا!

الركض وراء إسرائيل:

انظروا ماذا تفعل إسرائيل؟! نحن نركض وراءها، نلهث من
خلفها، نتنازل عن شيء بعد شيء، وهي كأنما تُخرج لنا لسانها،
تسخر منَّا، تستهزئ بنا. كلُّما أسرفنا في التذلل، أسرفت في التمتع
والتدلل، كلُّما بالغنا في الانحناء، بالغت في الإباء، كلُّما زدنا تنازلاً
زادت تعاليًا، وهكذا.

(١) ديوان جرح الإباء للشيخ أحمد فرح عقيلان، قصيدة: قذائف الكلام.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٨٨/٤٤).

أبناء القردة والخنازير الَّذِينَ غضب الله عليهم في كتبه، أصبحوا
يسخرون منّا.

صاحب الدار يركض وراء اللصّ، يرجوه أن يدع له حُجرة من بيته،
من داره الكبيرة التي اغتصبها، والّصّ لا يريد أن يترك له حتّى هذه
الحجرة! هم يقولون للفلسطينيين الآن: اذهبوا إلى الأردن، ليس لكم
مكان في فلسطين.

وهذه المفاوضات التي يركضون وراءها تضييع للأوقات، ليس هناك
عمل مُجدٍ إلاّ الجهاد في سبيل الله، ما غُزي قوم في عُقر دارهم إلاّ ذلوا،
ما أخذ بالقوة لا يستردُّ إلاّ بالقوة، هذا ما قاله الشاعر العربي من قديم
بحكم الفطرة والأنفة:

وكنْتُ إذا قومٌ غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ؟
متى تحمل القلب الذكّيّ وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المَراغمُ^(١)
تُرى ألم يعد لنا قلوب ذكيّة، أو نفوس أبيّة، أو أنوف حميّة، أو
صوارم عربيّة، ندافع بها عن أنفسنا، حتّى تجتنبنا المَراغم، وحتى نتحرر
من المظالم؟!

ما الذي حدث لنا؟ كنّا نغزو فأصبحنا نُغزى، كنّا نقود فأصبحنا نُقاد،
كنّا سادة العالم فأصبحنا كما ترون!
لا بدّ من رجعة إلى الله تعالى.

(١) من شعر عمرو بن بركة الهمداني، كما في الحماسة الصغرى (الوحشيات) لأبي تمام
ص ٣٢، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، نشر دار المعارف، القاهرة، وانظر: المؤلف
والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي ص ٨١، تحقيق أ. د. ف. كرنكو، نشر دار الجيل،
بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

ماذا تريد إسرائيل؟

إنَّ إسرائيل تريد أن تصبح هي سيِّدة المنطقة، وهي الآن تقول: أنا التي أحمي العالم! وممَّ تحميه؟

من الإسلام، ثمَّ تسمِّي هذا الإسلام شيئاً اخترعته هذه الأيام، وهو اسم: الأصولية! بدل أن يقولوا: «الإسلام» بصراحة يقولون: نحن نحمي العالم من الأصولية!

ما الأصولية؟

هي الدعوة إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، إلى تحكيم الشريعة، عودة هذه الأمة إلى جذورها، إلى ذاتيتها، ألا تخضع لغيرها، ألا ترضى بغير كتاب الله منهاجاً، وبغير رسول الله ﷺ إماماً.

تحدث حوادث إرهاب في أمكنة من بلاد المسلمين ونحن لا نقرُّها، فيلصقونها بالإسلام، وينسبونها إلى «الأصوليين»: ليبغضوا النَّاسَ فيهم، فيسمُّون الإسلام: «الأصولية»، أو يسمونه «تطرُّفاً»، أو «تشدُّداً»، أو «إرهاباً»! والإسلام لا يقرُّ أن يُقتل إنسان بريء بغير حقٍّ، ولكن هذا ما يحدث في كلِّ أنحاء العالم، فلماذا يركِّز على حوادث تحدث في بلاد المسلمين وحدها، ويُتخذ منها ذريعة لضرب الإسلام، وضرب التدين؟! وأصبح يُكتب في صحف سياراة: إنَّ التدين هو مصدر هذا الخطر كلُّه!

تجفيف المنابع باسم محاربة التطرف:

التدين ما دام موجوداً فهو الَّذي يفرز التطرف، ويفرز الأصوليين! لا بدَّ إذن من سياسة قائمة على فلسفة سموها: «تجفيف المنابع».

بمعنى: أنه ينبغي في الإعلام وفي التعليم وفي الثقافة أن تُحذف الأشياء التي من شأنها أن تُنشئ العقلية المسلمة، والنفسية المسلمة، والشخصية المسلمة.

وهذا ما فعلوه في عدد من البلدان^(١)، حذفوا من مناهج التعليم كل ما يثير حمية المسلم، كل ما يخلق فيه الاعتزاز بدينه، كل ما يبعث فيه روح الجهاد، كل ما يثير فيه الغيرة على دينه وعلى أمته.

هذا ما يحدث في بلاد كثيرة. يغرسون في الطفل منذ نعومة أظفاره ما يسمّى «نسبية الحقائق»، أي: أنّ الحقائق ليست مطلقة، إذا كنّا نحن ندعو إلى التوحيد ونؤمن بالتوحيد، فهناك من يؤمن بالتثليث، وهناك من يرى أنّ الإله يتجلّى في شجرة أو بقرة، أو نهر أو صنم، هناك وثنية، ومعظم العالم وثنيون، هؤلاء بشر مثلنا من حقهم أن نحترمهم وأن نقرّ بدياناتهم!

إذا كنّا نؤمن برسالة مُحَمَّد فهناك من لا يؤمن بها، هناك من يؤمنون برسل آخرين، وهناك من لا يؤمنون برسالات سماوية.

إذا كنّا نؤمن بالآخرة وأن هناك جنة ونارا، فهناك أناس يقولون بتناسخ الأرواح، وهناك آخرون يقولون: إنه لا جنة ولا نار!

هذه هي «النسبية» التي يتحدّثون عنها، سوفسطائية جديدة.

هذا ما يجري في بعض البلدان، وتحاول بلاد أخرى أن تقلدهم.

«تجفيف المنابع» هو الخطر الذي نراه الآن في كل مكان.

لقد قرأت في إحدى الصحف - في صحيفة يومية سيارة في دولة

(١) مثل تركيا وتونس بصراحة، وفي بلاد أخرى بخبث وتدرج.

خليجية - أشياء تُذهل الإنسان، لا يكاد الإنسان يتصورها، كيف يحدث هذا في بلد عربي مسلم، ولا تهيج الدنيا؟ ولا يقذف هذا الكاتب بالحجارة من الأطفال في الشوارع؟ كيف يحدث أن يكتب إنسان يدين التاريخ الإسلامي كله، يدين الفتح الإسلامي كله؟

ويقول: الروم كانوا عادلين والمسلمون في حربهم للروم كانوا ظالمين! المعتصم الذي نتحدث عنه ونقول: «وا معتصماه»، كان رجلاً ظالمًا، ذهب إلى أناس فقتلهم في بلادهم من أجل امرأة! والمسلمون حينما ذهبوا إلى الأندلس كانوا غزاة لقوم مسالمين، ولذلك حقّ لأهل البلاد أن يطردوهم، وأن يستردوا بلادهم من هؤلاء الغزاة!

ويقول: إنَّ «إسرائيل» اسم معروف في كتبنا وفي قرآننا وفي الكتب المقدسة، لم يكن للعرب حقّ فيها، هي حقّ بني إسرائيل، وهذا وطنهم وقد استردوه، فليس لفئة أن تدّعي أنّها صاحبة الحقّ!

هذا يُكتب في صحفنا، هذا ما لم يقله اليهود، وما لم يقله «هرتزل» ولا «ابن غوريون»، هؤلاء لم يقولوا: أنّهم أصحاب الحقّ وحدهم؛ بل قالوا: نقسم الأرض بيننا، أمّا هذا فيقول: لا، ليس لنا - نحن أصحاب الأرض كما نزع - حقّ في هذا!

جَهْل هذا الشخص المتعالم أنّ الروم كانوا مستعمرين لبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، وأنّ المسلمين كانوا محرّرين لهذه الشعوب، وأنّ الأندلسيين هم الذين استعانوا بالمسلمين لينقذوهم، وأنّ بني إسرائيل لم تقم دولتهم في فلسطين أكثر من أربعمئة (٤٠٠) سنة، وأنّهم حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحين خرجوا منها لم تكن خالية؛ فقد كان فيها أهلها، أهل فلسطين.

وهو يدافع عن الماسونية ويقول: افتحوا المحافل الماسونية،
الماسونية هيئة خيرية إنسانية!

الماسونية أيها الإخوة أداة من أدوات اليهودية العالمية، ومن أدوات
الصهيونية، للتأثير على العالم وسياسته.

أي عيد هذا الذي يقال فيه هذا الكلام ويمر بسهولة؟

أي عيد هذا الذي يحدث فيه ما يحدث لأمتنا الكبرى، من المحيط
إلى المحيط، أمة الألف وثلث الألف من الملايين؟

منذ نحو ستين سنة كتب أحد الشعراء^(١) في أحد الأعياد، قصيدة،
يبكي فيها حال المسلمين، ومما قاله في قصيدته:

قَالُوا: عَجِبْنَا مَا لِشَعْرِكَ بَاكِيًا فِي الْعِيدِ، مَا هَذَا بِشَأْنِ مُعَيِّدٍ؟
مَا حِيلَةُ الْعُصْفُورِ قَصُّوا رِيْشَهُ وَرَمَوْهُ فِي قَفْصٍ وَقَالُوا: غَرَّدِ؟!!

كيف يُغَرِّد العصفور إذ قُصَّ جناحه ونُتِفَ ريشه ووُضِعَ في القفص؟
هل يستطيع أن يُغَرِّد؟!
إنه ينوح ولا يُغَرِّد.

وهذه هي حالنا ما لم نصلح على الله تعالى، ما لم نقرع باب الله
بالتوبة، ما لم نرجع إلى أنفسنا، ما لم نقل ما قال أبونا آدم وأمتنا حواء:
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

صور مشرقة رغم الجراح والألم:

ليس معنى هذا أيها الإخوة أنه ليس هناك بصيص من أمل، وأن
الصورة سوداء من كل جوانبها.

(١) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

إننا حين نتألم، فهذا دليل حياتنا.

تكالب الأعداء علينا يدلُّ على أننا أحياء؛ فالأموات لا يعاديهم أحد.

المبشّرات كثيرة أيُّها الإخوة، فبجوار هذا هناك صور مشرقة:

المساجد ممتلئة بالمصلّين والحمد لله، موسم الحج عامرٌ بالحجاج، اثنان من الملايين حجُّوا هذا العام، الذين يقرؤون الكتاب الإسلامي بالملايين، المنادون بتطبيق الشريعة جماهير غفيرة في كلِّ مكان، صوت الإسلام لا زال مرتفعًا.

الإخوة في البوسنة والهرسك - رغم ضعفهم ووهن حالهم، وعدم وجود سلاح في أيديهم - قاوموا ولا زالوا يقاومون، كانوا يظنُّون أنّ «سرايفو» ستسقط بعد ثلاثة أسابيع، فمرَّ عليها سنة، ومرَّ عليها بعد السنة شهر وشهر، وهي صامدة.

قالت إسرائيل: إنّ الانتفاضة ستنتهي بعد أسابيع، وإنَّ ثورة المساجد ستنتفيء بعد أيام أو أشهر على الأكثر، ولكن الجذوة لم تنطفئ، ظلَّ أطفال الحجارة يكبرون ويكبرون، إلى أن أصبح الأشبال أسودًا، وأصبحوا يخيفون إسرائيل في كلِّ مكان.

رغم تكسير العظام، ورغم إزهاق الأرواح، ورغم سفك الدماء، ورغم الاعتقال والسجون، لا زال أشبال الحجارة يعملون.

وإسرائيل تحاول أن تعوّض عن هذا بحركتها في كلِّ مكان، في المنطقة وفي غير المنطقة، حتّى ذهبت إلى الهند وقالت لهم: نحن معكم ضد الإسلاميين، ضد الأصولية الإسلاميّة، واجتمع الاثنان كما قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

لا زال المجاهدون يعملون، وإخوتنا في كشمير لا زالوا يجاهدون.
هناك إذن ولا شك صور طيبة.

ذهب أحد الصحفيين الكنديين إلى البوسنة وإلى مدينة «سيرفتشا»،
وعايش الإخوة هناك، فأدهشه صلاتهم وقوتهم واستمساكهم بدينهم،
رغم حداثة رجوعهم إلى الدين؛ فقد كانوا تحت حكم الشيوعية.

أعجبه هؤلاء فعاش بينهم، ودخل في دينهم، وتزوج منهم، وأصبح
واحدًا منهم، ثم أراد أن يودعهم وقال: إنني مشتاق إلى أن أذهب إلى
فلسطين، وأريد أن أزور المبعدين في «مرج الزهور»، هؤلاء الصامدون
الذين لم يركعوا أمام ضغط اليهود، لم يحنوا رؤوسهم، لم يطأطأوا
ظهورهم أمام وعد أو وعيد، أمام إغراء أو تهديد، رفضوا أن يعودوا إلا
جميعًا، أو يبقوا في هذه الأرض حتى تكون لهم مقابر.

أراد أن يذهب إلى هؤلاء فقال له الإخوة في البوسنة: نريد أن نبعث
لك شيئًا لإخواننا، هدية، مساعدة، فماذا نبعث؟

جمعوا ما معهم فما استطاعوا أن يجمعوا إلا اثني عشر دولارًا.
قالوا: خذ هذه الدولارات الاثني عشر وأعطها لإخواننا مساعدة
وهدية منا لهم.

كانت رمزًا، ليست شيئًا عظيمًا في مقداره، ولكنها شيء عظيم في
قيمتها لا في مادته، في كيفه لا في كمّه.

ذهب الأخ الكندي إلى أرض المبعدين في «مرج الزهور»، وبلغهم
رسالة إخوانهم، وأنهم معهم بقلوبهم، وأنهم يتمنون لو تحررت أرضهم
ليأتوا إلى فلسطين ليجاهدوا معهم.

وقال لهم: إنهم لم يستطيعوا أن يجمعوا لكم إلا اثني عشر دولارًا، ويرجون أن تقبلوها منهم.

وبكى الإخوة وقالوا: الإخوة في البوسنة يهتمهم أمر إخوانهم في فلسطين، ولم يشغلهم ما هم فيه من مصائب ومآسٍ؟!

هذا هو شأن المسلم، لا يُشغل بأمره الخاص عن أمر إخوانه.

ولهذا قال الإخوة: اجمعوا كل ما تستطيعون لنرد الهدية بهدية مثلها. كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويكافئ عليها، فلنكافئ إخواننا على هديتهم. فجمعوا كل ما يستطيعون جمعه، ممّا معهم وممّا حولهم، حتّى جمعوا «اثني عشر ألف دولار»، وقالوا: هذه هديتنا إلى إخواننا.

هذه هي الروح الإسلامية أيّها الإخوة.

الأمة تستطيع أن تفعل الكثير:

الإسلام بخير، وإذا حدث ما حدث يستطيع المسلمون أن يفعلوا الكثير. سألني بعض الإخوة عما كتبه الأستاذ «فهمي هويدي» في صحيفة «الشرق» وفي «الأهرام» وفي غيرهما: أنّ إنقاذ البوسنة مقدّم على فريضة الحج. قلت له: لسنا في حاجة إلى أن نوقف الفريضة؛ بل لو أنّ الذين يحجّون متطوعين تبرعوا بقيمة حج التطوع، لجمعنا المليارات.

المليونان اللذان حجّا هذا العام، في العادة لا يوجد أكثر من ثمنهم أو سبعمهم يحجّون للمرة الأولى، ومعظم الحجاج دائماً ممن حجّوا مرتين وثلاثاً، وعشرًا وعشرين وأربعين، أعرف أناسًا حجّوا أكثر من أربعين مرّة.

هؤلاء الذين يحجون حجّ التطوع لو أنّهم بذلوا نفقة هذا الحج لله تعالى، وأعانوا إخوانهم، لكان هذا أفضل مرّات ومرات من حجّ التطوع.

وفي رمضان، قالوا: كان هناك في ليلة السابع والعشرين نحو مليونين في الحرم الشريف.. فلو أنّ هؤلاء دفعوا نفقة هذه العمرة - وهي عمرة تطوع - ولو أنّ المسلمين دفعوا زكاة الفطر هذا العام لمساعدة الإخوة في البوسنة - ومعظم المسلمين في العالم يؤدون زكاة الفطر - لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير، وأن يجمعوا الكثير.

ليس لنا قيادة:

ولكن من الذي يقول فيسمع له؟ من ينادي المسلمين؟ كانت لنا قديماً خلافة، يستطيع الخليفة أن يقول: يا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ابدلوا لإخوانكم في فلسطين، أو في البوسنة والهرسك، فيستجيب الناس للخليفة، ويطيعون أولي الأمر منهم. نصارى الكاثوليك لهم بابا في الفاتيكان، والنصارى البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمي، والأقباط الأرثوذكس لهم بطريرك أو بابا في مصر، وهكذا، كلّ جماعة لهم قيادة دينية إلا المسلمين. كان قديماً هناك من يسمى «شيخ الإسلام»، يستطيع أن ينادي المسلمين فيستجيب الناس له.

ولكن هذا لا يوجد الآن؛ لأنّ العلماء أصبحوا في ركاب السياسة، أفسدتهم السياسة، فلم تعد الشعوب تثق بعلمائها، ويقولون: العلماء في كلّ بلد تبع للسلطة الحاكمة، ولذلك العلماء في البلاد الاشتراكية

كانوا يؤيدون الاشتراكية، وفي البلاد غير الاشتراكية يهاجمون الاشتراكية، وهكذا.

المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة.

نحن في حاجة إلى قيادة، وفي حاجة إلى وعي، إلى عقل يفهم الإسلام، ويفهم الحياة، ويفقه سنن الله تعالى، وإلى قلب يؤمن بالإسلام ويحبُّ الله ورسوله، وإلى إرادة تنفِّذ أحكام الإسلام وتلتزم به.

المسلمون أُمَّة واحدة:

لقد وجدنا من النَّاس من ينكر إرسال قيمة الأضحية إلى الإخوة في البلاد التي تموت من الجوع، ويقول: لا يجوز نقل الأضحية، وهناك من يقول: لا يجوز نقل زكاة المال، ومن يقول: لا يجوز نقل زكاة الفطر!

هؤلاء يريدون أن يختصروا دار الإسلام في مدينة، وأن يختصروا أُمَّة الإسلام في قبيلة، وأن يكرِّسوا هذه التجزئة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

الإسلام أُمَّة واحدة، والمسلمون أُمَّة، هكذا سمَّاهم الله، وليسوا أممًا، وأوطان الإسلام دار اسمها: «دار الإسلام»، والمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدُّ على من سواهم، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه»^(١). أي: لا يخذله ولا يتركه يواجه المصائب وحده، فكيف يُقال هذا؟

ما الذي جرى لهذه الأُمَّة حتَّى وجدنا مثل هذه الأقوال العجيبة والغريبة التي تصدر ما بين الحين والحين؟

(١) سبق تخريجه ص ٤٩.



الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة واحدة، وينبغي لكلِّ واحد منها أن يهتم بأمر إخوانه. اهتم بإخوانك في شدَّتهم حتَّى يهتموا بك في شدَّتكَ، لا معنى للإيمان إذا عشت وحدك، إذا قلت: أنا وليخرب العالم، أنا (ولتنهد) الدنيا! أين الإسلام إذن؟ أين الإخوة؟ أين الرابطة التي تربطك بأخيك؟ ليس هناك رابطة أقوى من العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من الإسلام. يا أيُّها الإخوة، إنَّها آلام ودموع وزفرات ونفثات، لا يستطيع الإنسان أن يكتمها في نفسه، لا بدَّ أن ننفس، لا بدَّ للمصدر من نفثة، لا بدَّ للمكلم من زفرة، لا بدَّ للمتألم من دمعة. فهذه دمعاتنا، وهذه نفثاتنا، ولا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

الحج إلى بيت المقدس:

نسيت أن أضيف إلى كتاب الذلّ صفحة، لا بدّ أن نضيفها إلى هذا الكتاب الأسود، وهي صفحة أولئك الذين ذهبوا يحجون إلى بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى!

لقد سألتني مندوب صحيفة «الشرق» عن هذه المأساة، فقلت له: أيّ حج؟ هل يعرف المسلمون حجّاً غير بيت الله الحرام؟ إنّ الحج المفروض على هذه الأمة هو حج البيت على من استطاع إليه سبيلاً^(١).

الذين يسمون زيارة بيت المقدس حجّاً هم النصارى، أمّا نحن فحجنا إلى بيت الله.

حكم زيارة المسجد الأقصى:

المسجد الأقصى عندنا أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلّا إليها^(٢)، وزيارته ليست فرضاً، هي سنة، أمر مستحب.

(١) كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامُوا بِهِمْ * وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]. وقال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت». متفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

(٢) قال ﷺ: «لا تُشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد =



ولكن إنَّما تُستحب زيارة المسجد الأقصى حينما نكون نحن سادته،
أمَّا أن نذهب إليه تحت أسنة رماح بني صهيون، وبتأشيرة من إسرائيل،
ونزوره تحت العلم الإسرائيلي الخفاق، ويستقبلنا الإسرائيليون ليجلسونا
في أفخم الفنادق، فهذه ليست زيارة للمسجد الأقصى، هذا هو الذلُّ
الَّذي نأباه.

نحن في زمان الذلِّ العربي الإسلامي، ذلنا حتَّى أصبحنا نذهب إلى
بيت المقدس تحت الحماية الصهيونيَّة الإسرائيلية.

ليس المطلوب منَّا أن نذهب إلى المسجد الأقصى لنصلي فيه، بل
المطلوب منَّا أن نقود الجهاد لنحرِّر المسجد الأقصى، وأن نصنع
ما صنع صلاح الدين من قبل، حين حرَّر المسجد الأقصى بعد أن ظلَّ
تسعين عامًا في يد الصليبيين.

نحن في حاجة إلى «صلاح» من جديد، نحن في حاجة إلى «قُطر»
من جديد، نحن في حاجة إلى أبطال من جديد، يرفضون الهوان،
ويستعصون على الذلِّ والانحناء، ويقولون لإسرائيل ومَن وراء إسرائيل:
لا، إمَّا أن نعيش أعزَّاء، وإمَّا أن نموت شهداء، ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ^١ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿[التوبة: ٥٢].

ما معنى زيارة المسجد الأقصى وإسرائيل هي التي تتحكم فيه،
تُدخل من تشاء وتُخرج من تشاء، وتُبقي من تشاء وتطرده من تشاء؟! أهذا
الَّذي يسعى إليه المسلم!؟

= الأقصى» متَّفَق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٨، ١١٨٩)،
ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

كان الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَطِيلَ اللهُ عَمْرَهُ حَتَّى يَصِلِي فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، كَانَتْ هَذِهِ أَمْنِيَّةَ حَيَاتِهِ، وَكَانَ صَادِقًا، وَلِذَلِكَ تَأْمَرَ عَلَيْهِ الْمَتَأَمَّرُونَ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَصِلِي فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى «الْحَرَّ»، وَلَيْسَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى تَحْتَ إِدَارَةِ بَنِي صَهْيُونَ.

أَمَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي حِرَاسَةِ الصَّهَائِنَةِ، فَهَذَا أَمْرٌ مَيْسُورٌ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ، وَقَدْ فَعَلَهَا مِنْ فَعَلَهَا.

مَا الَّذِي حَدَثَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؟

هَذَا زَمَانُ الذَّلِّ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، أَصْبَحْنَا نَتَرْضَى إِسْرَائِيلَ، أَصْبَحَ هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: تَعَالَوْا أَيُّهَا الْيَهُودُ إِلَى مَوَاتِنِكُمُ الْقَدِيمَةِ، وَخَذُوا أَمْلاكِكُمْ وَاسْتَرُدُّوا التَّعْوِیضَاتِ، وَأَصْبَحَ هُنَاكَ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَزُورَ إِسْرَائِيلَ، وَأَنْ يَتَقَرَّبَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ!

أَيْنَ الثَّوْرِيَّةُ؟ أَيْنَ جَبْهَةُ الصُّمُودِ وَالتَّصَدِيِّ؟ أَيْنَ الْكَلَامُ الْكَثِيرُ الْكَبِيرُ؟
أَيْنَ هَذَا كُلُّهُ؟

لَقَدْ ضَاعَ وَضِعْنَا مَعَهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَوْلَاءُ الْفَتِيَّةِ، فَتِيَّةُ «حَمَاسٍ» وَفَتِيَّةُ «الْجِهَادِ»، فَتِيَّةُ «ثَوْرَةِ الْمَسَاجِدِ»، الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَنْصُرَهُمُ اللهُ تَعَالَى. قَدْ تَكُونُ الْمَسْأَلَةُ أَكْبَرَ مِنْهُمْ، وَقَدْ تَكُونُ إِمْكَانَاتُ الْعَدُوِّ أَعْظَمَ وَأَخْطَرَ، وَلَكِنَّا مُطَالِبُونَ أَنْ نُعَدَّ مَا اسْتَطَعْنَا مِنْ قُوَّةٍ، وَأَنْ نَتْرَكَ الْبَاقِي عَلَى اللهِ تَعَالَى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذِئْنَ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانَعْتَهُمْ حُصُونَهُمْ مِّنَ اللهِ فَآتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقلّ من ذلك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيزٍ مقتدر.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخيًا رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِحُسْنِهَا إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

لماذا لا يستجيب الله دعاءنا؟

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

سألني أحد الإخوة سؤالاً. قال: اجتمع في صعيد عرفات وفي الأراضي المقدسة أكثر من مليونين من الحجّاج، ذهبوا إلى تلك البلاد متطهّرين، وطافوا بيت الله عاكفين ومتعبّدين، وهرولوا بين الصفا والمروة قانتين ذاكرين، ووقفوا في عرفات ملبّين خاشعين، داعين مُحرمين، ومتجردين من زينة الدُّنيا وزخرفها.

هؤلاء جميعاً دعوا الله تعالى أن ينصر الحقّ على الباطل، وأن ينصر الإسلام على الكائدين له، وأن ينصر المسلمين على عدوّهم، وأن يردّ كيد الكافرين في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأن يُخرج أُمَّة الإسلام من محنتها، ويكشف عنها غمّتها، ويفرّج كربتها.

وشارك مع هؤلاء الحجّاج والمعتمرين من الطائفين والساعين والواقفين ملايين من المسلمين في أنحاء الأرض، صاموا يوم عرفة، وابتهلوا إلى الله تعالى ضارعين أن يؤيّد الإسلام ويعزّز المسلمين.

هذه الدعوات التي صعدت إلى الله تعالى خاشعة ضارعة لماذا لم يستجب لها، في مثل هذا المكان وهذا الزمان؟

المكان مكان مقدس، والزمان زمان مبارك، والقلوب قلوب خاشعة، والألسنة ألسنة طاهرة، فلماذا لم يستجب الله تعالى هذه الدعوات؟! غير مأخوذة للطباعة

لماذا لا تزال الأمة تحت الحصار؟ لماذا لا تزال تُضرب من يمين ويسار؟ لماذا يظلُّ أعداؤها يتحكّمون فيها تحكّم السادة في العبيد؟ لماذا تتلقى الأمة الضربات من هنا وهناك؟ أليست هذه الأمة هي القائمة على الدين الحقّ، الشهيدة على النَّاس؟ أليست هذه الدعوات صادرة من قلوب مخلصّة؟

هكذا سألني أحد الإخوة، وهكذا كان السؤال، فهل لهذا من جواب؟

استجابة الدعاء لها شروط:

والجواب أيُّها الإخوة، أنّ استجابة الدعاء لها شروط، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: استجابة الدعاء لها مدى معلوم، ووقت محدّد، يجب الله تعالى فيه الأدعية في الوقت الذي يريد وبالكيفية التي يريد.

للدعاء شروط. فيا ترى هل نفدنا شروط الدعاء؟

الدعاء وأنت في المعركة:

١ - إنّ من شروط الدعاء على الأعداء: أن تدعو الله وأنت تواجه الأعداء، أن تدعو الله وأنت في الميدان، لا تتخلى عن الجهاد، ولا تتخلى عن البذل والتضحية.

هكذا دعا المسلمون يوم بدر حينما واجهوا المشركين، وكانوا أقلّ عددًا وأضعف عدّة، وأضالّ استعدادًا، كان المشركون حوالي الألف،

وكان المسلمون ثلاثمائة يزيدون قليلاً، كان مع المشركين مائة فرس، والمسلمون لم يكن معهم إلا فرسان، المشركون خرجوا للحرب، والمسلمون خرجوا للقاء القافلة، للقاء العير.

ولكن حينما فرض على المسلمين أن يواجهوا المعركة، واستغاثوا بالله، ودعوا الله تعالى، رفعوا أيديهم إلى السماء: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. استغاثوا بالله فأغاثهم، أغاث لهفتهم وأجاب دعوتهم؛ لأنهم دعوا وهم مستعدون للمعركة.

النبي ﷺ كان يدعو الله ويلح عليه في الدعاء، ويقول: «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: «يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك»^(١).

هذا هو الدعاء، الدعاء في قلب المعركة.

يحدثنا القرآن عن أصحاب طالوت وكانوا قلة، كانوا في عدد أهل بدر - ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً - وحينما رأوا جنود جالوت وهم أكثر عدداً وأقوى عدة، قالوا أو قال الكثيرون منهم: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهَ ﴿﴾، من أهل الإيمان، ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴿﴾، أصبحوا وجهًا لوجهٍ وصفًا لصف،

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، وأحمد (٢٠٨)، عن عمر بن الخطاب.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، هكذا دعوا وهم في قلب المعركة، وفي أتون المعركة، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

المشكلة أننا ندعو الله ونحن بعيدون عن المعركة، ندعو الله أن ينصر الإسلام وأن يعزّ المسلمين ونحن قعود على جنوبنا، ولا نريد أن نبذل أنفسنا ولا أموالنا، ولا نضحّي بغالٍ ولا رخيص، وما هكذا يُستجاب الدعاء.

إنما يستجيب الله الدعاء من قوم بذلوا ما يستطيعون، وتركوا لله ما لا يستطيعون، الله هو الذي يكمل النقص ويسد الثغرات؛ لأنّ النصر من عنده.

كان المسلمون في بدر قليلاً، فكثّرهم الله بالملائكة: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

الملائكة نزلت في بدر، والملائكة نزلت في الخندق، والملائكة نزلت في حنين، ولو أراد الله أن ينزل علينا الملائكة اليوم لأنزلها، ولكن الملائكة لا تنزل في فراغ، إنّما تنزل على قوم مؤمنين مجاهدين، باذلين مضحين: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا بدّ أن يوجد الذين آمنوا في الأرض؛ حتّى تنزل عليهم الملائكة من السماء، بشرى من الله لهم، وتثبيتاً من الله لهم.

لا بدّ لكي يُستجاب الدعاء أن تكون في قلب المعركة.

وصل الخط مع الله:

٢ - ولا بدّ لكي يستجاب الدعاء أن تكون الخطوط موصولة بيننا وبين الله تعالى، إذا كان الخطُّ مقطوعاً وظللت تستنجد بشرطة النجدة أو بشرطة الإطفاء أو برجال الإسعاف، فلن يستجيب لك أحد؛ الخطُّ مقطوع بينك وبينهم، مهما حاولت أن تتكلم وتصرخ، مهما رفعت صوتك وجهرت بقولك، فلن يسمعك أحد.

صِلْ الخطَّ بينك وبين من تنادي يسمعك، صِلْ الخطَّ بينك وبين الله يستجب لك!

نحن قطعنا الخطوط ما بيننا وبين ربنا: بما نفعل من معاصٍ، بما نرتكب من موبقات، بإعراضنا عن شرع الله وحُكمه، بارتكابنا لأشياء ممّا حرّم الله تعالى، بتهاوننا في فرائض الله، بتركنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك ندعو فلا يُستجاب لنا.

في الحديث: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطنَ الله عليكم شراركم، ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم»^(١).

لا بدّ أن نظهر مجتمعاتنا من المآثم، من الجرائم، من المنكرات؛ حتى تكون مجتمعات مسلمة بحقّ.

الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٣٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١٣٤): رواه الطبراني في الأوسط والبخاري، وفيه حبان بن علي وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها. عن أبي هريرة.

لا ينصر الله إلا من ينصره، فمن هم الذين ينصرون الله؟ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. هؤلاء الذين يستحقون نصر الله.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وإذا نصركم الله فلن تُخذلوا ولن تُغلبوا، من استنصر بالله فلن يُغلب، من اعتزَّ بالله فلن يُذلَّ، من استكثر بالله فلن يقلَّ، من استغنى بالله فلن يفتقر، من استقوى بالله فلن يضعف أبداً: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

لا بدَّ أن تكون الخطوط موصولة بالله تعالى.

الإخلاص وصدق العبودية لله:

٣ - وأوَّل ما يصل الخطوط بيننا وبين الله هو: إخلاص النية، وإخلاص العمل لله، أن نجرِّد القلوب لله، أن نطهرها من حبِّ الدُّنيا وحبِّ الذات، أن نعلِّقها بالآخرة وبالله تعالى.

إذا ظللنا نركض وراء الدُّنيا عبيداً لها، نسعى وراء متاعها، نركض خلف شهواتها، فلن يستجيب الله لنا.

لا بدَّ أن نكون عبيداً لله، خالصين لله، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. انظر إلى قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ هذه الإضافة لها معنى؛ لا بدَّ أن تكون عبداً لله، أن تشعر بالعبودية لله وحده.

أما إذا كنت عبداً للشيطان، عبداً للدنيا، عبداً للدينار والدرهم، عبداً للكاس والطاس، عبداً للمرأة وللغريزة، إذا كنت عبداً لأي شيء من ذلك فلن يستجيب الله دعائك.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: هو أقرب ما يكون إلى عباده، أقرب إليهم من حبل الوريد، أقرب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، أقرب إليهم من أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: «فقل: أني قريب»، كأنه يقول: إنه لا حاجة إلى واسطة بيني وبين عبادي إذا دعوا؛ فإني قريب منهم، أنا معهم حيثما كانوا، ولم يقل: هم أقرباء مني.

ولذلك قال النبي ﷺ للصحابة وقد جهروا بالدعاء يوماً: «أربعوا على أنفسكم»، أشفقوا على أنفسكم، «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم»^(١)، «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم»^(٢).

جاء في بعض الأحاديث: «لو عرفتم الله حقَّ معرفته لزالتم بدعائكم الجبال»^(٣).

إنَّ الله لا يعجزه شيء، ولا يبيد على قدرته شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤) (٤٤)، عن أبي موسى.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٧٠٤) (٤٦).

(٣) رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٨٠٢)، وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ١٦٢٧: إسناده فيه لين. عن معاذ بن جبل.

المشركون في ساعة الشدة يدعون الله تعالى، فيستجيب الله لهم،
لماذا؟

لأنهم يدعون مخلصين له الدين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم
بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ﴾ في هذه الحالة والموت يطاردهم، والهلاك من يمينهم
ويسارهم ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

المهم أنه في ساعة الشدة، في ساعة الأزمة، حينما تبلغ الأزمة
ذروتها، يتجرد الإنسان من كل الآلهة الزائفة، لا ينادي هبل ولا مناة
ولا اللات ولا العزى، ولكن يقول: يا رب، يقولها من أعماقه، من
سويداء قلبه، مخلصاً لله الدين.

وما دام قد أخلص الدين لله، وعاد إلى الفطرة، أي: إلى التوحيد
الخالص ودعاه دعاء المضطر المغلوب، فإن الله يستجيب دعاءه، وينجيه
من الكرب.

من المهم جداً أن ندعو الله مخلصين له الدين حتى يستجيب لنا.
لا بد أن في دعائنا خللاً، لم تتمحض النية لله، لم يكن الدعاء خالصاً
كما ينبغي لله رب العالمين، شابته الشوائب، وكدرته الكدرات.

التطهر من الحرام:

٤ - ومن ناحية أخرى، فإن من شروط استجابة الدعاء: أن تكون
متطهراً من الحرام، في مأكلك ومشربك، وملبسك ومعيشتك، أن تعيش
على الحلال، وتتغفف عن الحرام.

أما إذا كنت تأكل الحرام، وتشرب الحرام، وتلبس الحرام، وتتغذى بالحرام، فهيات أن يستجيب الله لك؛ لقد جاء هذا في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة: «إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طِيبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، [أمر الجميع بأكل الطيبات]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام [جسمه تغذى على الحرام، ونبت من حرام]. فأنى يُستجاب لذلك؟»^(١) عيشه حرام في حرام، وهو يطيل السفر، والسفر من مظنة الاستجابة، خصوصًا مع الشعث والغبرة، ولعله في سفر حجّ أو عمرة، أو طلب رزق، أو طلب علم.

مع هذا السفر، ومع أنه أشعث أغبر، ومع أنه يرفع يديه إلى السماء، ومع قوله: يا رب يا رب، ومع تكرار الدعاء والإلحاح على الله، وهذا كله من مرشحات الاستجابة للدعاء، مع هذا كله يقول النبي ﷺ: «فأنى يُستجاب لذلك؟»، هيات أن يُستجاب.

ولذلك لما سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، ادع الله لي أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»^(٢)، يعني: اجعل طعامك ومعيشتك من حلال طيب قبل كل شيء، تكن مستجاب الدعوة.

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥)، وقال ابن رجب في شرحه للحديث العاشر في كتاب جامع العلوم والحكم (٢٦١/١): إسناده فيه نظر. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٨١٢)، عن ابن عباس.

هؤلاء الذين يدعون الله: كم منهم من يعيش على الحلال الصرف، لا يأكل الحرام، لا يأكل الفوائد الربويّة، لا يتعامل بمعاملات محظورة، لا يطمع في حقوق الآخرين، لا يظلم عماله ولا موظفيه، لا يأكل عرق أجير، لا يأخذ مالاً بغير حقّ؟ كم من الناس طهّر رزقه، طهّر دخله من كلّ حرام أو شبهة حرام؟ «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»^(١).

لكي يستجيب الله دعاءنا لا بدّ أن نصل ما بيننا وبين ربّنا: بتحرّي الحلال والبعد عن الحرام، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بإخلاص النية لله تعالى، بالوقوف عند أمر الله ونهيه، بأن نكون كما أراد الله لنا ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ندعوه رغبا ورهبا؛ كما وصف الله عباده الصالحين وأنبياءه الصادقين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، رغبا فيما عند الله، ورهبا ممّا عند الله، رغبا في الجنّة، ورهبا من النّار، رغبا في مثوبة الله وفضله، ورهبا من عقوبة الله وعدله.

نحن في حاجة إلى تطهير هذه القلوب ووصلها بالله تعالى، حتّى إذا دعونا الله دعونا بحرارة وحرقة، جازمين بدعائنا، موقنين بالإجابة، كما قال النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم مسألته؛ فإنه لا مكره له»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم في الذّكر والدّعاء (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة.

القلوب الميَّتة لا يُستجاب لها دعاء:

ينبغي أن ندعو الله مخلصين له الدين، وأن نكون مسلمين حقًا، ذوي قلوب حيَّة لا قلوب ميَّتة.

ذهب إبراهيم بن أدهم إلى سوق البصرة، فاجتمع عليه النَّاس وقالوا له: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال لهم: لأنَّ قلوبكم قد ماتت بعدة أشياء: أولها: أنكم عرفتم الله ولم تؤدوا حقَّه. وثانيها: أنكم زعمتم أنكم تحبُّون رسول الله وتركتم سنَّته. وثالثها: أنكم زعمتم أنَّ الموت حقٌّ ولم تستعدُّوا له. رابعها: آمنتم أنَّ الجنة حقٌّ ولم تستعدُّوا لها. وخامسها: أيقنتم أنَّ النَّار حقٌّ ولم تهربوا منها. سادسها: أنكم قمتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب النَّاس ونسيتم عيوبكم، وأنكم... وأنكم^(١).

قلوبكم ماتت، والقلوب الميَّتة لا يُستجاب دعاؤها، إنَّما يستجيب الله الدعاء من قلب حي، ولا يستجيب الله الدعاء من قلب غافل أو قلب ميَّت.

دعاء المكروب:

التقم يونسَ الحوتُ حينما خرج مغاضبًا قومه، لم يصبر عليهم وتركهم، فعاقبه الله بأن ركب في السفينة، وكان العدد فيها أكثر ممَّا ينبغي، وفي وسط البحر قالوا: لا بدَّ أن نلقي بعض الرِّكَّاب من السفينة، واقترعوا؛ فخرج السهم عليه، أعادوا القرعة مرَّة ومرَّة، وفي كلِّ مرَّة يجيء السهم عليه، رموه في البحر، فالتقمه حوت ضخم، حوت كبير، وكان المفروض أن يصبح هذا الحوت قبرًا له، ولكنَّه نادى في الظلمات:

(١) رواه أبو نُعيم في الحلية (١٥/٨)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

بهذه الكلمات الموجزة نادى ذو النون - أي: صاحب الحوت - ربّه، كلمات تتضمن:

١ - التوحيد: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

٢ - والتنزيه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك عن الظلم، أنت لم تظلمني، أنا الذي ظلمت نفسي.

٣ - والاعتراف: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

فنجّاه الله من الغمّ، وأخرجه من الكرب، ولفظه الحوت على الشاطئ نتيجة هذا الدعاء الخالص: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

فإذا وقع الناس في مثل ما وقع فيه يونس، ودعوا الله بمثل دعائه، بحرارة وإخلاص وأمل، استجاب الله لهم، ونجّاهم من الغمّ، وكشف ما بهم من ضرّ.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(١)، وفي رواية: فقال رجل:

(١) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. ورواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، وسكت الترمذي عنه؛ إلا أنه قال: ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد؛ فلم يقل فيه عن أبيه. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤١٧)، والحاكم في التفسير (٣٨٣، ٣٨٢/٢)، وضح إسناده، ووافقه الذهبي. عن سعد بن أبي وقاص.

يا رسولَ الله، هل كانت ليونس خاصّة أم للمؤمنين عامّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^(١).

يا أيُّها الإخوة، نحن ندعو الله كثيرًا، ولكننا في حاجة إلى أن نحقق شروط الدعاء؛ حتّى يستجيب الله تعالى لنا، وهو يستجيب لنا في الوقت الذي يشاء، وبالكيفية التي يشاء.

الاستمرار في الدعاء:

نحن لا نعرف متى يستجيب الله لنا، المهم أن نستمر في الدعاء، وأن نلح على الله تعالى ولا نياس، ولا نستعجل، النبي ﷺ يقول: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»^(٢). وفي رواية: قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»^(٣) يملُّ ويترك الدعاء.

ألح على الله باستمرار، لا تياس من روح الله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. الدعاء مطلوب؛ لأنّه عبادة، كما قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(٤)، ثم تلا قول الله تعالى:

(١) رواه الحاكم في الدعاء (٥٠٥/١، ٥٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥) (٩٢)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٩)، عن النعمان بن بشير.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾، أي: دعائي، فوضع كلمة العبادة موضع الدعاء ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

كيف يُستجاب الدعاء:

ومن ناحية أخرى لا ندري كيف يستجيب الله لنا؟

وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجَّلَ له دعوته»، يحقق له أمنيته وطلبه عاجلاً، «وإمّا أن يدَّخرها له في الآخرة» مثوبة عند الله تعالى «وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها» يكف عنه بلاء كان سيحلُّ به. فقال الصحابة: إذن نُكثِر (ما دامت المسألة رابحة رابحة إذن نُكثِر من الدعاء) قال: «الله أكثر»^(١). أي: ما عند الله أكثر ممّا تسألون.

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان منهم مسألته، ما نقص ذلك ممّا عندي إلاّ كما ينقص المِخِيط إذا أدخل البحر»^(٢). المِخِيط: هو ما يخاط به الثوب كالإبرة، فإذا وضعتها في الخليج أو في المحيط؛ ماذا تنقص منه؟! لا تنقص منه شيئاً.

(١) رواه أحمد (١١١٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده جيد. والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في البرّ والصّلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.



لندعو الله أيُّها الإخوة، لنستمر في الدعاء، ولنحاول أن نحقق شروط
الدعاء؛ حتّى يستجيب الله لنا، وينصرنا على عدوه وعدونا، ويعزّز دينه،
ويعلي كلمته، ويرفع رايته في الأرض، وما ذلك على الله بعزيز.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ماذا جنى موسى أبو مرزوق؟

في هذا الأسبوع حدث حادثان كبيران في عالم الغرب، كلا الحدثين يدلُّ على أنّ للصهيونية يدًا طويلة، أصبحت هذه اليد تنال العالم كلّهُ، وتؤثر فيه، تؤثر على الصحافة وعلى الإعلام، وتؤثر على المؤسّسات الأكاديمية والتربويّة، وتؤثر على المؤسّسات القضائيّة والحكوميّة.

في هذا الأسبوع حكم القضاء الأمريكي على الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلاميّة «حماس»، حكم عليه بتسليمه لإسرائيل، إعطائه لقمة سائغة لإسرائيل، تقديمه هدية أو مكافأة لصاحب مجزرة قانا «بيريز».

«بيريز» الذي يجب أن يُحاكَم في محكمة عالميّة، على مجزرتة التي ارتكبتها وقتل فيها من قتل، حتّى دانته الأمم المتحدة نفسها.

«بيريز» الذي فعل ما فعل، يُكافأ بأن يُسلّم إليه رئيس المكتب السياسي لحماس.

ماذا جنى موسى أبو مرزوق؟

ما جنى موسى أبو مرزوق جناية، ولا اجترم جريمة، إلّا أنّه كان يجاهد جهادًا مشروعًا للدفاع عن وطنه الذي احتل، وأرضه التي اغتصبت، وهذا حقٌّ مشروع لكلِّ إنسان في كلّ دساتير العالم، وموثيق

حقوق الإنسان، تقرُّ ذلك الأديان والمذاهب والفلسفات السماوية والأرضية، كلها تقرُّ حقَّ الإنسان في الدفاع عن وطنه.

وهو كان يجاهد بالكلمة، بالعمل السياسي، لا بالعمل العسكري. ولكن إسرائيل استطاعت أن تؤثر في القضاء الأمريكي، الذي أصبح يتحيز لإسرائيل، وكلُّ شيء في أمريكا أصبح متحيزاً لإسرائيل في هذا العهد، حتّى قالت صحف إسرائيل نفسها تصف الرئيس الأمريكي: إنّه أصبح كالولد الصغير المطيع لإسرائيل.

أين العالم الإسلامي ليحتج على هذا؟

أين أمّة العرب وأمّة الإسلام؟

هذا أمر لا يجوز أن يُسكت عليه.

هذا الحدث الأوّل في هذا الأسبوع.

الحكم على «روجيه جارودي» بالسجن والتغريم:

وشيء آخر حدث أيضاً قبله، وهو الحكم على المفكّر الفرنسي المعروف «روجيه جارودي» أو «رجاء جارودي»، الذي حكم عليه القضاء الفرنسي من أجل كتاب كتبه هو «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»، وهذا الكتاب نشره نشرًا محدودًا في دار لا توزع منشوراتها على الجماهير، إنّما تتوزع منشوراتها على المشتركين فيها.

حوكم رجاء جارودي وحُكم عليه بالسجن سنة، وتغريمه ثلاثمائة ألف «فرنك فرنسي».

ما هي جريمة جارودي؟

ليس له جريمة إلاّ أنّه قال الحقيقة أو بعض الحقيقة.

قال: إنَّ ما نشره اليهود عن المذابح التي أُجريت عليهم قبل الحرب العالميَّة، وفي خلال الحرب العالميَّة، من أفران الغاز التي أهلكت ستَّة ملايين يهودي، ليس بصحيح.

هذا رقم مبالغ فيه جدًّا؛ لأنَّ اليهود في أوربا كلُّها حسب إحصاءات ذكرها في كتابه، لم يبلغوا هذا المبلغ، وأنَّ اليهود أنفسهم غيَّروا هذه الأرقام، كانوا يقولون: إنَّ أحد المعسكرات في ألمانيا قتل فيه أربعة ملايين يهودي حرقًا، وظلُّوا يقلِّلون الرقم حتَّى أوصلوه إلى مليون.

وهناك أشياء كثيرة لا زالت ملفَّاتها لم تفتح، من ملفَّات الحرب العالميَّة الثانية، وحينما تفتح هذه الملفَّات سيظهر أنَّ هناك أكاذيب كثيرة، رَوَّجها اليهود.

فلسطين لا يمكن أن تدفع ثمن جريمة لم ترتكبها:

ثم يقول: وهبْ أنَّ «هتلر» ظلم اليهود أو أحرقهم، ما ذنب الفلسطينيين حتَّى يدفعوا ثمن جريمة لم يرتكبوها، ويُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ، ويُشرِّدوا من فلسطين؟ ما علاقة هذا بهذا؟

الرجل يقول الحقيقة، وذكر أدلة كثيرة في كتابه، أدلة علميَّة ومنطقيَّة، ومع هذا قامت الدُّنيا ضده ولم تقعد. فُتحت النَّار عليه من كلِّ مكان، وانطلقت كلاب جهنَّم تنهش في لحمه وعظمه، وتشيع عنه الإشاعات، حتَّى وقَّتوا في هذا الوقت حملة عليه في البلاد الإسلاميَّة. تتهمه بالردَّة عن الإسلام، وهذا الرجل يقول: أنا ما ارتدَدْتُ عن الإسلام، كلُّ ما فعلته أنِّي أدافع عن الإسلام وعن العرب وعن فلسطين، وما أنكرت السُّنَّة ويكفيننا منه هذا.

وهب أنه ارتدّ، أو هب أنه لم يدخل في الإسلام - كما قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ - ليكن هو رجلاً حرّاً، رجلاً مفكِّراً، يقاوم أكاذيب الصهيونيّة، ويتكلّم بالحقائق وبالأرقام وبالمنطق؛ فلماذا يُصنع به هكذا؟ لماذا تسلّط عليه أجهزة الإعلام، وتقول عنه ما تقول، ولا يُمكن من حقّ الدفاع؟

أرسل ردّه على هؤلاء الذين كتبوا عنه، وقال: إنّ المشكلة أنّ هؤلاء الذين هاجموني لم يقرؤوا ما كتبت، إنّما هم مندفعون لعلّة أو لأخرى، ولسبب أو لآخر.

دفعتهم الصهيونيّة، أو دفعت لهم الصهيونيّة؛ لينهشوا عرض الرجل، ويقولوا فيه ما ليس بحقّ.

حقوق الإنسان ضاعت:

ثم إذا ردّ على تلك الكتب وأرسل إليها لم تنشر ردّه صحيفة واحدة، أين حقوق الإنسان؟ أين الحرّيّة في بلاد الحرّيّة والنور والديمقراطية، إذا كان الإنسان لا يُمكن من حقّ الدفاع عن نفسه؟! وهو حقّ مكفول في العالم كلّه. من حقّك أن تردّ على من اتهمك، أو أساء إليك في صحيفة، هذا حقّ اعترف به العالم.

ولكن إذا كان هذا الحقّ يمس الصهيونيّة أو يمس إسرائيل، فكلّ الحقوق مهدرة، وكلّ الحقوق غير معترف بها.

هذا هو الذي يجري عليه العالم.

ترى هل أصبح العالم عالمًا ظالمًا؟ هل أصبح عالمًا جائرًا؟ هل أصبحت حرّيّة الإنسان وحقوق الإنسان يُعمل بها إذا كانت ضد أهل

الحقّ، ولكن إذا كانت في مصلحة أهل الحقّ، فإنّ هذه الحقوق لا قيمة لها ولا وزن لها، ولا يعمل بها أحد؟

هاتان قضيتان أثرتا في أسبوع واحد أيّها الإخوة!

وهذا يدلُّنا على أنّنا أمام عدو خبيث ماكر، أمام الصهيونيّة العالميّة، التي أصبحت تؤثر في الإعلام، وتؤثّر في القضاء، وتؤثّر في كلّ نواحي الحياة، وخصوصاً في الغرب عامة، وفي أمريكا خاصة. وذلك بما تملك من مال، وبما تملك من دهاء، وبما تملك من وسائل، منها المقبول ومنها غير المقبول، منها المشروع ومنها غير المشروع، بل معظمها غير مشروع. ولكن إسرائيل لا تتورّع عن وسيلة ما، إسرائيل تصل إلى ما تريد بكلّ وسيلة، ولو كان ذلك «الدم»، ولو كان ذلك «القتل»، ولو كان ذلك «الاتهام بالباطل والكذب والافتراء».

النصر آت لا ريب:

إنّنا لن نستسلم، سنظلُّ نقاوم ونقاوم، ونصبر ونصابر، ونرابط ونحن منصورون إن شاء الله.

النصر لنا، قد يتأخر قليلاً، ولكنّه آت لا ريب فيه. يقيننا بهذا يقين مطلق؛ لأنّ معنا وعد الله ووعد رسوله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرّوم: ٤٧].

اللهمّ انصر دينك على الأباطيل، اللهمّ انصر المسلمين على أعدائهم.

اللهمّ ارفع راية الحقّ، اللهمّ ارفع راية الإيمان، اللهمّ اعلّ كلمة الإسلام.

اللهم اجعل كلمتك هي العليا، واجعل كلمة أعدائك هي السفلى.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقلّ من ذلك.

اللهم اكرمنا ولا تُهنا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا ولا تولّ أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود، وانصرنا على الصرييين، وانصرنا على الروس، وانصرنا على الهندوس، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الإسلام، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
 وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كان النَّاس في هذه البلاد في الأزمنة الماضية يعرفون قيمة أوقاتهم،
ويصرفونها في طاعة الله.

كانوا يسيرون على نظام الحياة اليومي للمسلم، ينامون مبكرين
ويستيقظون مبكرين.

كنتُ أرى النَّاس ينامون بعد صلاة العشاء، ويستيقظون قبل صلاة
الفجر، فتدب الحياة في المدينة كلّها من قبل الفجر.

ثم تغيّرت الحياة فأصبح النَّاس يسهرون سهرًا طويلًا، ولا يستيقظون
إلا بعد طلوع الشمس، فيضيّعون الصلاة، ويضيّعون الوقت الجميل،
وقت البكور، الذي دعا النَّبي ﷺ له بالبركة فقال: «اللهم بارك لأمتي في
بكورها»^(١).

كان النَّاس يستقبلون الصباح الجميل في نداوته وطراوته وطهارته
قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، فيستفيدون من الوقت مبكرًا.

ولكن النَّاس الآن أصبحوا يسهرون ويقضون كثيرًا من الليل،
ولا يستيقظون إلا متأخرين.

ما أجدرنا أن نحاول أن نعود إلى نظام الحياة اليومي للإنسان
المسلم، وأن نستغلّ أوقاتنا فيما يرضي الله تعالى.

(١) سبق تخريجه ص ٦٣.

السلف الصالح ألفوا كتبًا سموها: «عمل اليوم والليلة»^(١). ماذا يفعل المسلم في يومه وليلته؟ ماذا يقول حينما ينام؟ وماذا يقول حينما يستيقظ من نومه؟ وماذا يقول عندما يأكل، وعندما يشرب، وعندما يلبس ثوبه، وعندما يخرج من بيته، وعندما يدخله، وعندما يركب دابته؟ إلخ. كلُّ شيء له ذكر خاصُّ به، وله دعاء مأثور، وله أدب من الآداب.

ليحرص المسلم على مراعاة هذه الآداب؛ حتَّى يكون دائمًا ذاكراً لله تعالى، حامداً له، مراقباً لله في أعماله، يراقب الله في سرِّه ونجواه، في جلوته وخلوته، في البيت وفي الطريق وفي العمل «اتق الله حيثما كنت»^(٢)، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

نسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرّة، ولا تجعلنا من الغافلين.

اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

(١) وهي كتب تبين الأقوال والأعمال الدينية المطلوبة من المسلم في يومه وليلته وصباحه ومساءه، ومن أشهرها كتاب: عمل اليوم والليلة للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، وللحافظ ابن السني تلميذ النسائي كتاب بنفس العنوان.

(٢) رواه أحمد (٢١٥٣٦)، وقال مخرّجه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. عن أبي ذر.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى،
وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم انصرنا على أعداء المسلمين، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم
انصرنا على كل من عاون اليهود.

اللهم انصرنا على الطغاة والظالمين والملحدين في كل مكان.

اللهم انصرنا نصرًا تؤيد به الدين، وتعلي به كلمة الحق واليقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الوقت في حياة المسلم^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

هذه آخر جمعة في هذا العام الهجري: العام الثالث بعد الأربعمئة والألف من هجرة الرسول ﷺ.

وقفة لحساب النَّفس:

ومن واجب الإنسان المسلم أن يقف مع نفسه كلّما مرّ عام ليحاسبها على عام مضى، ماذا صنع فيه؟ ماذا قدّم فيه؟ ماذا هبّ من زاد لآخرته؟ ماذا كسب وماذا خسر؟ كما يفعل التاجر الناجح على رأس كلّ عام: يجرد دفاتره، ويراجع سجلّاته، ويعرف كم خسر وكم ربح؟ وفيم خسر وفيم ربح؟ وما أسباب الخسائر؟ وما أسباب الأرباح؟ وذلك ليتفادى أسباب الخسارة، وليزيد من أسباب الربح.

هذا في أمر الدُّنيا، في ربح دنيوي، قد ينتفع به وقد لا ينتفع، وإذا

(١) لي كتاب بهذا العنوان، يدور الكلام فيه حول عناية القرآن والسُّنة بالوقت، وخصائصه، وتنظيمه، والنظرة الصحيحة إلى الزمن (أمسه ويومه وغده).

انتفع به حيناً فقد لا يدوم النفع له كثيراً، وإذا دام مدّة من الزمن فهو نفسه لا يدوم: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ *
 أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴿النِّسَاء: ٧٧، ٧٨﴾.

لا بدّ من وقفة إن لم تكن كلّ يوم لمحاسبة النَّفس فلتكن كلّ أسبوع، فإن لم تكن كلّ أسبوع فلتكن كلّ شهر، فإن لم تكن كلّ شهر فلتكن كلّ عام، يحاسب الإنسان نفسه فيه: ماذا فعل؟

جرت عادة النَّاس كلّما مضى عام من حياتهم أن يحتفلوا بما يسمى «عيد ميلادهم»، عادة غريبة لها طقوس وتقاليد: طعام يؤكل، وشموع توقد ثمّ تطفأ.

وكان أولى بالإنسان العاقل بدل هذه البدع، وبدل هذه التقاليد المستوردة، أن يقف وقفة متأنية مع نفسه يحاسب نفسه: ماذا قدّم في عام؟ وأن يبكي على نفسه، على تقصيره، على تفريطه في جنب الله، وفي حقّ نفسه وفي حقوق النَّاس، ولكن النَّاس لا يفعلون.

الوقت هو الحياة:

الوقت يمضي يوماً بعد يوم، والوقت هو العمر، الوقت هو الحياة. كما قال رجل من أئمة هذا العصر «الشيخ حسن البنا».

النَّاس يقولون: الوقت من ذهب. ولكن ما الذهب؟ وما الفضة؟ وما الماس؟ وما الجواهر؟

كلُّها ماديّات، ولكن الوقت أغلى من هذه الجواهر الثمينة كلّها، الوقت هو «الحياة».



ما هي «حياتك» أيها الإنسان؟

هي: الوقت الذي تقضيه من المهد إلى اللحد، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، من صرخة الوضع إلى أنة النزاع.

هذا الوقت هو «حياتك»، فإذا أضعت وقتك فقد أضعت حياتك.

الذين يقولون: تعالوا نقتل وقتنا! هؤلاء حين يقتلون أوقاتهم؛ إنما يقتلون أنفسهم ولا يشعرون، ينتحرون انتحارًا بطيئًا.

جريمة تبديد الوقت:

أعظم الجرائم التي تُرتكب، هي الجرائم التي نرتكبها في حقّ الوقت، أعظم الإسراف والتبديد هو تبديد الأوقات، إنه أعظم من تبديد الأموال.

نحن نرى أمتنا تضيّع أوقاتها سُدى، تذهب الأوقات والأعمار عبثًا، قلّمًا تجد في النَّاس من يُنتج، قلّمًا تجد من يحسن عملاً، في الليل سهر وبطالة وكلام فارغ، وفي النَّهار كلام في أعراض النَّاس، حتّى النَّاس في أعمالهم ووظائفهم الرسميّة لا يكادون يعملون!

أمتنا لا تعمل:

رأيت النَّاس في أوروبا وأمريكا يتعبون في أعمالهم، يعانون ويعرقون من الصباح إلى المساء يومًا كاملاً، من فترتين، ويعودون إلى بيوتهم مكدودين ليقضوا بعض الوقت مع أسرهم وأولادهم. ولكن النَّاس في بلادنا وحدها قلّمًا يعملون، ولذلك يسهرون إلى ما بعد منتصف الليل، ويتسكعون في الشوارع هنا وهناك في أنحاء النَّهار لا يعملون حتّى لدنياهم.

نحن لا ننتج، نتكل على غيرنا في استيراد أهمّ أمورنا، ومقومات حياتنا، القوت الذي نتغذى به نستورده من غيرنا، بلاد المسلمين والعرب بلاد زراعية، ومع هذا لا تكتفي بما عندها، لا بدّ أن تمدّ يدها لتستورد القوت، الحبوب والغذاء، واللحوم والمصنوعات الكبيرة والثقيلة، كلّها نستوردها.

السلاح الذي ندافع به عن وجودنا لا نصنعه بل نستمدّه من غيرنا، لماذا؟ لأننا لا نعمل، نحن أمة لا تعمل، تضيع أوقاتها سدى، الفرد يضيع وقته، والأسرة تضيع وقتها، والناس يضيعون أوقاتهم.

لكلّ وقت حقّ:

الوقت له قيمة عظيمة في الإسلام، ولهذا أقسم الله تعالى به في كتابه، أقسم بأجزائه، أقسم بالفجر، وأقسم بالضحى، وأقسم بالعصر، وأقسم بالليل، وأقسم بالنهار، لماذا هذا القسم كلّهُ؟

إنّ الله إذا أقسم بشيء فإنما يقسم به ليلفت أنظارنا إلى أهميته وإلى خطورته، حتّى نتفكر في أجزاء الوقت كلّهُ: فجره وضحاؤه وعصره، وليله ونهاره.

قسّم الله الفرائض والواجبات على الأوقات؛ حتّى نشعر بكلّ جزء من أجزاء الوقت.

إذا انكشف نقاب الليل الأسود عن وجه الصباح الأبيض قام مؤذن يؤذّن: الله أكبر الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم، يُشعرنا بقيمة نهار جديد، وصبح جديد. فإذا قام قائم الظهره وزالت الشمس من كبد السماء، قام مؤذن جديد يؤذّن للظهر، فإذا صار

ظُلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُهُ أَذُنُ أَذَانِ الْعَصْرِ، فَإِذَا غَرَبَ قَرَصَ الشَّمْسُ كَانَ الْمَغْرِبَ، فَإِذَا غَابَ الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ كَانَتْ الْعِشَاءُ.
كُلُّ هَذَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ لِكُلِّ وَقْتٍ حَقًّا يَجِبُ أَنْ يُؤَدَّى، يَجِبُ أَلَّا يُهْمَلَ.

خطر التسويف:

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك؛ لأنه يعمل في عمرك، كما قال عمر بن عبد العزيز: «إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا»^(١).
يعملان فيك: يقطعان في عمرك، يبليان كلَّ جديد، ويقربان كلَّ بعيد، ويقصِّران كلَّ طويل.

في كلِّ صبيحة تصطبح بها تقترب من القبر خطوة، وتبتعد عن الميلاد خطوة، فأنت مولود لتموت.

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ وَ يَصِيرُ إِلَى التَّرَابِ^(٢)

فها أنت في كلِّ يوم تعيشه إنَّما تقطع جزءاً من عمرك، يقول الإمام الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنَّما أنت أيام مجتمعة، كلَّما ذهب يوم ذهب بعضك»^(٣) طويت صفحة من كتابك، سقطت ورقة من شجرتك، انهض جداراً من بُنيانك.

وما المرءُ إلا راکبٌ ظهَرِ عُمُرِهِ عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ
بَيْتٌ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى الْقَبْرِ

(١) ذكره ابن أبي الدنيا من قول بعض الحكماء في مكارم الأخلاق صـ ٢٩، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٢) من شعر أبي العتاهية. انظر: الحماسة البصرية (٢/٤٢٧)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر دار الكتب العلمية.

(٣) رواه أبو نُعَيْمٍ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ (٢/١٤٨).

الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، لا تؤخر عمل الليل إلى النهار، ولا عمل النهار إلى الليل، ولا عمل اليوم إلى الغد. ولا أوخر شغل اليوم عن كسلٍ إلى غدٍ، إنَّ يومَ العاجزين غدٌ^(١)! وما أكثر عجزنا نحن المسلمين الآن، حيث تؤخر ونسوّف في أعمالنا. وقد حذر سلفنا من التسويف، وقالوا: «سوف» جند من جنود إبليس. لا تقل: سوف أتوب، سوف أعمل. ما يدريك أنّك ستبقى إلى أن تعمل؟ هل ضمننت عمرك؟ هل ضمننت أنّك ستعيش؟ من كتب لك صكًا أنّك حينما تخرج من البيت ستعود إليه سالمًا؟ من أعطاك عهدًا على أنّك حينما تلبس ثوبك أنت الذي ستزعه ولن تنزعه يد الغاسل؟ من ضمن لك ذلك؟ إنّ النَّاسَ في عصرنا كثيرًا ما يموتون فجأةً بالذبحة أو بالسكتة أو بالحوادث، لعلّك تركب طائرة فتسقط بك، لعلّ إنسانًا يدهمك وأنت تركب السيارة فيقتلك، ما أسرع الموت، وما أغفل النَّاسَ عنه!

تزوّد من التقوى فإنّك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ؟
فكم من سليمٍ مات من غيرِ علّة وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهرِ
وكم من فتىٍ أمسى وأصبح ضاحكًا وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري^(٢)

هل تذكّرت هذا وأنت تودّع عامًا وتستقبل عامًا؟
على الإنسان المسلم أن يقف ليحاسب نفسه على عام مضى: ماذا قدّم فيه؟

(١) ذكره من غير نسبة الشيخ عبد الله الشبراوي في عنوان البيان وبستان الأذهان ص٤٢، تحقيق

محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١.

(٢) الأبيات ذكرها الفاكهاني ولم ينسبها في رياض الأفهام (١٧٠/٣)، تحقيق نور الدين طالب،

نشر دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.



العام اثنا عشر شهرًا، الشهر ثلاثون يومًا، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية. كلُّ هذا سيسألك الله عنه.

كم من نفسٍ يتردَّد؟ وكم من عرق ينبض؟ وكم من عين تطرف؟
وكم لله عليك من نعمة تغمرك، من قرنك إلى قدمك، في هذه
اللحظات والثواني والأنفاس؟
الله سائلك عنه.

المسلم ينشد الترقّي:

كان بعض السلف يقول: من كان يومه كأَمْسِه فهو مغبون، ومن كان
يومه شرًّا من أَمْسِه فهو ملعون!

من كان يومه كأَمْسِه، لا يتقدّم ولا يترقّي، فهذا كان السلف يعتبرونه
مغبونًا، كالتاجر الخائب الذي لا يربح، فهو محافظ على ما هو عليه في
تقدّمه أو في تأخّره.

أمّا من كان يومه شرًّا من أَمْسِه، فهو ملعون، والعياذ بالله.

كان يصلي حاضرًا فأصبح يصلي قضاء، كان يتنفل فأصبح
يقتصر على الفرائض، كان يترك المكروهات فأصبح لا يترك إلاّ
المحرّمات، كان يرتكب الصغائر فأصبح يرتكب الكبائر، وهكذا
يتجه إلى الانحدار.

«من كان يومه كأَمْسِه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أَمْسِه فهو
ملعون»، والمسلم يسأل الله ألا يكون من الملعونين ولا من المغبونين،
يحاول أن يرتقي بنفسه دائمًا، يتطلّع إلى الأعلى، كما في الحديث:

«إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن»^(١).

اسأل ربك أعلى المقامات. المسلم طموح دائماً إلى العلا، لا يكتفي بأن يكون في ذيل القافلة، وإنما يحب أن يكون في الطليعة، في مأخذ الزمام من القافلة، أن يكون في الأمام، هكذا الإنسان المؤمن.

إننا في هذه الوقفة في ختام العام يجب أن نتدارك ما فاتنا، أن نعرف قيمة الأوقات، وقيمة العمر الذي أنعم الله به علينا، فإننا سنسأل عنه يوم القيامة؛ ففي الحديث الصحيح: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»^(٢).

أربعة أسئلة رئيسية، اثنان منها يخصان الوقت: سؤال عن العمر عامة وعن الشباب خاصة. والشباب هو مرحلة الحيوية الدافقة، مرحلة الطاقة والقدرة على الإنتاج، مرحلة الأمل والعزيمة.

اغتنم خمسا قبل خمس:

ولذلك وعظ النبي ﷺ رجلاً فقال له: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(٣).

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

«شبابك قبل هرمك»: أنت في فترة الشباب قادر على الإنتاج، قادر على العمل، قادر على الجهاد، قادر على أن تؤدي لدينك ودنياك، لنفسك ولأمتك، فلا تُضع شبابك هدرًا، لا تقتد بأولئك الفارغين اللاهين، اقتد بشباب الأمة في الأزمنة الماضية، بعلي بن أبي طالب، بمصعب بن عمير، بأسامة بن زيد، بمحمد بن القاسم بن محمد، بالقادة الفاتحين الذين قادوا الجيوش وملؤوا الدنيا عملاً ودينًا، وهم في العقد الثاني من عمرهم!

اغتنم شبابك قبل هرمك، إياك أن تضيع هذا الشباب في الغفلة والمعصية، حاول أن تكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه - وذكر منهم: «وشاب نشأ في عبادة الله تعالى»^(١)، ومثل هذا: شابة نشأت في عبادة الله تعالى، فما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء.

فإذا كنت قد زلت قدمك يومًا فوقعت في المعصية فباب التوبة مفتوح على مصراعيه، أسرع وبادر وقف على عتبة ربك نادمًا مستغفرًا قائلًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فالله تعالى يحب التائبين، وحبّه للشباب التائب أشدّ، تب إلى الله توبة نصوحًا.

«وصحّتك قبل سقمك»: أنت الآن صحيح البدن معافى، هذه العافية نعمة من نعم الله تعالى عليك، فلا تستغل عافيتك في شرّ، ولا تضنّ بها عن خير، ولا تبخل بها عن طاعة. استغلّ هذه الصحة في طاعة الله، في عمل الخير وخير العمل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

قدّم لآخرتك، قدّم لك رصيّدًا ينفعك عند الله، إذا كان النَّاسُ يحاولون أن يزيدوا رصيدهم في البنوك من مال لا ينفع يوم يبحث النَّاسُ عمّا ينفع - ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] - فحاول أن تزيد رصيّدك عند الله من الخير، من الطاعة، من بذل المعروف.

اغتنم صحّتك قبل سقمك، قبل أن تصاب بالأسقام وبالأمراض، وما أكثر الأمراض المقعّدة والمعوّقة والمعطلّة، فتقول: ليتني فعلت أيام الصّحّة، وليتني فعلت أيام الشباب، فهذا هي الفرصة أمامك.

«وغناك قبل فقرك»: إذا كنت متمكّنًا من شيء الآن: مال، جاه، أو أي مقدرة؛ فاعمل بها خيرًا قبل أن تفتقر منها، وتخلو يداك منها. قد تكون اليوم صاحب مال، وغدًا لا مال لك، قد تكون صاحب منصب، وغدًا لا منصب لك، قد تكون صاحب (عزوة)، وغدًا لا (عزوة) لك.

«وفراغك قبل شغلك»: إذا وجدت عندك فراغًا؛ فاستغله فيما يعود عليك وعلى دينك وعلى أمّتك بالخير.

للأسف، إنّ الكثيرين لا يشعرون بنعمة الفراغ، وقد قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاسِ: الصّحّة والفراغ»^(١).

الصّحّة والفراغ لا يعرف قيمتهما كثير من النَّاسِ، إذا كان عندك فراغ فلا تضيّعه في العبث كما يفعل الكثيرون.

ساعة وساعة:

ليس معنى هذا أننا نريد أن يظلل النَّاسُ في عبادة ليلاً ونهارًا، لا يعملون لدنياهم ولا يروّحون عن أنفسهم.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، عن ابن عباس.

لا، لا بدّ من «ساعة وساعة»، كما قال النبي ﷺ لحنظلة.

ذهب الصحابي حنظلة الأنصاري إلى أهل بيته فداعبهم وضاحكهم، ثمّ تذكّر ما كان عليه عند رسول الله ﷺ من رقّة القلب، ومن نزول الدمع، ومن خشية الله، فقال: نافق حنظلة، أنا عند رسول الله بحال وفي بيتي وبين أولادي بحال! وخرج في الطريق يعدو وهو يقول: نافق حنظلة، نافق حنظلة؛ حتّى جاء النبي ﷺ وقال: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟». قال: يا رسول الله! نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنّة، حتّى كأنّا رأينا عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»، ثلاث مرات (١).

المشكلة أنّ بعض النّاس يريدون أن يجعلوا ثلاثًا وعشرين ساعة لقلوبهم، ولا يدّخرون إلّا ساعة واحدة لربهم، وربما لا تكون لله تعالى خالصة.

لا، لا بدّ أن نقسم ما بين حظوظ أنفسنا وحقّ ربنا علينا.

لا مانع من الترويح، ولا مانع من الترفيه في حدود الحلال، وفي حدود تنظيم الوقت وتقسيمه. نحن لا ننظم أوقاتنا، لا نقسم أوقاتنا بين المهم وغير المهم، بين الواجب وأوجب الواجب، بين المندوب والمباح، لا بدّ من تقسيم الوقت.

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة.

جدول المحاسبة:

كان بعض الصالحين في عصرنا هذا يعمل لنفسه «جدول محاسبة» يحاسب فيه نفسه، وكلُّ يوم يسأل نفسه، ويعطي نفسه علامة «درجة» كما يفعل المدرس مع التلميذ: هل صليت الصلوات في أوقاتها؟ هل أدتها في جماعة؟ هل حضر فيها قلبك وخشعتَ فيها لربِّك؟ هل قرأتَ وردك من القرآن؟ هل انتفعت بقراءته؟ هل قدّمت خيراً أو عوناً لأحد الناس؟ هل أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر؟ هل شعرت بتقصير فاستغفرت الله؟ هل كذا.. هل كذا؟

هو يسأل نفسه ويجيب، وهكذا ينبغي أن يفعل الإنسان.

أمّا أن تضيع الأوقات يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، فهذا ما سيكون السؤال عنه عسيراً أمام الله يوم القيامة.

اغتنم حياتك قبل موتك:

«وحياتك قبل موتك»: اغتنم حياتك قبل أن يأتي وقت تقول: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وهيها هيها! النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ قِيَمَةَ الْوَقْتِ وَقِيَمَةَ الْعُمْرِ إِلَّا سَاعَةَ الْمَوْتِ؛ حِينَمَا يَأْتِي مَلِكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَكَ، هُنَالِكَ تَتَمَنَّى لَوْ أُجِّلْتَ يَوْمًا أَوْ نِصْفَ يَوْمٍ، سَاعَةَ أَوْ نِصْفَ سَاعَةٍ، أَوْ دَقِيقَةً، تَسْبِّحُ اللَّهَ فِيهَا، وَهِيَهَا هِيَهَا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ولا لحظة واحدة، الأجل محدود «أوقات معدودة، وأنفاس محدودة»، ولذلك تأهب من الآن قبل أن تقول هذه القولة، ولا يرد عليك، انتهاز الفرصة، وانتفع بوقتك.

قالوا: إن أكثر الناس غبطة لأهل المساجد هم أهل القبور، أهل القبور يقولون: من يعيدنا إلى المسجد نصلي فيه ركعتين، أو نسبح لله فيه تسبيحة، أو نهلل تهليله، أو نكبر تكبيرة. وأهل المساجد لا يقدرّون قيمة ما هم فيه! الوقت ثمين فاعرف قيمته، ومن قيمته أنه إذا مضى لا يعود، كما قال الحسن البصري: «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني؛ فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة»^(١).

إذا مضى الوقت لا يعود، حاول أن تتدارك ما فات ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل في النهار حاول أن يتداركه في الليل، ومن قصر في الليل حاول أن يتدارك ذلك في النهار.

التوبة بابها مفتوح ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [التور: ٣١].

واستقبلوا العام الجديد بعزم صادق، ونية صالحة، وتوبة خالصة لله تعالى، عسى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا.

توبوا إلى الله واستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كلام الليالي والأيام (٢٢)، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كان النَّاس في هذه البلاد في الأزمنة الماضية يعرفون قيمة أوقاتهم،
ويصرفونها في طاعة الله.

كانوا يسيرون على نظام الحياة اليومي للمسلم، ينامون مبكرين
ويستيقظون مبكرين.

كنتُ أرى النَّاس ينامون بعد صلاة العشاء، ويستيقظون قبل صلاة
الفجر، فتدب الحياة في المدينة كلّها من قبل الفجر.

ثم تغيّرت الحياة فأصبح النَّاس يسهرون سهرًا طويلًا،
ولا يستيقظون إلّا بعد طلوع الشمس، فيضيّعون الصلاة، وضيّعون
الوقت الجميل، وقت البكور، الذي دعا النَّبي ﷺ له بالبركة فقال:
«اللهمّ بارك لأمتي في بكورها»^(١).

كان النَّاس يستقبلون الصباح الجميل في نداوته وطراوته وطهارته
قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، فيستفيدون من الوقت مبكرًا.

ولكن النَّاس الآن أصبحوا يسهرون ويقضون كثيرًا من الليل،
ولا يستيقظون إلّا متأخرين.

ما أجدنا أن نحاول أن نعود إلى نظام الحياة اليومي للإنسان
المسلم، وأن نستغلّ أوقاتنا فيما يرضي الله تعالى.

(١) سبق تخريجه ص ٦٣.

السلف الصالح ألفوا كتبًا سموها: «عمل اليوم والليلة»^(١). ماذا يفعل المسلم في يومه وليلته؟ ماذا يقول حينما ينام؟ وماذا يقول حينما يستيقظ من نومه؟ وماذا يقول عندما يأكل، وعندما يشرب، وعندما يلبس ثوبه، وعندما يخرج من بيته، وعندما يدخله، وعندما يركب دابته؟ إلخ. كلُّ شيء له ذكر خاصُّ به، وله دعاء مأثور، وله أدب من الآداب.

ليحرص المسلم على مراعاة هذه الآداب؛ حتَّى يكون دائمًا ذاكراً لله تعالى، حامداً له، مراقباً لله في أعماله، يراقب الله في سرِّه ونجواه، في جلوته وخلوته، في البيت وفي الطريق وفي العمل «اتق الله حيثما كنت»^(٢)، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

نسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرّة، ولا تجعلنا من الغافلين.

اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

(١) وهي كتب تبين الأقوال والأعمال الدينية المطلوبة من المسلم في يومه وليلته وصباحه ومساءه، ومن أشهرها كتاب: عمل اليوم والليلة للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، وللحافظ ابن السني تلميذ النسائي كتاب بنفس العنوان.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٨٩.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى،
وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم انصرنا على أعداء المسلمين، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم
انصرنا على كل من عاون اليهود.

اللهم انصرنا على الطغاة والظالمين والملحدين في كل مكان.

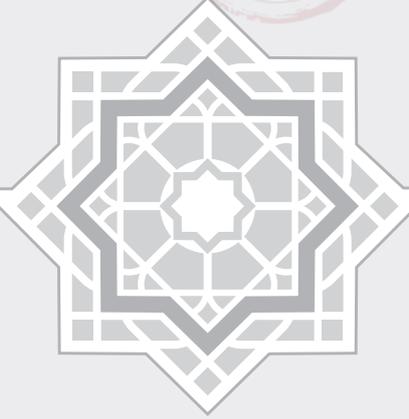
اللهم انصرنا نصرًا تؤيد به الدين، وتعلي به كلمة الحق واليقين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُيُوتِ الْقُرْآنِ وَأَوَّلِيهَا



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفاتحة		
٦٤	٧ - ٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
سورة البقرة		
٩٦	٣٥	﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
٢٩٦	٧٤	﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾
١٥٧	٨٥	﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾
٣٣٦	٩٦	﴿ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِ ﴾
١٦٥	١٠٦	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾
٤٠٥ ، ٣٨٩ ، ٥٥	١١٥	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾
٢٨٦	١٢٠	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾
٣١٥	١٢٥	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾
٣٣٣ ، ٣٠٩	١٢٧	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾
٣٣٣	١٣٥	﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٦١	١٤٠	﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهِ﴾
٢٣٣	١٤٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾
٣٠٩	١٥٠	﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
٧٣	١٦٥	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
٣٧٤	١٧٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾
٢٧٥	١٨٥	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾
٣٧٢، ٣٧١، ٢٣٦	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾
٨١	١٨٩	﴿وَلَيْسَ الِذْرِبَانِ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الِذْرِبَانَ اتَّقَى﴾
٣١٢	١٩٧	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾
٣١١	١٩٨	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾
٢٨٦	٢١٧	﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾
٥٥	٢٣٨	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَاقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾
٥٥	٢٣٩	﴿فَإِن خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾
٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٤	٢٥١ - ٢٤٩	﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾
٣٦٨	٢٤٩	﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
٣٦٨	٢٥٠	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾
٣٦٩	٢٥٠	﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾
١٤٠، ١١٢، ١١١	٢٧٩ - ٢٧٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾
١١٣، ١١٢	٢٧٦	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١١٣	٢٧٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
١١٣	٢٧٩	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
١٥٩	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
سورة آل عمران		
٣٠١	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
٧٨	١٤	﴿ زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾
٧٨	١٥	﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾
٣٣٣	٦٧	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾
٣٦٢	٩٦	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾
٣٦٢ ، ٣٠٨	٩٧	﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾
٢٣٣	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
١٤٠ ، ١٢٢	١٣٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾
٢٩١	١٤٠	﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾
١٩ ، ٤	١٤٤	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
١٠٨ ، ٥٢ ، ٣٣ ، ٢٥٣ ، ١٩٣ ، ١٧٤ ، ٣٠٦ ، ٢٩٣ ، ٣٨٦ ، ٣٢٦ ، ٤٠٦ ، ٣٩٠	١٤٧	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا ﴾
٣٧١ ، ٣٤٨ ، ٢٩٢	١٦٠	﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ ﴾
٢٧٧	١٩٥	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النساء		
١٥٧، ١٥٦، ١٦٢، ١٥٨	٣	﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنًا وَتِلْكَ وَرَبِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾
١٥٥	٤	﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَيْنِ نِحْلَةً﴾
١٥٤، ١٣٢	١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾
١٥٤	١٢	﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾
١٥٤	١٣	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾
١٥٤	١٤	﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾
١٦٨	٢٠	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾
١٥٥	٣٤	﴿الرِّجَالِ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
١٥٧	٥٩	﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
٧٦	٦٩	﴿وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّاتِ﴾
٣٩٢	٧٧	﴿قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً مُّشِيدَةً﴾
٣٩٢	٧٨	﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾
٣٢٢	٩٨	﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾
٥٦	١٠٢	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾
١٥٩، ١٥٨	١٢٩	﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾
٦٥	١٤٢	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾
١٤٠	١٦١	﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة المائدة		
٣١٥	٢	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُخْلُوا شَعَتِرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامِ وَلَا الْهُدَىٰ﴾
١٤١	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
٢٩٨	٢٧	﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
٢٢١	٣٢	﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾
٧٣	٥٤	﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
٥٧	٥٨	﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾
٣٥٦	٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
١٣٢	٩٠	﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾
٣١٥	٩٦	﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾
سورة الأنعام		
٢٣٥ ، ٢٩٦	٤٢	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾
٢٣٥ ، ٢٩٦	٤٣	﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٣٥	٤٤	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾
٢٣٥ ، ٢٩٧	٤٥	﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٢١٨ ، ٢٠٣	٦٥	﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾
٢٦٥	٨٩	﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾
١٠١	١٠٨	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
٢٢٠	١٣٥	﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٧	١٤٥	﴿ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾
٣٣٧	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾
٢٣٠	١٦٤	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾
سورة الأعراف		
٩٦	١٩	﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
٣٩٩، ٣٥٥، ٢٣٥	٢٣	﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
٣٢٣	٣٨	﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا ﴾
٩٧	٨١	﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾
٣٣٠	٨٦	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ﴾
١٠٩	١٥٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
٢٩١، ٢٦٥	١٨١	﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
سورة الأنفال		
٣٦٨	٩	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾
٣٦٩	١٢	﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٢١٠	٢٥	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾
٣١٦	٣٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
١٨١	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾
٢٩٢	٦٢	﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٨٧	٦٥	﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة التوبة		
٣٨	١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
٧٨	٢٤	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾
٢٥٠، ٢٩٢، ٢٦٦، ٣٢٤، ٢٨٦	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾
٢٥٠، ٢٦٦، ٢٨٦	٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾
١٥	٤٠	﴿ ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾
٢٥١	٤١	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٣٦٣	٥٢	﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾
٦٥	٥٤	﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾
٢٥١	١١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَن لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾
٤٢	١١٢	﴿ التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكِينُونَ الرَّكْعُونَ ﴾
سورة يونس		
١٦٥	١٥	﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بَقْرَةٌ ﴾
٢٣٤، ٣٧٣، ٣٧٥	٢٢	﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾
٣٧٣، ٣٧٥	٢٣	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
١٠١	٢٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ ﴾
٢٧٨، ٢٩٥	٥٨	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة هود		
٨٢	٩٧	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا ﴾
٨٣	٩٧	﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾
١٠٢	٢٩٦، ٢٢٠	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
١١٢	٣٠٥	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾
١١٣	٢٢١	﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
سورة يوسف		
٢٣	٢٢٠، ٨٥	﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾
٣١	٨٥	﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾
٣٢	٨٥	﴿ وَلَقَدْ رَوَدْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ ﴾
٣٣	٨٦	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾
٧٩	٢٣١	﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴾
٨٧	٣٧٨، ٢٥٤	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾
سورة الرعد		
١١	٢٩١، ٢٧١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
سورة إبراهيم		
٣٤	٧٣	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
٤٠	٥٣	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الحجر		
١٥٣	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٢٥٤	٥٦	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾
سورة النحل		
٣٠١	٣٢	﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيَّكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾
٧٣	٥٣	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾
٨٨ ، ٧٠	٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾
١٤٤	٩٢	﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾
سورة الإسراء		
٣١٨	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
٢٣٠	١٥	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾
١٧٣	٨١	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾
سورة الكهف		
١٧٠	٥	﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾
٩٢	٩٥	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾
٩٢	٩٦	﴿ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾
٩٣	٩٨	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾
سورة مريم		
٥٤	٣٠	﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٤	٣١	﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾
٥٣	٥٥	﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾
٣٠٣	٧٦	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾
سورة طه		
٥٤	١٣	﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾
٥٤	١٤	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
٢٢٠	١١١	﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾
٦٠، ٥٩	١٣٢	﴿ وَأَمْرًا هَلَاكًا بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾
سورة الأنبياء		
١٧٣	١٨	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾
١٩	٣٤	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَعْمٍ الْخَالِدُونَ ﴾
٣٣٣	٦٨	﴿ قَالُوا حَرِّفُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾
٣٣٣	٦٩	﴿ يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٣٧٧	٨٧	﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
٣٧٨، ٣٧٧	٨٨	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٧٥	٩٠	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾
٢٣٣، ٣١٤	٩٢	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾
سورة الحج		
٣١١	٢٧	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١١	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾
٣٢٨	٢٩	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾
٣٧٠	٤٠	﴿ وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ بِنَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
٣٧١	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾
سورة المؤمنون		
٥٨	٢، ١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
٥٨	٩	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾
٣٧٤	٥١	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
٢٣٥	٧٦	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُونَ ﴾
٤٠٢	١٠٠، ٩٩	﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾
سورة النور		
٨٢	٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾
٤٠٣، ٨٢	٣١	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾
٤٨	٣٦	﴿ فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ ﴾
٤٨	٣٧	﴿ رِجَالٌ لَا نُفِئُ لَهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾
٢٦٦	٥٥	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
سورة الفرقان		
١٠٩	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
٤٠٣	٦٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الشعراء		
٤٠٠	٨٩ ، ٨٨	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٠﴾﴾
٩٧	١٦٥	﴿آتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾
٩٧	١٦٦	﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾
٢٢٠	٢٢٧	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾
سورة النمل		
٩٢	٤٠ - ٣٨	﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَإِنِّيكَ بِهِ ﴿٤٠﴾﴾
٢٢١	٥٢	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴿٥٢﴾﴾
٩٧	٥٥	﴿أَيَّتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٥٥﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ ﴿٩٧﴾﴾
٢٧٠	٥٦	﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾
سورة القصص		
٢٤١	٤	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٤﴾﴾
٢٢٠	١٧	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾
٢٩٧	٧٦	﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾
٢٩٤	٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾
سورة العنكبوت		
٩٧	٣٠	﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾
١٠٨ ، ٦٧ ، ٣٣ ، ١٩٣ ، ١٧٤ ، ١٥١ ، ٣٠٧ ، ٢٧٢ ، ٢٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٢٧ ، ٤٠٦ ، ٣٩٠ ، ٣٨٧	٤٥	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٥﴾﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الروم		
٦ - ٤	٣٤١ ، ٣٢٤ ، ١٨٨	﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴿
٢٢	٩٤	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ الْأَسْنَانِ وَالْوَنُكُورُ ﴾
٣٣	٢٣٤	﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾
٣٩	١٤٠ ، ١١٣	﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
٤٧	٣٨٥	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة لقمان		
١٤	٩٩	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾
١٧	٥٤ ، ٤	﴿ يَبْنِي أَقْرَمَ الصُّلُوعَةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾
٣٣	٣٠٢	﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾
سورة السجدة		
١٨	٥٨	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾
سورة الأحزاب		
٢٥	٢٢٨	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ ﴾
٥٦	٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٣ ، ٣٤٣ ، ٢٥٣ ، ٣٨٦ ، ٣٦٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾
سورة فاطر		
١٨	٢٣٠	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾
٢٧	٩٣	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾
٢٨	٩٣	﴿ وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة يس		
٩٦	٣٦	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾
٣٧٢	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الصافات		
٣٣٥، ٣٣٤	١٠٢	﴿ قَالَ يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ تَافِهِينَ ﴿١٠٢﴾
٣٣٥	١٠٧ - ١٠٤	﴿ أَن يَتَّبِعَهُمُ جَنَّةُ الْمَأْكُولِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّكَ كَذَّابٌ فَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾
٢٩٣	١٨٢ - ١٨٠	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾
سورة الزمر		
٢٣٠	٧	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٧﴾
٣٢	١٨	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿١٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴿٣٢﴾
١٩	٣٠	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
سورة خافر		
٣٤٢	٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾
٣٧٩	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾
٢٩٥	٧٥	﴿ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٢٩٥﴾
٢٩٦	٧٦	﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾
سورة فصلت		
٣٠١	٣٢ - ٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿٣٠﴾
٢٨٦	٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الزخرف		
١٣٠	٥٨	﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾
سورة الأحقاف		
٣٠٥	١٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
٣٠٥	١٤	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
٩٩	١٥	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾
سورة محمد		
١٦٣ ، ١٦٢	٤	﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾
٣٤٨ ، ٣٧١	٧	﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾
٣٠٣	١٧	﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾
٢٨١	٢٢	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾
٢٨١	٢٣	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾
٢٠٧	٣٠	﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾
٢٥٥ ، ١٠٧	٣٥	﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾
٢٥١	٣٨	﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾
سورة الفتح		
٢٢٧	١	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾
٢٢٨ ، ٢٢٧	٢٤	﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾
٢٦٦	٢٨	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الحجرات		
٩	٢٣٢ ، ٢١٤	﴿فَإِنْ بَغْتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلْهُمَا الَّذِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾
١١	٥٨	﴿يَسَّ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾
سورة ق		
١٩	٢٩	﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾
سورة الذاريات		
٤٩	٩٦	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
٥٣	٢٤٦	﴿اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾
سورة النجم		
٤٥	٩٦	﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾
سورة الرحمن		
٢٧ ، ٢٦	٢٩٤	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
سورة الحديد		
٤	٧٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾
٧	١١٠	﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾
٢٥	١٠٩	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾
سورة الحشر		
٢	٣٦٤	﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٠	٣٣، ١٥١، ٢٩٣، ٣٦٥، ٣٢٧، ٣١٨	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
١٤	٣٣٦، ٣٣٧	﴿ لَا يَقْنِطُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾
سورة الصف		
٤	١٥٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ ﴾
٩	٢٦٦	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾
١٠ - ١٣	٢٥١	﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٠	٢٥١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَحَرُّقٍ نُجِجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾
١١	٢٥١	﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾
١٢	٢٥١	﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ ﴾
١٣	٢٥١	﴿ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا ﴾
سورة المنافقون		
٨	١٠٧	﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٩ - ١١	٤٠٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
سورة التغابن		
١٦	١٥٩، ٥٦	﴿ فَانْقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾
سورة التحريم		
٦	٤، ٦١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أُنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
سورة الملك		
١٤	١٦١	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة القلم		
٢٩٦	٤٤، ٤٥	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
سورة الحاقة		
١٤٤	١٠	﴿فَأَخَذَهُم أَخَذَةً رَّابِيَةً﴾
سورة الجن		
٤٥	١٨	﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾
سورة المدثر		
٥٧	٣٨ - ٤٤	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾
سورة القيامة		
٩٦	٣٩	﴿يَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾
سورة المرسلات		
٥٧	٤٨	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾
سورة النبأ		
٩٥	٨	﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾
سورة التكويد		
١٦٢	٨، ٩	﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ﴾
سورة الفجر		
٢٢١	٦ - ١٤	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الليل		
٢١ - ١٧	٢٨	﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآنْفَىٰ ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ ﴾
سورة الماعون		
٥ ، ٤	٥٩	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ ﴾

* * *





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٢٧٥	أبدلهم الله بهذين اليومين يومين آخرين: يوم الفطر ويوم الأضحى
٤٠٥ ، ٣٨٩	اتق الله حيثما كنت
١٣٩ ، ١١١	اجتنبوا السبع الموبقات
٢١٩	أجل؛ إنها صلاة رغبة ورهبة، إنني سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين
٢٢٨	أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام
٣٠١	أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ
٢٣٤	احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
١٦٣	إخوانكم خولكم
١٦٩	ادروا الحدود بالشبهات
١٦٩	ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم
٢٢٢	إذا رأيت أمّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودع منهم
٣٨	إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان
٣٩٨	إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة

رقم الصفحة	الحديث
١٢٤	إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله
٣٥، ٥	أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات
٣٧٢	أربعوا على أنفسكم، أشفقوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا
٦٥	أرخنا بها يا بلال
٣٧٤	أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة
٣٩٩، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٠	اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك
٢٧٩	أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم
٦٦، ٣٤	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٣٧٨	ألا تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣١٧	ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد
٤٤	الذي يخفض ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد شيطان
٢٧٤	الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
٣٦٨	اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني
٢٠٧	اللهم أني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء
٤٠٤، ٣٨٨، ٦٣	اللهم بارك لأمتي في بكورها
٨٦	اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا
٢٩٥	اللهم لك صُمت، وعلى رزقك أفطرت
١٥٩	اللهم هذا قسَمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك
٤٤	أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام
٢٣	أمر أسامة بن زيد على جيش فيه من كبار الصحابة



رقم الصفحة	الحديث
٢٣	أَمَرَ الْحَبِّ بْنِ الْحَبِّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - الشَّابَّ الْمُؤْمِنَ ابْنَ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ -
٢٨	أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِالصَّدَقَةِ
٢٢	أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٦	إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ
٢٨٧، ٢٦٧	إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا
٣٧٤	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ
٢٢٠	إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ
١٨١	إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ
٢٩٦	إِنَّ اللَّهَ يَمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ
٣١٧	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا
٢٦٥	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فِسِيلَةٌ، نَخْلَةٌ صَغِيرَةٌ، شَتْلَةٌ
٢٧	إِنَّ مَنْ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ فِي مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ
٢٢٢، ٢١٠	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ
٩٩	أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي
٢٢٣، ٢١٠	انصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَرْتَهُ مَظْلُومًا
٤٤	إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا
٥٩	إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ
ب	
٢٨٦، ٢٦٤	بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ
٣٧	بَشِّرِ الْمُشَاطِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

رقم الصفحة	الحديث
٣٦٢، ١١٠	بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله
٥٣	بين الرجل وبين الشرك والكُفر ترك الصلاة
ت	
١٤١	تركتكم على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك
٢٨١	تُعرض الأعمال في كلِّ اثنين وخميس، فيغفر الله تعالى في ذلك اليوم
٢٨٧، ٢٦٧	تكون الثُّبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها
٣٢٥	تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم
ث	
٧٩	ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه
ج	
٣٠٨	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟
١٨٩	جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إنِّي قد زويت فطهرني
٣٠٤	جعل الله الحسنه بعشر أمثالها، فشهْر بعشرة أشهر، وصيام سنَّة أيام
خ	
١٢٨	خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه
د	
٣٧٨	الدعاء هو العبادة
٣٧٧	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك
ذ	
٦٣	ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أذنيه. أو قال: في أذنه



رقم الصفحة	الحديث
١٤١	الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبُرِّ، والشعير بالشعير
٢٩٥ ، ٢٧٨	ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى
ر	
١١٢	الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُلِّ
٣٢٩	رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوَّة
ز	
٢٧٣	زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير
س	
٤٠١	ساعة وساعة
١٩٨	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر
٤٤	سَوُّوا صفوفَكم؛ فَإِنَّ تسوية الصفِّ من تمام الصلاة
ص	
٥٥	صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب
٤٨	صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ
٢٧٥	الصيام لي وأنا أجزي به
٣٠٣	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ
١٤٩	صيام يوم عرفة، أنِّي أحْتَسِبُ على الله أن يُكفِّرَ السنَّةَ التي بعده
ط	
٢٧٩	طُهْرَةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطُعْمَةٌ للمساكين

رقم الصفحة	الحديث
	ع
٢٢٢	عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ
	ف
٢١١	فَانْشُدْ بِاللَّهِ. قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قَالَ: فَانْشُدْ بِاللَّهِ. قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟
١٧	فَإِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ
١٦٥	فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ
٢١٢	فَلَا تَعْطُهُ مَالِكٌ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟
٢٧٦	فَلْتُعْرِهَا أُخْتَهَا مِنْ جَلْبَابِهَا
٥٠، ٨٨، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٧٢، ٣٠٦	فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ إِجَابَةٌ لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ
	ق
٦٤	قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ
	ك
١٨٢، ٩٩	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
٧٧	كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ
١٤٧، ١١٦	كُنَّا أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ حَقْلًا، فَكُنَّا نَكْرِي الْأَرْضَ عَلَى أَنْ لَنَا هَذِهِ وَلَهُمْ هَذِهِ
	ل
٤٤	لَا تَخْتَلَفُوا فَتَخْتَلَفَ قُلُوبُكُمْ
١٩٨	لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ



رقم الصفحة	الحديث
١٩٦	لا ترؤعوا المسلم؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم
٢٩١، ٢٦٦	لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضُرُّهم من خذلهم
٣٦٢	لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٢٦٤	لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً
٢٨٩	لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون
٤٠	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله
٢٨٦، ٢٦٤	لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه
٣١٧	لا يحجُّ بعد هذا العام مشرك
١٩٦	لا يحلُّ لرجل أن يرؤع مسلماً
١٩٦	لا يحلُّ لمسلم أن يرؤع مسلماً
١٩٨	لا يُشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده
٣٧٥	لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت
٧٤	لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين
٧٩	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
٨٠	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به
٣١٠	لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعم لك والمُلك
٣٧٠	لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم
٢٦٨	لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية، لنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش
٢٢٢	لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم، ويقول: لو أن أهل السماء

رقم الصفحة	الحديث
١٤٠، ١١١	لعن في الخمر عشرة
١٤٠، ١٣٢، ١١١	لعن النبي ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء
٢٧٨	للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه
٣٩٨	لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال
٣٩	لو تركنا هذا الباب للنساء
٣٧٢	لو عرفتم الله حق معرفته لزالتم بدعائكم الجبال
٢٨٧، ٢٦٦	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر
٢٨١	ليس الواصل بالمكافئ. أي: ليس واصل الرحم هو الذي يكافئ إحسانًا بإحسان
م	
٧٦	ما أعددت لها؟. بدل أن تسأل عن الساعة اسأل نفسك: ماذا هيأت للساعة
١٥	ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر
٧٥	ماذا بك يا ثوبان
١٣٠	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل
١٤٩	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام
٣٧٩	ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها
٢٧	ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر
٢٨٨، ٢٦٧	مدينة هرقل تفتح أولاً
٧٦	المرء مع من أحب
١٧	مُرُوا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس
٦٠	مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها



رقم الصفحة	الحديث
٣٦٠، ٢٥٠، ٤٩	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُهُ
٣٧	المشأؤون إلى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله تعالى
٢٧٣	مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم
٣٧٥	من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات
١٩٩	من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي
٣٦	من بنى لله مسجداً قدر مَفْحَصَ قِطَاةِ بنى الله له بيتاً في الجنة
٥٤	من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة
٣١١	من حجَّ، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه
١٩٨	من سلَّ علينا السيف فليس منا
٣٠٤، ٣٠٣	من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر
٣٧	من غدا إلى المسجد أو راح، أعدَّ الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح
٢١٢	من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد
٢٥٠	من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته
ن	
٤٠٠	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ
هـ	
٨١	هل نظرت إليها؟ قال: لا. قال: فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما
و	
٢٧٩	وإذا لقي ربَّه فرح بصومه
٢٠٣	والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين



رقم الصفحة	الحديث
٣١٣	والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
٣٧٢	والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم
٤٠١	والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي
٧٩	والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا
٢٢٧	والذي نفسي بيده لو ددت أنني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل
٢١٩	وإن ربي قال: يا مُحَمَّد، إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يردُّ
٦٤	وجعلت قرّة عيني في الصلاة
٣٩٩	وشاب نشأ في عبادة الله تعالى
٣٠٤	ولا يزال عبيد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه
٢٩٥	وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه
١٦	ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام
٣٣٥	ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
٤٤	ولينوا بأيدي إخوانكم
١٧	ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر
ي	
٣١٤	يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي
٣٧	يا بني سلمة، دياركم تُكْتَبُ آثاركم، دياركم تُكْتَبُ آثاركم
٣٧٩	يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد
١٤٦	يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره
٢٢٠	يا عبادي، إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا



رقم الصفحة	الحديث
٨٣	يا عليُّ، لا تُتْبِعُ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ
٣٠١	يا مقلِّبَ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك
٢٣٨، ٢١٧	يرقق بعضها بعضًا
٣٧٨	يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ، يقول: دعوت فلم يستجب لي
٣٧٨	يقول: قد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء

* * *

غير مرخصة للطباعة



فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- مقدمة ٧
- مقدمة ١١
- ❖ ١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه ١٣
- هذا مسجد أبي بكر الصديق ١٤
- وجوب التعرف على جيل الصحابة ١٤
- أبو بكر الرجل الثاني في الإسلام ١٤
- إشارات نبوية لترشيح أبي بكر لقيادة الأمة ١٧
- يوم وليلة من أبي بكر خير من عمر ١٨
- أبو بكر الخليفة الأول ١٩
- رجل المواقف.. حروب الردة ٢٠
- الإسلام أول من حارب من أجل الفقراء ٢١
- إنفاذ جيش أسامة ٢٣
- معركة اليمامة ٢٥

- ٢٦..... انتصار الإسلام في عهد أبي بكر
- ٢٧..... ردّة ولا أبا بكر لها
- ٢٧..... البازل كلّ ما عنده للإسلام
- ٢٨..... رجل القرآن
- ٢٩..... التدقيق في الكلمات
- ٣١..... علينا أن نرجع إلى تاريخنا
- ❖ ٢ - رسالة المسجد في الإسلام..... ٣٤
- ٣٤..... مكانة المسجد في الإسلام
- ٣٦..... فضل المشي إلى المسجد
- ٣٨..... المسجد جامع وجامعة
- ٣٩..... المسجد للرجل وللمرأة جميعًا
- ٤١..... المسجد برلمان للأمة
- ٤٢..... المساجد الجامعة
- ٤٣..... المسجد في نظر المبشرين
- ٤٤..... المسجد يُعلّمنا النظام
- ٤٤..... المسجد يُعلّمنا الحرّيّة
- ٤٦..... المسجد يُعلّمنا الإخاء
- ٤٦..... المسجد يُعلّمنا المساواة
- ٤٩..... ضاع المسلمون بسبب تفرّقهم
- ❖ ٣ - الصلاة عمود الدين..... ٥٣
- ٥٣..... منزلة الصلاة في الإسلام



- ٥٤..... هذه هي الصلاة، وهذه أهميتها
- ٥٧..... أين إسلام هؤلاء؟
- ٥٧..... ما حكم تارك الصلاة عند علماء المسلمين؟
- ٦١..... المجتمع مسؤول عن تارك الصلاة
- ٦٢..... العصر الحديث غيّر نمط الحياة
- ٦٤..... الصلاة تعطي الناس شحنة روحية
- ٦٥..... شأن المنافقين مع الصلاة
- ٦٦..... هذه هي الصلاة
- ٦٨..... مآسي مسلمي أوغندا
- ٦٩..... أين نحن المسلمين؟
- ٧١..... ❖ ٤ - عاطفة الحب
- ٧٢..... أعظم أنواع الحب
- ٧٤..... حبّ رسول الله ﷺ
- ٧٨..... الناس شغلوا بغير ما شغل به أصحاب رسول الله
- ٨٠..... العاطفة التي يريد الإسلام
- ٨١..... أباح الإسلام النظر إلى المخطوبة
- ٨٢..... غض البصر
- ٨٥..... يوسف ﷺ مثلاً للعفاف
- ٨٩..... ❖ ٥ - استنساخ البشر وأضراره على الإنسانية
- ٩٠..... الشرع لا يقبل العبث في الجينات والعوامل الوراثية
- ٩١..... الإسلام يرحّب بالتقدم العلمي

- ٩٣..... الاستنساخ ضد التنوع والتمايز
- ٩٥..... التعريض لخطر الأمراض القاتلة
- ٩٥..... استغلال قوى الشر للاستنساخ
- ٩٥..... الاستنساخ ضد ظاهرة الزوجية
- ٩٧..... ومن هنا عاقب الله قوم لوط عقوبتين
- ٩٧..... الاستغناء عن الأسرة
- ٩٨..... أين الأمومة؟
- ١٠٠..... نرحب بالعلم المنضبط
- ١٠٢..... القدس العربية الإسلامية مهددة بالزوال
- ١٠٤..... اليهود يُغيرون الخطط والهياكل لتهود المدينة
- ١٠٥..... الأمر جدٌ خطير ومهم
- ١٠٦..... أين أمة الإسلام؟
- ❖ ٦ - فوائد البنوك هي الربا الحرام
- ١١٠..... جاء الإسلام بأحكام تنظم الحياة الاقتصادية للناس
- ١١١..... أكل الربا من السبع الموبقات
- ١١٢..... الربا لا يزيد في المال
- ١١٣..... الوعيد على أكل الربا
- ١١٤..... الحكمة من تحريم الربا
- ١١٥..... الربح حسب الاتفاق
- ١١٦..... لا يجوز تحديد شيء لأحد الطرفين
- ١١٩..... ما هي مهمة البنوك؟
- ١١٩..... إجماع المعاصرين على تحريم فوائد البنوك



سقطت كلُّ شبهات تبرير الربا..... ١٢٢

مرحلة إيجاد البدائل..... ١٢٤

❖ ٧ - توضيح الحق في فوائد البنوك..... ١٣٠

كلام خطير يضلّل النَّاس ويموّه الحقائق..... ١٣٢

ما هو الرِّبا؟..... ١٣٦

موضوع البحث هو ربا النسئة وليس ربا البيوع..... ١٤١

النُّظام الرأسمالي..... ١٤٢

معنى كلمة «الربا»..... ١٤٣

الأدلة على عدم جواز تحديد الربح..... ١٤٦

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة..... ١٤٩

❖ ٨ - القرآن قُدس الأقداس الرُّدُّ على المُشكِّكين في القرآن..... ١٥٢

من قال القرآن منتج ثقافي..... ١٥٣

من ترفض شرع الله في الميراث..... ١٥٤

تذويب الثوابت..... ١٥٥

ادعاء أن ما شرعه القرآن حكمٌ بطلَ زمانه..... ١٥٦

التعدد بين الإسلام وغيره..... ١٥٨

أمامنا واحدة من ثلاث..... ١٦١

التعدُّد لصالح المرأة والمجتمع..... ١٦١

الإسلام استحدث العتق ولم يستحدث الرق..... ١٦٢

إباحة الزنى وتحريم التعدُّد..... ١٦٤

عمر لم يبطل نصًّا قرآنيًّا وحاشاه..... ١٦٥

- ١٦٨..... عمر كان وقافاً عند كتاب الله
- ١٦٩..... إسقاط حدّ السرقة عام الرمادة
- ١٧٢..... سلام اليهود لا يقوم على أسس متينة
- ❖ ٩ - القمر الصناعي الإسرائيلي ١٧٥
- ١٧٩..... لا زلنا في دائرة التخلف
- ١٨٠..... نحن بقينا عالة على غيرنا
- ١٨١..... العلوم والصناعات من فروض الكفايات
- ١٨٢..... نحن نمتلك المقدرات والمقومات
- ١٨٤..... ما الذي حدث؟
- ١٨٦..... الأمة لا يحركها إلا الإيمان
- ١٨٨..... واجبنا تجاه تقدّم إسرائيل
- ١٩٠..... إنّها مسؤوليّة الأبوين
- ١٩١..... نتيجة البعد عن منهج الإسلام في الزواج
- ١٩١..... زواج المسلم بغير المسلمة
- ❖ ١٠ - العدوان على الكويت ١٩٤
- ١٩٤..... ظلم ذوي القربى
- ١٩٦..... لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً
- ١٩٧..... عدوان لا مبرّر له
- ١٩٨..... رجعة إلى الجاهليّة
- ١٩٩..... من المستفيد من هذه الكارثة؟
- ٢٠٠..... خسائرنا كثيرة



- ١ - التمزق ٢٠٠
- ٢ - الأحقاد ٢٠٣
- ٣ - تدمير الثروة ٢٠٤
- من المسؤول عن هذا كله؟ ٢٠٤
- ٤ - تدمير القيم ٢٠٦
- ٥ - اليأس ٢٠٦
- ٦ - شماتة الأعداء ٢٠٧
- ٧ - الانشغال عن قضايانا الكبرى ٢٠٨
- ٨ - وجود القوات الأجنبية ٢٠٨
- مسؤولية الساكتين عن الظلم ٢٠٩
- من المسؤول؟ ٢١٠
- هل فات الأوان؟ ٢١١
- ❖ ١١ - حقائق حول أزمة الخليج ٢١٧
- فتن يرفق بعضها بعضًا ٢١٧
- ذاق بعضنا بأس بعض! لماذا؟ ٢١٨
- عدم معاونة الظالم ٢١٩
- حملة الإسلام على الظلم والظالمين ٢٢٠
- الظلم مرتعه وخيم ٢٢٠
- انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٢٢٣
- الكويت وعمل الخير ٢٢٤
- مصيبية القوات الأجنبية ٢٢٥
- من المستفيد من الحرب غير إسرائيل والغرب؟ ٢٢٧

- ٢٢٧..... فرصة السلام لا تُضَيِّع
- ٢٢٩..... نحن الخاسرون في هذه الحرب أيًا كان المنتصر
- ٢٣٠..... مسؤوليّة الحكّام لا الشعوب
- ٢٣٢..... خلل في الوجود الإسلامي لغياب الخلافة
- ٢٣٤..... الرجوع إلى الله في الشدة
- ٢٣٤..... النَّاس ثلاثة

- ❖ ١٢ - مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك..... ٢٣٨
- ٢٤٢..... زيارة أحد المعسكرات
- ٢٤٢..... عصبية جاهلية صليبية
- ٢٤٣..... وحشية الجنود الصربيين
- ٢٤٤..... استفتاء في الحمل الذي جاء نتيجة الاغتصاب
- ٢٤٥..... السياسة ضيّعت علماء الإسلام
- ٢٤٦..... يحتاجون إلى المعونة بالسلاح والمال
- ٢٤٨..... الإسلام رحمة الله للعالمين
- ٢٤٩..... ويأبى الله إلا أن يتم نوره

❖ ١٣ - الصحوة الإسلاميّة بين المتشائمين والمتفائلين

- ٢٥٤..... لا يأس والفجر قريب
- ٢٥٦..... المتشائمون يرون الصورة من وجه واحد
- ٢٥٨..... لماذا لا نذكر الجزائر؟
- ٢٦٠..... شعبٌ اختار لنفسه الطريق
- ٢٦١..... الإسلام بخير



- ٢٦٢ سبيل التغيير هو التعليم والتربية
- ٢٦٣ العودة إلى الدين فطرة
- ٢٦٤ لماذا لا نذكر الإيجابيات؟
- ٢٦٥ الآيات والأحاديث تبشّرنا
- ٢٦٧ فُتحت القسطنطينية وبقي أن تُفتح رومية
- ٢٦٩ الإسلام وحده هو سفينة الإنقاذ للعالم
- ٢٦٩ دَيْن في أعناقنا أن نعمل للإسلام
- ٢٧٠ الإسلام مصدر الأمن
- ❖ ١٤ - خطبة عيد الفطر ٢٧٣
- ٢٧٣ التكبير زينة العيد
- ٢٧٤ تميّز أعياد الإسلام
- ٢٧٦ المعنى الربّاني في أعيادنا
- ٢٧٦ العيد مهرجان إسلامي للرجال والنساء والأطفال
- ٢٧٧ ما معنى ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾؟
- ٢٧٨ والفرحة بالفطر لها معنيان
- ٢٧٩ المعنى الإنساني في العيد
- ٢٨٠ المعنى الاجتماعي في العيد
- ٢٨١ إيّاك أن تكون من هؤلاء
- ٢٨١ مآسينا نحن المسلمين
- ٢٨٢ واجبنا في زمن السامري
- ٢٨٣ غربة الإسلام في دياره
- ٢٨٤ ما ذنب السودان؟

التحذير من الإسلام المعتدل..... ٢٨٥

المآسي كثيرة والمبشرات أكثر..... ٢٨٦

انتشار دعوة الإسلام في العالم..... ٢٨٧

اتساع دولة الإسلام..... ٢٨٧

خلافة على منهاج النبوة..... ٢٨٧

عودة الإسلام إلى أوروبا مرّة أخرى..... ٢٨٨

الانتصار على اليهود..... ٢٨٩

مبشرات من التاريخ ومن الواقع..... ٢٨٩

مبشرات من سنن الله..... ٢٩١

هذا أملنا، وهذا رجاؤنا..... ٢٩٢

❖ ١٥ - وقفات بعد رمضان..... ٢٩٤

كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه..... ٢٩٤

فرحة الصائمين بالعيد..... ٢٩٤

فرح بالحقّ وفرح بالباطل..... ٢٩٥

الحذر من العُجب بالطاعة..... ٢٩٧

خزي أهل المعصية في العيد..... ٢٩٩

الاستمرار في الطاعة بعد رمضان..... ٣٠٠

كن ربّانيًّا ولا تكن رمضانِيًّا..... ٣٠٢

صيام ستٍّ من شوال..... ٣٠٣

❖ ١٦ - رحلة الحجّ..... ٣٠٨

الحج ذكرى إبراهيم عليه السلام..... ٣٠٩



- ٣١٠.....الحج سُحنة رُوحِيَّة هائلة.....
- ٣١٠.....ما معنى «مُحْرِمًا»؟.....
- ٣١٠.....إيحاء هذه الشعائر.....
- ٣١١.....الحج توسيع لأفق المسلم.....
- ٣١٢.....الحج تدريب عملي على ممارسة مُثل الإسلام.....
- ٣١٢.....١ - تدريب على ركوب المشقَّة.....
- ٣١٣.....٢ - تدريب على المساواة.....
- ٣١٤.....٣ - تدريب على الوحدة.....
- ٣١٥.....٤ - تجسيد لمعنى السلام.....
- ٣١٥.....زمن الحج زمن السلام.....
- ٣١٦.....٥ - الحجُّ مؤتمر عالمي.....
- ٣١٩.....العدوان الإسرائيلي الغاشم مُستمرُّ.....
- ٣١٩.....متى كان الدفاع عن الوطن جريمة؟.....
- ٣٢٠.....هذا ما تريده إسرائيل.....
- ٣٢٢.....لبنان مهَّدد باستمرار.....
- ٣٢٤.....الأضحية ذكرى وتوسعة.....
- ٣٢٨.....❖ ١٧ - خطبة عيد الأضحى (١).....
- ٣٢٨.....الإسلام يوحد الأُمَّة بعباداته.....
- ٣٢٩.....الحج يبرز قوَّة الإسلام.....
- ٣٢٩.....عناصر القوَّة في الأُمَّة الإسلاميَّة.....
- ٣٢٩.....القوة العددية.....
- ٣٣٠.....القوة الماديَّة والاقتصاديَّة.....

- ٣٣٠..... قوة الرسالة.....
- ٣٣٠..... قوة المصادر المعصومة.....
- ٣٣١..... توظيف هذه القوى واستغلالها.....
- ٣٣٢..... ضرب لبنان وتهجير أبنائه.....
- ٣٣٣..... الحج تذكير بأبي الأنبياء وربط الأمة برسالته.....
- ٣٣٥..... درس الأضحية.....
- ٣٣٥..... الوهن سبب ذلّ الأمة.....
- ٣٣٧..... ما الذي جرى للأمة؟ هل تغيرت طبيعة الأمة؟.....
- ٣٣٧..... جمع الأمة وتوحيدها.....
- ٣٣٨..... لا تزال الأمة بخير.....
- ٣٣٨..... حاجة الأمة إلى من يقودها.....
- ٣٣٩..... ما يجب على أبناء الصحوة.....
- ٣٤٠..... حاجتنا إلى عيد لا حزن فيه.....
- ❖ ١٨ - عيد بأية حال عدت يا عيد..... ٣٤٤
- ٣٤٤..... العيد الحقيقي.....
- ٣٤٥..... أعياد لا طعم لها.....
- ٣٤٧..... الأمة كثرتها كغشاء السيل.....
- ٣٤٧..... ما الذي جرى للأمة.....
- ٣٤٨..... لا عذر للأمة أمام هذه المآسي.....
- ٣٤٩..... ماذا فعل النظام العالمي الجديد والهيئات الدولية.....
- ٣٤٩..... ماذا فعل المؤتمر الإسلامي.....
- ٣٥٠..... الركض وراء إسرائيل.....



٣٥٢..... ماذا تريد إسرائيل؟

٣٥٢..... ما الأصولية؟

٣٥٢..... تجفيف منابع باسم محاربة التطرف

٣٥٥..... صور مشرقة رغم الجراح والألم

٣٥٨..... الأمة تستطيع أن تفعل الكثير

٣٥٩..... ليس لنا قيادة

٣٦٠..... المسلمون أمة واحدة

٣٦٢..... الحج إلى بيت المقدس

٣٦٢..... حكم زيارة المسجد الأقصى

٣٦٤..... ما الذي حدث لهذه الأمة؟

❖ ١٩ - لماذا لا يستجيب الله دعاءنا؟..... ٣٦٦

٣٦٧..... استجابة الدعاء لها شروط

٣٦٧..... الدعاء وأنت في المعركة

٣٧٠..... وصل الخط مع الله

٣٧١..... الإخلاص وصدق العبودية لله

٣٧٣..... التطهر من الحرام

٣٧٦..... القلوب الميتة لا يُستجاب لها دعاء

٣٧٦..... دعاء المكروب

٣٧٨..... الاستمرار في الدعاء

٣٧٩..... كيف يُستجاب الدعاء

٣٨١..... ماذا جنى موسى أبو مرزوق؟

٣٨٢..... ما هي جريمة جارودي؟



- ٣٨٣..... فلسطين لا يمكن أن تدفع ثمن جريمة لم ترتكبها
- ٣٨٤..... حقوق الإنسان ضاعت
- ٣٨٥..... النصر آت لا ريب
- ❖ ٢٠ - الوقت في حياة المسلم ٣٩١
- ٣٩١..... وقفة لحساب النَّفس
- ٣٩٢..... الوقت هو الحياة
- ٣٩٣..... جريمة تبديد الوقت
- ٣٩٣..... أمتنا لا تعمل
- ٣٩٤..... لكلِّ وقت حقٌّ
- ٣٩٥..... خطر التسويف
- ٣٩٧..... المسلم ينشد الترقِّي
- ٣٩٨..... اغتتم خمسًا قبل خمس
- ٤٠٠..... ساعة وساعة
- ٤٠٢..... جدول المحاسبة
- ٤٠٢..... اغتتم حياتك قبل موتك
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤٠٩
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٢٩
- فهرس الموضوعات ٤٤١



